مظاهر العناصر الإسلامية في الأدب الغربي ٦١٠ - ١٧٥٨م

أطروحة

تقدم بنيل شهادة الدكتوراه في العربية

المعهد للعربية، كلية الآداب، جامعة دلتا

الباحث

RB
A
892.7
NAM

بسم الله الرحمن الرحيم

مظاهر العناصر الإسلامية في الأدب العربي ٦١٠ـ ١٢٥٨م

أطروحة

قدمت لنيل شهادة الدكتوراه في العربية

القسم العربي ، كلية الآداب ، جامعة داكا

الباحث

محمد نصير الدين

المحاضر في القسم العربي

جامعة داكا ، داكا ١٠٠٠ ، بنغلاديش

تحت إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد أبو بكر صديق

القسم العربي ، جامعة داكا

داكا ١٠٠٠ ، بنغلاديش

يونيو , ٢٠١١ م

Prof. Dr. Md. Abu Baker Siddique
M.M, B.A Hons, M.A. (Dhaka), Ph.D. (Aligarh)
Professor & Ex- Chairman, Department of Arabic
University of Dhaka, Dhaka-1000, Bangladesh.
Former Chairman, Bangladesh Madrasah Education Board.

Ref.....

Date.....

To Whom It May Concern

This is to certify that Mr. Md.Nasir Uddin, a full-time Ph.D. student, bearing reg. N0.39/2002-03 and Re-reg. N0.58/2009-10 (and a Lectur) of the Department of Arabic, University of Dhaka, has completed his Ph.D. Thesis on the topic entitled, "Mazahir al-Anasir al-Islamiyyah Fi al-Adab Al-Arabi 610-1258 A.D.(আরবী সাহিত্যে ইসলামী উপাদানের প্রতিফলন ৬১০-১২৫৮ খৃ:)" under my supervision. It is an original work which is entirely done by him. So far my knowledge goes no work has been done under the same title and language any where in the world. I have gone through the Manuscript of the Thesis and recommended it for submission to the University of Dhaka for the Award of Ph.D. Degree in Arabic.

I wish him all success in life.

Dated, Dhaka
10.06.2011 A.D.

(DR. MD. ABU BAKER SIDDIQUE)
Professor & Supervisor
Department of Arabic
University of Dhaka
Dhaka-1000, Bangladesh.

Mailing Address: 31/F, Isa Khan Road Residential Area, University of Dhaka, Dhaka-1000, Bangladesh.
Phone: 9661920-73/Ext. 6104 (Office), 9661920-73/Ext. 5501 (Res.) Fax: 880-2-8615583, Mobile: 01715-018542, 01552-483987, E-mail: duregstr@bangla.net.

Dhaka University Institutional Repository

DECLARATION

I do hereby declare that the research work on the topic entitled, "Mazahir al-Anasir al-Islamiyyah Fi al-Adab Al-Arabi 610-1258 A.D.(আরবী সাহিত্যে ইসলামী উপাদানের প্রতিফলন ৬১০-১২৫৮খৃ:)" is an original work which has been completed by me. None of the research work leading to Ph.D. Degree has been undertaken before with the same title and language any where in the world.

Dated, Dhaka
10.06.2011A.D.

মু: নাসীর উদ্দীন

(Md.Nasir Uddin)
a Ph.D research student
(Reg.39/2002-03, Re-reg.58/2009-10)
Department of Arabic
University of Dhaka.

Dhaka University Institutional Repository

المحتويات

		الصفحة
كلمة الشكر		أ
المقدمة		ب - و
الباب الأول	**أدب اللغة العربية**	١-٥٤
الفصل الأول	أصل اللغة العربية و تفرعها	٢
الفصل الثاني	بداية اللغة العربية و لهجاتها و أدوار تهذيبها	١٣
الفصل الثالث	خصائص اللغة العربية و أهميتها	٢٥
الفصل الرابع	الأدب العربي نشأته و تطوره	٤٤
الباب الثاني	**العناصر الإسلامية في الأدب العربي ٦١٠-٦٦١م.**	٥٥-٩٦
الفصل الأول	العناصر الإسلامية في الأدب العربي نثراً و نظماً في العصر النبوي	٥٦
الفصل الثاني	العناصر الإسلامية في الأدب العربي نثراً و نظماً في العصر الراشدي	٧٦
الباب الثالث	**العناصر الإسلامية في الأدب العربي للعصر الأموي ٦٦١-٧٥٠م.**	٩٧-١٨٢
الفصل الأول	العناصر الإسلامية في الخطابة و الرسالة في العصر الأموي	٩٩
الفصل الثاني	العناصر الإسلامية في الشعر العربي للعصر الأموي	١٠٨
الفصل الثالث	الثقافة الإسلامية و عناصرها في الشعر الأموي	١٤٦
الفصل الرابع	العناصر الإسلامية في العقيدة و العبادات و الأخلاق الإسلامية في العصر الأموي	١٦٠
الفصل الخامس	العناصر الإسلامية في الأحكام الفقهية و الحدود الشرعية و القصص القرآني في العصر الأموي	١٧١
الباب الرابع	**العناصر الإسلامية في النثر العربي للعصر العباسي ٧٥٠-١٢٥٨م**	١٨٣-٢٣٢
الفصل الاول	العناصر الإسلامية في الخطابة في العصر العباسي الأول	١٨٤
الفصل الثاني	العناصر الإسلامية في الخطابة في العصر العباسي الثاني	١٩٠
الفصل الثالث	العناصر الإسلامية في الرسائل في العصر العباسي الأول	١٩٤
الفصل الرابع	العناصر الإسلامية في الرسائل في العصر العباسي الثاني	٢١٨
الباب الخامس	**العناصر الإسلامية في الشعر العربي للعصر العباسي ٧٥٠-١٢٥٨م**	٢٣٣-٢٦٨
الفصل الاول	العوامل في الشعر العربي للعصر العباسي	٢٣٤
الفصل الثاني	مفهوم الشعر الإسلامي	٢٤٤
الفصل الثالث	العناصر الإسلامية في الشعر العربي في العصر العباسى	٢٤٧
الفصل الرابع	نماذج من الشعر العربي الإسلامي في العصر العباسى	٢٦٥
خاتمة البحث ونتائجها		٢٦٩-٢٨٧
المصادر والمراجع		٢٨١-٢٨٧

Dhaka University Institutional Repository

كلمة الشكر

أحمد الله تعالي حمد الشاكرين ،حيث قال الله عز و جل "لئن شكرتم لأزيدكم و لئن كفرتم إن عذابي لشديد " بناء علي قوله تعالي أتتقدم بشكري و اعترافي قبل كل شئ إليه عز وجل بأنه وفقني لانحاز هذه الرسالة. و لا يفوتني أن أسجل خالص شكري و تقديري إلى إدارة جامعة داكا بجميع أنواع المساعدات الإدارية الأكاديمية ، خاصة أساتذة قسم العربي و زملائي و أصدقائي الذين ساعدوني بالتوجيهات الثمينة و التشجيعات الخالصة لإكمال هذا العمل القيم .

أقدم خالص شكري و اعترافي الجليل إلى والدي الشفيقين لما بذلا قصارى جهودهما في سبيل تربيتي تربية إسلامية خالصة ، و في تدريس اللغة العربية و المواد الدينية. وكذلك أقدم شكري الخاص لرئيس القسم العربي جامعة داكا الأستاذ الدكتور أبو بكر محمد صديق الرحمن نظامي الذي شجعني لإنجاز هذا العمل المهم.

و أخص بالشكر و الاعتراف أساتذتي الفاضل و المربي الجليل سعادة الأستاذ الدكتور محمد أبو بكر صديق لإشرافه الميمون علي رسالتي رغم مشاغلته الكثيرة و نشاطاته العديدة، و أفادني بإرشاداته القيمة الخالصة و رعاياته العلمية و التربوية المثلى.

و لا يفوتني أن أتذكر الأخ المحترم الدكتور محمد يوسف، الأستاذ في القسم العربي بجامعة داكا حيث أمدني بالكتب المهمة و المراجع و المصادر القيمة و التي استفدت بها في إعداد رسالتي. و كذلك الأخ المحاضر محمد بلال حسين، ارشد الحسن و ظهير الإسلام في القسم العربي. الذين ساعدوني بتوجيهات إرشادية في إعداد الرسالة والأخ الشفيق وسيم الدين و همايون الذان ساعداني على إعداد بحثي فاذكرهم جميعا متشكرين لهم. فجزاه الله عني أحسن الجزاء و أثابهم من عنده. أسأل الله أن يمدنا جميعا بالتوفيق لما هو خير لنا. إنه هو الموفق و المعين.

الباحث

محمد نصير الدين

Dhaka University Institutional Repository

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان بلسان عربي مبين الذي هذب الأخلاق البشرية من العامة إلى الشعراء و الأدباء بانتقاد ما عندهم من الخرافات و الأباطيل و توجيههم إلى اتصاف ما لا بد منه و هو القائل "و الشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون و أنهم يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا .....الآية.

الصلاة والسلام على النبي الأمين الذي أخرج البشرية من ظلا لتهم في العمل و القول حتى إنتاج الفن الأدبي حيث نقد الأدب الباطل و بدله بقيم الإسلامية الثرى بخلق القرآن و السنة.

وعلى اله و أصحابه الذين بذلوا بالغ جهودهم لتهذيب أخلاق الأدباء و الشعراء بإرشاداتهم القيمة و انقاد اتهم الثمينة حيث قال عمر رضى الله عنه "مر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق و صواب الرائي و معرفة الأنساب. و على من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين في إنشاء الأدب شعرا و نثرا و انتقاد أدباء أعداء الإسلام قولا و كتابة.

فإن مظاهر العناصر الإسلامية في الأدب العربي من ظهور النبوة إلى نهاية العصر العباسي فإنها من أهم العوامل والركائز الهامة و أبرز الأصول الإسلامية الجليلة التي يتوقف عليها ارتقاء الأمة الإسلامية و ازدهارها ماديا و معنويا ، و يعتمد عليها سلامة نظرتها إلي الكائنات و تهذيب سلوكها وأفكارها و إلى القيم الإسلامية فهو الأدب المهذب السامي نظما و نثرا. فالعناصر الإسلامية هي الأمور الإسلامية الأصلية التي تتعلق بالإسلام أصالة من العقيدة مثل الدراسة حول التوحيد و الرسالة والعبادات كلها كالصلوة و الصوم والزكاة والحج إلى ما يصل إليها فرعة من التقوى والتوكل والزهد و غيرهم من الأمور الحسنة التي تحمل فكرة إسلامية كبيرة و عاطفة دينية سامية.

إن الله سبحانه و تعالى قد انعم على الإنسان بأنعم كثيرة لا تعد و تحصى، كما أخبر الله بذلك في كتابه الكريم "و أن تعدو نعمة الله لا تحصوها". و من بين هذه النعم أنه قد قدره فائقة يميزون بها بين الأشياء

Dhaka University Institutional Repository

و إحساسا قويا يدركون به التبائن بين ما تقع عليه أعينهم من المشاهدات في هذه الحياة و ما تقرع أذنهم من الأصوات يتذوقون بألسنتهم من الأطعمة و ما يشمون بحاسة الشم من الروائح مما لا شك فيه أن الناس مختلفون في التذوق و الإحساس و ما إلى ذلك و يتفاوتون في حظوظهم فيها فيفضلون بعضها على بعض على قدر ما آتاهم الله من العقل السليم و ما أعطاهم من سلامة الحس و الشعور.

إن العناصر الإسلامية في الأدب العربي تقوم في بناءها الفنية على المضمون و تضم بالموضوعات الرتيبة التي يشمل عليها الغرض في الأدب الإسلامي و تقوم على القيم الإسلامية والأخلاق الفاضلة و النظام و التشريعي في كل مجلات الحياة و مقتضاه الإنسان.

ليس المقصود أن تحتوى العناصر الإسلامية هي الأخرى على موسوعات الفقه و أحكام التشريع و تحتوى علي سردى الأخلاق في القرآن الكريم و القيم في السنة الشريفة . و تحتوى على موسوعات في السيرة و التاريخ الإسلامي. و يستوعبها فنون الأدب متنوعة من الخطابة و الرسالة و القصيدة و إلى ما بخواطر الأدباء و الشعراء و أحاسيسهم في ابتاج الفنون للأدب العربي.

و أن مظاهر العناصر الإسلامية في الأدب العربي شعراً و نثراً ما جعلتها تراثا أدبيا ساميا و خالدا ، و موروداً عذبا صافيا و عملا فنيا قويا وجادا بغرس في النفس القيم النبيلة و الأخلاق الفاضلة و يطهر الروح و يزكيها و يسمو إلى عالم الطهر و النقاء في بناء الإنسان والأمة الإسلامية صالحا و يحقق له السعادة في الدنيا و الآخرة.

و من ثم سأتعرض في هذه الرسالة كل ما يتعلق بها من مظاهر العناصر الإسلامية في الأدب العربي عبر العصور من بداية النبوة إلى نهاية العصر العباسي في صور مختلفة من الكليات و الجزئيات بشكل مفصل أحيانا و بصورة خاطفة أحيانا أخرى حسب ما يتطلبه المكان إن شاء الله تعالى محاولا لتقييم الاتجاهات الأدبية الإسلامية و أسسها الفنية على ضوء الأصول و المبادي العامة و الخاصة متوخيا للسهولة واليسر.

أدعو الله تعالى أن يجعل هذا العمل المتواضع لوجهه الكريم و هو الموفق المعين.

Dhaka University Institutional Repository

أهمية هذا الموضوع :

إن مظاهر العناصر الإسلامية في الأدب العربي على مر العصور عامة و على بداية النبوة إلى نهاية العصر العباسي خاصة تكون وجهة حين تصور عن نظرة الإسلام و تصورها و تحقق الحق و تقاتم الباطل و تنص لشئون تنمية المجتمع و فلاحها كي تنهضها على أرقى وجه و تورد الصورة الحية أمام المجتمعين و تعمل لسلوك الأمم و هي التي تعصم حياتنا الفكرية و الوجدانية من التبعة و الانسلاخ من شخصينا الأصيلة و تحجنا من القلق و التمزق و الشتات فإنها تفوق الآداب جميعا بعمق النظرات و شمول الدالات على حقائق الوجود البتة و تورد المجتمعات البشرية إلى الآفاق الإسلامية الرفيعة من خلال التصور الإسلامي للوجود و الحياة و تلون لها دورها الإيجابية في توجيه البشرية و إثابتها إلى الإنسانية الحقة الفطرة النقية من جملة الفواحش ما ظهر منها وما بطن ونأتى أهمية لهذا البحث واضحة جليلة.

أسباب اختياري لهذا لموضوع :

و من أهم الأسباب خلف اختياري لهذا الموضوع بالاختصار ما يلي :

١. أثناء كوني طالبا في القسم العربي من جامعة دكا كنت تحت رعاية تامة لأستاذي الشفيق فضيلة الدكتور الأستاذ أبو بكر صديق و هو يرغبني و يشجعني أن أبحث عن الأدب الإسلامي ومن ناحية الأدب الإسلامي مظاهر العناصر الإسلامية ومن ذلك الوقت كان يدور في قلبي أن أقوم بالبحث و الدراسة عن الموضوع تلبية لتوصية أستاذي ، اخترت هذا الموضوع للدراسة والبحث عنه .
٢. الرغبة في تحقيق الفوائد الأدبية الإسلامية و المظاهر الكثيرة المترتبة على تناول هذا الموضوع نظرا لما يتضمنه من القضايا المهمة للأدب الإسلامي .
٣. الحرص على المحاولة لاستخلاص ما تشمله العناصر الإسلامية من ناحية الأدب الإسلامي من بداية النبوة إلى نهاية الدولة العباسية حتى تكون سهلة المأخذ بالنسبة لدارسي الأدب سواء من العرب أو غيرهم .
٤. حصول المعرفة عن الأدب الإسلامي خاصة العناصر الإسلامية التي اكتشفها الأدباء الإسلاميون في مجال تاريخ الأدب الإسلامي و التي تناسب لأبناء هذه البقعة .
٥. التوجيه و الاقتراح للوجدان المفعم بالقيم الإسلامية الثروة بخلق القرآن و السنة و إلى الخواطر و الأفكار التي تمتد جذورها إلى

Dhaka University Institutional Repository

شريعة الإسلام و إلى العاطفة الصادقة التي تعبر عن إخلاص الأديب و صدقه .

٦. اختيار النصوص الأدبية من وجهة النظرة الإسلامية .

٧. و إن معظم ما كتب حول هذا الموضوع يتراوح ما بين المقالات الصحيفة أو نشرات أدبية أو كتيبات ، ومن ثم أحسست بضرورة إخراجه في شكل شامل معتمدا على المصادر الموثوق بها إن شاء الله تعالى .

منهجي في البحث :

المنهج الذي اخترت عند إكمال رسالتي هو ما يلي :

١. ركزت على الأفكار المحورية لموضوع الرسالة و تعرضت الكثير من الجزئيات المتصلة بالموضوع على سبيل الاختصار.

٢. اعتمدت على المراجع و المصادر الموثوق بها في نسبة الآراء الأدبية الإسلامية.

٣. رجعت ما كتب على هذا الموضوع في الجرائد و الصحف العربية و الإنجليزية سواء ما يتعلق بحياة الشعراء والأدباء أو ما تتعلق بأفكارهم الأدبية الإسلامية .

٤. فصلت الكلام أما تتعلق مظاهر العناصر الإسلامية من ناحية الأدب الإسلامي باعتبار صميم هذا البحث و محوره .

٥. استخدمت لإنتاج أسهل الأسلوب و أيسر العبارات و أوضحها في معالجلة الموضوع حتى لا يصعب على الباحثين و الدارسين حسب المقاصد .

٦. استشهدت بالنصوص الأدبية الإسلامية نثرا و شعرا في مكان يلزم ذلك.

٧. ذكرت في الهوامش أسماء الكتب التي استعنت بها و أخذت عنها إتماما للفائدة لمن يريد الرجوع أليها .

فنهضت هذا المنهج كله رجاء أن يكون بحثي نموذجا على البحث السليم و الدراسة الصحيفة و لتسهيل إتمام الرسالة قسمت بحثي إلى تمهيد و خاتمة و أربعة أبواب، كل باب يشتمل على عدة فصول .و يقصر عدد صفحة الفصول و يقل على حسب حجم الباب و محتواه . و في الأخير ذكرت محتويات الرسالة و المراجع و المصادر على ما يلي:

Dhaka University Institutional Repository

الباب الأول : أدب اللغة العربية

الفصل الأول : أصل اللغة العربية و تفرعها

الفصل الثاني : بداية اللغة العربية ولهجاتها و أدوار تهذيبها

الفصل الثالث : خصائص اللغة العربية و أهميتها

الفصل الرابع : الأدب العربي نشأته و تطوره

الباب الثاني : العناصر الإسلامية في الأدب العربي ٦١٠-٦٦١م

الفصل الأول : العناصر الإسلامية في الأدب العربي نثراً و نظماً في العصر النبوي

الفصل الثاني : العناصر الإسلامية في الأدب العربي نثراً و نظماً في العصر الراشدي

الباب الثالث : العناصر الإسلامية في الأدب العربي للعصر الأموي ٦٦١-٧٥٠م

الفصل الأول : العناصر الإسلامية في الخطابة و الرسالة في العصر الأموي

الفصل الثاني : العناصر الإسلامية في الشعر العربي للعصر الأموي

الفصل الثالث : الثقافة الإسلامية وعناصرها في الشعر الأموي

الفصل الرابع : العناصر الإسلامية في العقيدة والعبادات والأخلاق الإسلامية في العصر الأموي

الفصل الخامس : العناصر الإسلامية في الأحكام الفقهية و الحدود الشرعية والقصص القرآني في العصر الأموي

الباب الرابع : العناصر الإسلامية في النثر العربي للعصر العباسي ٧٥٠-١٢٥٨م.

الفصل الأول : العناصر الإسلامية في الخطابة في العصر العباسي الأول

الفصل الثاني : العناصر الإسلامية في الخطابة في العصر العباسي الثاني

الفصل الثالث : العناصر الإسلامية في الرسائل في العصر العباسي الأول

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الرابع: العناصر الإسلامية في الرسائل في العصر العباسي الثاني

الباب الخامس : العناصر الإسلامية في الشعر العربي للعصر العباسي ٧٥٠-١٢٥٨ م.

الفصل الأول: العوامل في الشعر العربي للعصر العباسي

الفصل الثاني: مفهوم الشعر الإسلامي

الفصل الثالث: العناصر الإسلامية في الشعر العربي في العصر العباسي

الفصل الرابع: نماذج من الشعر العربي الإسلامي في العصر العباسي

خاتمة البحث و نتائجها

بينت فيها خلاصة ما وصلت إليه من دراسة البحث و ما توصلت به إلى أهم النتائج منه.

الباحث

Dhaka University Institutional Repository

الباب الأول

أدب اللغة العربية

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الأول : أصل اللغة العربية و تفرعها

إن اللغة العربية هي المواد الأصلية لأدبها و أن الأدب العربي مداره هي اللغة العربية ،وأن اللغة العربية ما نزال تستخدمها في الكتابة والخطابة والفنون والتأليف والأدب نثراً كان أو نظماً . و أن الألفاظ الإسلامية العربية و مظاهرها وعناصرها ما نزال تستخدمها في الأدب العربي . فينبغي لنا أن نبحث أولاً عن نشأة اللغة العربية و تطورها من بداية القرن السابع الميلادي إلي نهاية العصر العباسي الرابع في بغداد.

إن الله سبحانه و تعالى خلق الإنسان و فضّله بنعم كثيرة ، من بينها نعمة اللغة و اللسان . و هي من آياته تعالى حيث قال : "و من آياته خلق السماوات و الأرض واختلاف ألسنتكم و ألوانكم [١]. و هي من أكبر نعم الله على البشرية . لأنها وسيلة هامة لإظهار ما في الضمائر من التصورات والخيالات والتفكيرات والتدبرات . فالله جل ذكره خلق الإنسان و علمه اللغة و اللسان لبيان حاجاته و رغباته و إظهار آرائه و تفكيراته و نشر مذاهبه و نظرياته . يقول الدكتور محمد صالح الشنطي : "إن اللغة هي ذات طبيعة اجتماعية إذ لا توجد الحاجة إلى اللغة إلا حيث يوجد التجمع البشرى . و من هنا كانت نشأة اللغة مرتبطة بظهور الإنسان على الأرض" [٢]. ولهذا خلق الله تعالي الإنسان و علمه النطق و الكلام . كما جاء في القرآن الكريم ، "خلق الإنسان . علمه البيان" [٣] يعني "النطق" [٤]. خلق الله تعالى آدم عليه السلام و علمه اللغة . كما جاء في القرآن الكريم : "و علم آدم الأسماءَ كلها ثم عرضهمْ على الملائكةِ، فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم" [٥]. تدل الآية الكريمة أن اللغة توقيفية من الله تعالي . فالله سبحانه هو المعلم الحقيقي للغة . و ذهب إلى هذا الرأي جماعة من العلماء منهم ابن فارس [٦]

---

١ القرآن الكريم، ٣٠ : ٢٢.
٢ د. محمد صالح الشنطي ، المهارات اللغوية ، (المملكة العربية السعودية : دار الأندلس للنشر والتوزيع ، ١٩٩٤م)، ط ٣، ص ١٥.
٣ القرآن الكريم ، ٥٥ : ٣ – ٤ .
٤ جلال الدين السيوطي و جلال الدين المحلى ، تفسير الجلالين ، (الهند : المكتبة الأشرفية ، ديوبند ، ب ت)، ص ٤٤٣.
٥ القرآن الكريم ، ٢ : ٣١ – ٣٢ .
٦ ابن فارس : (أبو الحسين أحمد) (ت ١٠٠٤م) لغوي كوفي المذهب. علم في همدان . من تلاميذه بديع الزمان الهمداني و الصاحب، بن عباد . المنجد في اللغة و الأعلام ، ص ١٢.

Dhaka University Institutional Repository

و ابو على القالي[٧] و أبو الحسن الأخفش و ابن جنى[٨] والفيلسوف هيراكليت[٩] والفيلسوف الفرنسي ديونالد [١٠]. واستدل هؤلاء العلماء على توقيفية اللغة بقوله تعالى: "و علم آدم الأسماء كلها" [١١].

و من جانب آخر تدل هذه الآية على أن اللغة انتشرت بالتعليم والتعلّم . و قد ورد في الآثار حول تعليم الله تعالي آدم عليه السلام اللغات : حيث أخرج ابن جرير عن سعيد ابن المسيب و ابن أبى حاتم و ابن المنذر عن ابن عباس في تفاسيرهم قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية : "وعلم آدم الأسماء كلها" ، علمه القصعة و القدر و كل شئ حتى القسوة و القسيوة [١٢]. وجاء في روايةٍ أخرى عن ابن عباس أنه قال : هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس : إنسان ، دابة ، أرض ، سهل ، بحر ، جبل ، حمار و أشباه ذلك من الأمم و غيرها [١٣].

و عن ابن جبير و قتادة و غيرهم من السلف في تفسير هذه الآية ،إن الله تعالي علم آدم أسماء كل شئ. والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها ذواتها و صفاتها و أفعالها [١٤].

و عن مجاهد قال : علمه كل شئ [١٥]. و عن قتادة قال : علم آدم من أسماء خلقه ما لم يعلم الملائكة فسمّى كل شئ باسمه و ألجأ كل شيء إلى جنسه [١٦].

و ذكر الدكتور أبو سكين في كتابه فقه اللغة "و قيل : علمه اسم كل شيء و بجميع اللغات، فكان هو و أولاده يتكلمون بها ثم أن أولاده تفرقوا في مختلف البقاع و علق كل واحد بلغة، فغلبت عليه و نسى ماعداها و ذلك لتقادم العهد و توالى الأجيال[١٧].

---

٧ اسماعيل بن قاسم (٨٩٣-٩٦٧)لغوي تعلم في بغداد، المنجد في اللغة و الأعلام ، ص ٢٠.

٨ ابن جني (عثمان) (٩٤٢-١٠٠٢) نحوي بصري صحب أبا علي الفارسي،من أحذق أهل الأدب و أعلمهم بالنحو و التصريف، المنجد في اللغة و الأعلام ، ص ٦.

٩ (ت نحو ٥٤٠-٤٨٠ ق.م) : فيلسوف يوناني ، المنجد في اللغة و الأعلام ، ص ٦٠٥.

١٠ د. عبد الحميد محمد أبو سكين ، فقه اللغة (مصر:مطبعة الأمانة ١٩٨١م)ط١،ص٣٠.

١١ القرآن الكريم ، ٢ : ٣١.

١٢ محمد بن علي بن الشوكاني ، فتح القدير ، (مصر : مطبعة مصطفي البابي الحلبي ١٩٢٤ م) ط ٢،ج١، ص ٦٤.

١٣ محمد على الصابونى،مختصر تفسير ابن كثير (بيروت : دار القرآن الكريم ١٩٨١م) ج ١ ، ط ٧، ص ٥١.

١٤ المصدر نفسه ، ص ٥١.

١٥ مختصر تفسير ابن كثير ، ص ١٩.

١٦ محمد على الصالح احمد رضا، مختصر تفسير الطبري ، (بيروت : دار القرآن الكريم، ١٩٨٣م) ، ج١، ط١، ص ١٩.

١٧ د. عبد الحميد محمد أبو سكين ، فقه اللغة ، ص ٣٠.

Dhaka University Institutional Repository

أصل اللغة العربية

اللغة العربية هي لغة العروبة والإسلام و أقوى رابطة للأمة المسلمة . و هي إحدى اللغات السامية و أرقاها . بل و هي من أرفع لغات العالم منزلة. و لها مكانة خاصة بين اللغات كلها، و هي لغة حية قوية عاشت دهورها في تطوّرٍ و نماءٍ . و هي لغة العلوم والفنون، و لغة الأدب والفلسفة . و لها مكانة دينية فريدة. و هي لغة كتاب المسلمين،القرآن الكريم . و لقد أقر القرآن بعربته في آيات شتى . والآيات كما يلي :

* نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين[١٨].
* إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون[١٩].
* و كذلك أنزلناه قرآناً عربياً و صرفن فيه من الوعيد[٢٠].
* كتاب فصلتْ آياته قرآناً عربياً لقومٍ يعلمون[٢١].
* و كذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً[٢٢].
* و كذلك أنزلناه حكماً عربياً[٢٣].
* إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون[٢٤].

و كذلك إن اللغة العربية هي لغة الأصل الثاني منْ أصول الدين، الحديث الشريف، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان لسانه عربيا . قال النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش"[٢٥]. و هذا الذي أنشأ صلات قوية بين اللغة العربية و الإسلام و أوجب على المسلمين تعليمها و تعلمها فاعترفت بلغة الدين.

و هذا معروف لدى المؤرخين والباحثين اللغويين أن اللغة السامية آلتي تتكلم بها الشعوب السامية كانت أصلا للغة العربية . فعلينا أولا أن نبحث عن الشعوب

---

١٨ القرآن الكريم ، ٢٦ : ١٩٣-١٩٥.
١٩ القرآن الكريم ، ١٣ : ٢.
٢٠ القرآن الكريم، ١١٣ : ٢٠.
٢١ القرآن الكريم، ٤١ : ٣.
٢٢ القرآن الكريم، ٤٢ : ٧.
٢٣ القرآن الكريم، ١٣ : ٣٨.
٢٤ القرآن الكريم، ٤٣ : ٣.
٢٥ أبو عثمان الجاحظ، البيان و التبيين ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ١٩٧٥م) ط٤، ج ٢، ص ١٧.

Dhaka University Institutional Repository

السامية و موطنهم الأصلي . و هذا الأمر يسهل لنا أن نتعرف عن اللغة السامية أولاً ثم نتكلم عن اللغة العربية.

الساميون و موطنهم الأصلي :

يطلق العلماء اليوم على الشعوب الآرامية والفينيقية والعبرية والعربية واليمنية والبابلية لقب الساميين[٢٦].

و كان العالم الألماني سلوتزير (SchLozer) أول من استخدم هذا اللقب على هذه الشعوب. و ذلك في تحقيقاته حول تاريخ الأمم الغابرة سنة ١٧٨١م[٢٧].

و إطلاق لفظ "سامية" على هذه الشعوب و على لغاتها أخذ عليه بعض المآخذ إلا أن العلماء لم يروا بأساً في استعمال تلك التسمية و قبولها لشهرتها و سهولتها . فإنها كما يقول بعض علماء اللغة : أصح و أوفق ما اهتدى إليه الباحثون لتسمية طائفة من الأمم التي كانت تسكن بلاد آسيا الدنيا والتي كونت وحدة دموية و لغوية مستقلة[٢٨].

و هذه الشعوب السامية حين عرفت قد كانت منتشرة في ناحية من الجزء الغربي من آسيا يمتد شمالا إلى جبال طوروس و جبال أرمينية و شرقاً إلى جبال كردستان و خوزستان و الخليج و جنوباً إلى المحيط الهندي و غرباً إلى البحر الأحمر و الأبيض المتوسط.

و ظل الساميون ساكنين في هذه البقعة فترة طويلة من الزمن . و لم يخرجوا منها إلا بعد أن انتشر الفينيقيون في كثير من جزر البحر الأبيض و شمال أفريقيا حيث كونوا دولة قوية.

و هاجر الساميون إلى بلاد الحبشة حين هاجر فريق كبير من عرب الجنوب عن طريق بغاز باب المندب. و في هذه البلاد أقاموا الدولة الحبشية السامية[٢٩].

على الرغم من موطن الساميين أن العلماء اختلفت آراءهم في تعيين الموطن الأصلي للشعوب السامية بالتالية.

---

٢٦ د. على عبد الواحد وافي ، فقه اللغة، (القاهرة : دار العلوم والفنون، ١٩٥٦م)، ط ٤، ص ٢.
٢٧ د. صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة، (بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨١م)، ط ٧، ص ٤٢.
٢٨ إسرائيل و يلفنسون أبو ذؤيب، تاريخ اللغات السامية (القاهرة: مطبعة الأمانة ١٩٢٩م)، ص ٣.
٢٩ أبو سكين ، فقه اللغة ، ص ٥٩.

Dhaka University Institutional Repository

* **الرأي الأول:** يرى فريق من العلماء منهم رينان الفرنسي و نولدكه أن الموطن الأصلي للساميين هو أرمينية بالقرب من حدود كُردستان الحالية. و استدلوا على رأيهم بأدلة مأخوذة من التوراة و ما نقل عن أحبار اليهود و لكن هذا الرأي مردود لأنه مدلل بأدلة ليست يقينية ولأنها مأخوذة من سفر التكوين و مؤلفه كان لا يعتمد على أشياء يقينية بل كان يعتمد على الرواة دون التحقق بصدقها.

* **الرأي الثاني:** و يرى فريق آخر من العلماء (و على رأسهم جويدي الإيطالى) بأن الموطن الأصلي للشعوب السامية جنوب العراق . واستدل جويدي على رأيه حيث أنه اعتمد على عدد من الكلمات وجدها متحدة في جميع اللغات السامية و هي ذات معان مرتبطة ارتباطا وثيقا بتلك المنطقة.

و هذا الرأي أيضا غير مقبول لأن اتحاد عدة كلمات في اللغات السامية و ارتباط معانيها بتلك المنطقة بالذات لا يمكن الاعتماد عليه . ورد على هذا الرأي بعض العلماء مثل نولدكه و قال أن هناك عدة كلمات مثل: شيخ، خيمة. أسود و غيرها ليست متحدة في جميع اللغات السامية مع أنها كانت موجودة بالقطع عند الساميين حينما كانوا أمة واحدة.

* **الرأي الثالث:** و يرى فريق آخر من العلماء أن الموطن الأصلي للشعوب السامية هو شمال أفريقيا ، مصر و ما حولها و آلتي كانت موطن الشعوب الحامية . و استدلوا على وجود الساميين هناك للتشابه الخلقي بين الحاميين و الساميين .

* **الرأي الرابع:** و فريق آخر من العلماء يقول و على رأسه إرنست رينان الفرنسي في كتابه **Histoire of Semitiques Langues** و المؤرخ الإنجليز سايس و بروكلمان الألماني بأن الموطن الأول للشعب السامي هو القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية و يستدلون على رأيهم بأن التاريخ القديم صرح بخروج كثير من الأمم السامية على شكل الموجات من شبه الجزيرة العربية على رأس كل ألف عام تقريبا . و أول هجرة للساميين و كانت إلى بابل في حوالي القرن السادس و الثلاثين قبل الميلاد. و ثانيها كانت في القرن السادس و العشرين . و ثالثها كانت في القرن السادس عشر. و في القرن السادس هاجر قوم من الحجاز إلى

Dhaka University Institutional Repository

الشام. و آخر هذه الهجرات كانت عند ظهور الإسلام مع الفتوحات الإسلامية. و هذا الرأي أرجح الآراء و أقواها[٣٠].

اختلاف الآراء حول اللغات السامية:

اختلفت الآراء في عدد فصائل اللغة الإنسانية الأساسية ، و من أشهرها و أقربها إلى القبول رأى العالم الألماني ماكس مولر الذي يقول : أن لغات العالم ترجع إلى ثلاث فصائل لغوية أساسية و هي :

* الفصيلة الهندية الأوربية
* الفصيلة السامية الحامية
* الفصيلة الطورانية [٣١] كالتركية والمغولية و غيرهما . و بها سمى ماكس مولر جميع الفصائل الباقية[٣٢].

و لقد ذكر د. صبحي الصالح في كتابه دراسات في فقه اللغة ست فصائل أخرى للغات الإنسانية كما يلي:

* فصيلة اللغات اليابانية
* فصيلة اللغات الكورية
* فصيلة اللغات القوقازية
* فصيلة لغات الهنود الحمر في أمريكا
* فصيلة لغات السودان و غانة
* فصيلة اللغات الملاوية البولينزية.[٣٣]

و كلامنا يدور هنا حول الفصيلة السامية الحامية بل على الطائفة الأولى من هذه الفصيلة يعني اللغة السامية فقط. و في الحقيقة أن الفصيلة اللغوية السامية الحامية مركبة من فصيلتين لغويتين و هما السامية والحامية، و لكن البحث اللغوي الحديث اكتشف أن هناك صلة قوية بين هاتين الفصيلتين لوجود روابط اجتماعية و سياسية بين الحاميين و الساميين من قديم الزمان. و لهذا بعض علماء

---

٣٠ المرجع السابق، ص ٥٩ – ٦١.
٣١ المرجع السابق ، ٤٧.
٣٢ د. صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص ٤٤.
٣٣ المرجع السابق ، ص ٤٤.

Dhaka University Institutional Repository

اللغة الباحثين يعتبرون هاتين الطائفتين من اللغة فرعين متمايزين، و هما فرع اللغة السامية و فرع اللغات الحامية ؛ و لكن تحت فصيلة واحدة و هي الفصيلة الحامية ـ السامية[٣٤] .

و نسبة إلى الشعوب السامية سمّيت اللغات السامية بهذا الاسم . و كلمة "سامية" و صف مأخوذ مما ورد في العهد القديم من سفر التكوين الإصحاح العاشر حيث قسم الشعوب إلى ثلاث فصائل : الفصيلة السامية ، الفصيلة الحامية والفصيلة اليافثية ، نسبة إلى أولاد نوح الثلاثة سام و حام و يافث.[٣٥] قال الله تعالى: "و جعلنا ذريته هم الباقين"[٣٦] . و أول من استخدم هذا اللقب على الشعوب السامية هو العالم الألماني سلوزر Schlozer ١٧٧٥ ـ ١٨٠٩م[٣٧] .

و في أواخر القرن الثامن عشر قد شاركه عالم آلماني آخر هو إيكهورن (Eichhorn) في تسمية لغات الشعوب السامية باللغات السامية .[٣٨]

فقد أطلق هذا الاسم على عدد من اللغات متشابهة كل التشابه و هي : الأكادية "البابلية الآشورية" و الفينيقية و العبرية والآرامية والسريانية والعربية الشمالية و العربية الجنوبية والأثيوبية أو الجعزية . و هذه اللغات هي جملة ما تكلم به الساميون و لقد فني بعضها و بقي البعض الآخر . و على أية حال فهذه اللغات كانت في بادئ أمرها لغة واحدة و هي اللغة السامية الأصلية .

و هذه اللغة أي السامية الأصلية لا يعلم عنها شيء نظراً لأنها نشأتْ و نمتْ في عصور قديمة سبقت العصور التاريخية . و جميع جهود العلماء التي بذلت لمعرفة شيء يقيني عن اللغة السامية ذهبت بلا فائدة .

يقول إسرائيل و يلفنسون : في كتابه تاريخ اللغات السامية "أن من العبث إطالة البحث في أمر غامض مجهول نشأ و نما في عصور سبقت العصور التاريخية"[٣٩] و جدير بالذكر هنا أن اللغات السامية قبل تفرقها كانت ترجع إلى أصل واحد و وحدة لغوية ، إلا أنه من العسير جدا تعيين ذلك الأصل و تحديد هذه الوحدة لان المهد الأول

---

٣٤ عبد المنعم ، فقه اللغة ، (مصر : دار العلم للملايين ١٩٧٨م) ص ٥٣.
٣٥ الأستاذ محمد المبارك ، فقه اللغة (دمشق : مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٨م) ص ٦٠.
٣٦ القرآن الكريم ، ٣٨ : ٧٧.
٣٧ أبو سكين ، فتقه اللغة ، ص ٥٧.
٣٨ د. صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص ٤٧.
٣٩ إسرائيل و يلفنسون ، أبو ذؤيب ، تاريخ اللغات السامية ، ص ٣.

Dhaka University Institutional Repository

للساميين ما يزال غامضا و مجهولا . بالرغم من ذلك يدل على رجوع اللغات السامية إلى أصل واحد حيث أنها بوجه عام تشترك في عدد من الخصائص و تتميز بمميزات تدل على أن لها أصلاً واحداً و هي تميزها عن اللغات الأخرى و بخاصة عن الفصيلة الهندية الأوربيون . و هذه المميزات و الخصائص تتعلق بعضها ببنية الكلمة و بعضها بالتصريف و بعضها بالاشتقاق و بعضها بالإعراب و بعضها بطرق التعبير و بعضها بتنوع الأساليب .

مميزات اللغات السامية و خصائصها :

* جميع اللغات السامية توجد فيها مجموعة من الحروف الحلقية و هي الهمزة و الهاء و العين و الحاء و الغين والخاء .
* كلمات اللغات السامية غالباً ما تكون ثلاثية الأصول آي أن أصولها تتكون من ثلاثة أصوات . و إن كان بعض العلماء المحدثين يميل إلى ثنائية أصولها و على رأسهم الدمنيكى في كتابه هل العربية منطقية ؟ أبحاث ثنائية ألسنية .[٤٠]

والقائلون بثلاثية الأصول للسامية يردون الرباعي منها إلى الثلاثي فيردن "دحرج" مثلا إلى "دحر" أو "درج" .

* اعتمادا على حروف المباني تدل هذه اللغة على معنى أصلى مشترك و كذلك تدل على معنى متفرق باستخدام حروف المعاني أو بتغيير الحركات . نحو لفظ (ملك) فهو يدل على معنى مشترك بين عدد من الكلمات آلتي تتكون من هذه الأصول الثلاثة مثلا :ملك ، ملك ، ملك ، ملك ، ملك الخ . و كذلك تدل على معنى متفرق بتغير الحركات .[٤١]
* الأسماء والصفات في هذه اللغات لها حالتان من حيث النوع ، و هما : حالة المذكر و حالة المؤنث . و للمؤنث علامات تدل عليه و تلحق بآخر الكلمة و هي : تاء التأنيث و ألف التأنيث المقصورة والممدودة كما في اللغة العربية .
* و للفعل في هذه اللغات حالتان كما في اللغة العربية : حالة الماضي والمضارع و أما الأمر و الاستقبال فهما مأخوذان من المضارع.
* في هذه اللغات توجد طرق مفصلة لإعراب الاسم و الفعل مثل اللغة العربية.

---

٤٠ الدمنيكى ، هل العربية منطقية ؟ أبحاث ثنائية السنية ، (القاهرة : دار القرآن ، ١٩٦٣م) ، ص ١٤٥-١٥٠.

٤١ د. صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص ٤٩.

Dhaka University Institutional Repository

* لا توجد في هذه اللغات الأفعال المركبة إلا ما كان مأخوذا من اللغات الإخرى مثل كهرب (كه + رب) .
* توجد في هذه اللغات ضمائر المفعولية المنفصلة مثل إياي و إيانا كما في اللغة العربية .
* توجد في هذه اللغات أيضا صيغ الزيادة في الأفعال مع دلالة كل صيغة على معنى و لكل صيغة من الصيغ ماضي و مضارع و أمر و اسم فاعل و اسم مفعول ..... الخ .
* وجود طرق مفصلة لربط الجمل بروابط أضحى محدودة المعنى مثل : "الفاء" تدل على الترتيب و التعقيب و "ثم" للترتيب و التراخي و "إن" و "أن" للتوكيد. و "لكن" للاستدراك و "ليت" للتمني و "لعل" للترجي و "كان" للتشبيه.[٤٢]

و هذه المميزات تدل على أن للغات السامية أصلاً واحداً و أنها تتميز عن اللغات الأخرى و كذلك تدل على أن اللغة العربية هي فرع من فروع اللغة السامية الأصلية.

تفرع اللغة العربية من السامية الأصلية:

تفرعت اللغات السامية من اللغة العربية وامتازت عن أخواتها السامية بخصائص مستقلة. في الحقيقة اللغات السامية في أصل نشأتها تنقسم إلى شرقية و غربية . فالشرقية هي اللغات البابلية الآشورية . و الناطقين بها قدموا إلى منطقة في القسم الجنوبي من بلاد الشرق . و يظن أن القادمين إلى تلك المنطقة كانوا من القبائل العربية التي توالت هجراتها منذ ٣٠٠٠ سنة ق م.[٤٣]

و الغربية من السامية انقسمت إلى شعبتين ١. الغربية الشمالية ٢. والغربية الجنوبية.

أما الغربية الشمالية من السامية فهي الكنعانية والآرامية بجميع فروعهما . أما الكنعانية فهي لغة القبائل العربية التي هاجرت على الأرجح من القسم الجنوبي الغربي من بلاد العرب واستوطنت فلسطين و سورية و بعض جزر البحر الأبيض المتوسط و كان ذلك حوالي سنة ٢٠٠٠ ق م . و اللغة الفينيقية والعبرية من أشهر لهجات الكنعانية . و أما الآرامية فهي لغة الآراميين الذين ينسبون إلى آرام بن سام و

---

٤٢ أبو سكين ، فقه اللغة ، ص ٦١ – ٦٣ .
٤٣ إسرائيل و يلتفنسون أبو ذويب ، تاريخ اللغات السامية ، ص ٢٢ – ٢٥ .

Dhaka University Institutional Repository

كانوا يقيمون في الجزء الشمالي الشرقي من جزيرة العرب . و هذه اللغة كانت سائدة في بلاد العراق و سوريا و فلسطين و شبه جزيرة سيناء في المرحلة الزمنية ما بين ٣٠٠ قبل الميلاد و ٦٥٠ بعد الميلاد . و كانت قد بلغت ذروة مجدها.[٤٤]

وأما الغربية الجنوبية من السامية هي العربية الجنوبية والشمالية التي تشتمل على اللغتين العربيتين العظيمتين اللتين تعنينا دراستهما بوجه خاص و هما العربية الجنوبية والعربية الشمالية .فالعلماء يطلقون على العربية الجنوبية اسم اليمنية القديمة أو القحطانية و يلقبها بعضهم أحيانا بالسبئية .

و إن كثيرا من النقوش على التماثيل والقبور والأعمدة والصخور والمذابح و جدران الهياكل والنقود قد هدتنا إلى أصول هذه العربية الجنوبية و إلى طريقة رسمها و أسلوب تغييرها . و أهم اللهجات العربية الجنوبية أربع : المعينة والسبئية والحضرمية والقتبانية . فالعربية الجنوبية بلهجاتها المتعددة تختلف عن اللغة العربية الشمالية اختلافا جوهريا أساسيا في القواعد النحوية والمظاهر الصوتية والدلالات المعنوية .[٤٥]

و أما العربية الشمالية فهي المقصودة بالعربية عند الإطلاق و لكن نشأتها و المراحل التي اجتازتها في عصورها الأولى غير واضحة لدى الباحثين . و العربية الشمالية ينقسم على قسمين :

١. العربية البائدة ٢. و العربية الباقية .

العربية البائدة: و العربية البائدة تسمى أحيانا بعربية النقوش نسبة إلى النقوش التي اكتشفتْ في شمال الجزيرة العربية . و أقدم هذه النقوش هو ما عربية القديمة . و هذه النقوش لا تشتمل إلا على بعض أسماء الأعلام و بعض العبارات القصيرة . و لغتها متأثرة بالآرامية تأثيراً شديداً . فأهم اللهجات العربية البائدة ثلاث : الثمودية والصفوية واللحيانية[٤٦].

نقوش العربية المبكرة :

و هناك نقوش أخرى للعربية البائدة يسميها بعض المستشرقين بنقوش العربية المبكرة . و لغتها قريبة الشبه بالعربية الباقية من حيث المادة اللغوية

---

٤٤ إسرائيل و يلفنسيون ، أبو ذؤيب ، تاريخ اللغات السامية ، ص ١١٧.
٤٥ د. صبحى الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص ٥٢ .
٤٦ د. أبو سكين ، فقه اللغة ، ص ٩٢-٩٣ ،

Dhaka University Institutional Repository

والأسلوب . و هذه النقوش أقرب إلى العربية الباقية من النقوش الثمودية والصفوية واللحيانية . و هي أربعة نقوش نقش النمارة و نقش زيد و نقش حوران و نقش أم جمال[٤٧].

العربية الباقية:

و واضح أن المراد من العربية البائدة عربية النقوش التي بادت لهجاتها قبل الإسلام و هي التي ظهر على آثارها الطابع الآرامي لبعدها عن المراكز العربية الأصلية بنجد و الحجاز.

و أما العربية الباقية هي التي تنصرف إليها كلمة العربية عند إطلاقها والتي ما نزال نستخدمها في الكتابة و التأليف والأدب نثراً كان أو نظماً . و هي التي وصلتنا عن طريق الشعر الجاهلي و القرآن الكريم و السنة النبوية . و كانت هذه اللغة منتشرة في بادي أمرها ببلاد نجد و الحجاز [٤٨].

---

٤٧ المرجع السابق ، ص ٩٤ ـ ٩٥ .

٤٨ د. إبراهيم أنيس ، اللهجات العربية ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ١٩٥٢م) ط ٢، ص ٣٤.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الثاني : بداية اللغة العربية ولهجاتها و أدوار تهذيبها

ذكر أحمد فؤاد عليان في كتابه ، المهارات اللغوية : ماهيتها و طرائق تدريسها ، "قال عبد الملك بن حبيب : كان اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة عربيا ، إلى أن بعد العهد و طال حرف و صار سريانيا"[٤٩]. قيل ان أول من تكلم بالعربية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام [٥٠]. و قد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا :" قرآنا عربيا لقوم يعلمون"[٥١]. و قال ألهم إسماعيل هذا اللسان العربي إلهاما[٥٢]. و قال ابن سلام : أول من تكلم بالعربية و نسى لسان أبيه ، إسماعيل عليه السلام[٥٣]. و قال الشيرازى في كتاب الألقاب : عن محمد بن على بن الحسين عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أول من فتق لسانه بالعربية المتينة إسماعيل عليه السلام و هو أربع عشرة سنة[٥٤].

و أما بالنسبة لأول من كتب بالعربية فقد ذكر ابن فارس في كتابه "الصاحبي" عن كعب الأحبار "أن أول من كتب الكتاب العربي و السرياني و الكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة كتبها في طين . فلما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه فأصاب إسماعيل عليه السلام الكتاب العربي [٥٥]. و كان ابن عباس يقول : أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل عليه السلام وضعه على لفظه و منطقه . و قيل : إن أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص و قرشت أول من وضع الكتاب العربي و كانوا ملوكا فسمى الهجاء بأسمائهم . و قيل : إن أول من كتب بالعربية مرامر بن مرة و أسلم بن حدرة و هم من أهل الأنبار . و قيل : إن أول من كتب بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس تعلم من أهل الحيرة و تعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار [٥٦]. و لكن الروايات التي ذكرت عن أول من تكلم و كتب بالعربية فيها ضعف و ما وصلت إلينا عن طريق الثقاة . لهذا ينبغي لنا أن نقول

---

٤٩ أحمد فؤاد عليان ، المهارات اللغوية (الرياض : دار المسلم للنشر و التوزيع ، ١٩٩٣م) ، ط ١ ، ص ٢٨.

٥٠ المرجع السابق ، ص ٢٨.

٥١ القرآن الكريم ، ٣:٤١.

٥٢ أخرجه الحاكم والبيهقى عن جابر .

٥٣ ابن سلام ، طبقات الشعراء ، القاهرة : دار المعارف ، د ت) ، ج ١ ، ص ٢٨ ـ ٣٤ .

٥٤ جلال الدين السيوطى ، المزهر في علوم اللغة (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ب ت) ، ص ٢٨-٣٤.

٥٥ أحمد بن فارس ، الصاحبى (القاهرة : عيسى البابى ، د ت) ص ١٠ و جلال الدين السيوطى المزهر ، ج ٢ ، ص ٣٤١.

٥٦ أحمد فؤاد عليان ، المهارات الغوية ، ص ٢٩ ـ ٣٠.

Dhaka University Institutional Repository

: إنه في الحقيقة لا يعلم شيء عن طفولة هذه اللغة إذ لم يوجد لها حتى الآن آثار منقوشة أو مكتوبة في مواطنها الأولى بنجد و الحجاز لتبين لنا حالتها الأولى و ما كان عليه من سعة أو ضيق . و أقدم ما عثر عليه من نصوصها لا يكاد يتعدى القرن الثالث الميلادي .

و ليس معنى هذا أن اللغة العربية أحدث من أخواتها السامية أو أنها لم توجد قبل المسيحية ، بل يؤكد لنا المستشرقون أن اللغة العربية المألوفة لنا و المعروفة لدينا و الممثلة أصدق تمثيل في الأدب الجاهلي و القرآن الكريم احتفظت بعناصر قديمة ترجع إلى السامية الأصلية اكثر عن أخواتها السامية الأخرى إذ فيها :

* ظاهرة الإعراب و نظامه الكامل مثل اللغة السامية الأصلية.
* و صيغ كثيرة لجموع التكثير التي احتفظت بها العربية دون ما عداها من أخواتها السامية . و غير ذلك من الظواهر اللغوية الكثيرة التي ذكرت في مميزات اللغات السامية قد احتفظت عليه اللغة العربية أكثر من الفروع الأخرى للغة السامية . و أما ندرة النصوص العربية فهي كانت بسبب شيوع الأمية في شبه الجزيرة العربية و قلة استخدام آلة الكتابة أو الاكتفاء بالارتجال و الحفظ .

اللهجات العربية

و مما تجدر الإشارة إليه في هذا الموضع أن الوحدة اللغوية التي صادفها الإسلام حين ظهوره و قواها القرآن الكريم بعد نزوله ما نفت ظاهرة تعدد اللهجات العربية التي كانت قبل الإسلام بل أبقتها و حفظت عليها كما كانت . و الواقع أن الإسلام صادف حين ظهوره لغة مثالية جديرة أن تكون أداة للتعبير عند خاصة العرب لا عامتهم . و القرآن بعد نزوله بلسان عربي مبين تحدى خاصة العرب و بلغاءهم على أن يأتوا قرآنا كاملا بمثله، قال الله تعالي: "فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين"[٥٧] وقال أيضاً: "قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات"[٥٨] أو سورة من مثله". فأتوا بسورة من مثله"[٥٩] على حين دعا العاملة إلى تدبر آياته و فقه عباراته

---

٥٧ القرآن الكريم ، ٥٢ :٣٣-٣٤.
٥٨ القرآن الكريم، ١١ : ١٣.
٥٩ القرآن الكريم، ٢:٢٣.

Dhaka University Institutional Repository

و فهم أساليبه . حيث قال الله تعالى : "و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر"[٦٠] و أعانهم على ذلك بالتوسعة في القراءات و مراعاة اللهجات حيث قال النبى صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف [٦١].

و من الواضح أن عامة العرب إذا عادوا إلى مناطقهم و مواطنهم لم يكونوا يتحدثون بتلك اللغة المثالية و إنما كانوا يعبرون بلهجاتهم الخاصة . و تظهر على تعبيرهم صفات لهجاتهم و خصائص ألحانهم .

قال ابن هشام : كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض و كل يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها . و من هنا كثرت الروايات في بعض الأبيات[٦٢]. فهذا ابن جنى على عنايته بدقائق الدراسة اللغوية عقد فصلا خاصا في كتابه "الخصائص" حول اختلاف اللغات ، و هو يقصد باللغات لهجات اللغة العربية .

و الحق أن العرب ـ ككل شعوب العالم ـ كانوا قبل الإسلام و بعده منقسمين إلى فئتين : فئة الخاصة التي كانت تهتم إلى صقل لغتها و تحسين لسانها . و فئة العامة التي كانت لا تبالي من فصاحة القول و بلاغة التعبير إلا قليلا بل كانت تتكلم تبعا لتقاليدها الثابتة و بيئاتها الجغرافية الخاصة [٦٣]. و مما لا ريب فيه أن البيئة الحضرية في مكة و المدينة كانت بضرورة الحال تختلف، لهجاتها عن لهجات البيئات البدوية المنعزلة التي لا تكاد تستقر على حال . يقول أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ الهجري) : "ما لسان حمير بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا".[٦٤] يقول د.صبحي الصالح : في كتابه" دراسات في فقه اللغة" أن لهجات العربية الباقية تنقسم إلى مجموعتين رئيسيتين عظيمتين إحداهما حجازية غربية أو كما تسمى أحيانا قرشية والأخرى نجدية شرقية أو كما تدعى أحيانا تميمية . فهذه القسمة الثنائية الرئيسية للهجات العربية الباقية هي الحد الأدنى لتلك المجموعة الواسعة من اللهجات العربية المنعزلة"[٦٥].

---

٦٠ القرآن الكريم ، ٤٠:٥٤.

٦١ وجلال الدين السيوطي ، المزهر ، ج ٢، ص ١٠١.

٦٢ المرجع السابق ، ص ٢٦١.

٦٣ د. إبراهيم أنيس ، اللهجات العربية ، ص٣٦.

٦٤ محمد دياب ، تاريخ آداب اللغة العربية (بيروت : دار العلوم و الفنون ١٩٦٧م) ، ج ١ ، ص ٩ و ما بعدها.

٦٥ د. صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص ٦٧.

Dhaka University Institutional Repository

فوجود اللهجات المختلفة في العربية الباقية أمر معترف لا يمكن لأحد إنكاره . و للغة العربية لهجات كثيرة لأن العرب كانت شعوبا و قبائل و بطونا و أفخاذا و عشائر و فصائل متشعبة . و كان لكل قبيلة لهجة تميزها عن الباقين . و بذلك كثرت اللهجات العربية و ظهر الاختلاف بينها و لكنه كان في الفروع و اللهجات لا في أصل اللغة التي كانت معترفة لدى القبائل العربية جميعا .

و فيما يلي بعض من اللهجات المشهورة المستعملة لدى العرب [٦٦]:

* الكشكشة في لهجة ربيعة و مضر : و هي زيادة شين بعد كاف المخاطبة في الوقف أو في الوقف و الوصل جميعا أو جعل الشين مكان هذه الكاف مع كسرها في الوصل و الوقف . فيقولون : "رأيتكش" أو "رأيتش" في "رأيتك".
* الكسكسة في لهجة ربيعة و مضر : و هي زيادة السين بعد كاف المخاطب، أو مكانها (نسبها الحريرى لبكر لا لربيعة و مضر) فيقولون : "رأيتكس" أو "رأيتس" في "رايتك" .
* شنشنة اليمن : و هي ابدال الكاف شينا مطلقا فيقولون : "لبيش" في "لبيك" و "شلمنى" في "كلمنى" .
* القطعة في لغة طى : و هي قطع اللفظ قبل تمامه فيقولون : في "يا أبا الحكم" "يا أبا الحكا" بحذف الميم.
* طمطمانية حمير : والطمطمة أن يكون الكلام مشبهالكلام العجم . و الطمطمانية هي إبدال لام التعريف ميما و من ذلك "ليس من أمبر أمصيام في أمسفر". و في الأصل كانت العبارة : "ليس من البرّ الصيامُ في السفر" ، و في اللغة : الطمطم و الطمطمانى هو الذي في لسانه عجمة و العى الذي لا يفصح.
* فخفخة هذيل : و هي قلب الحاء عينا مثل "عتى" في "حتى" .
* عجعجة قضاعة : و هي قلب الياء المتطرفة بعد عين جيما مثل "الساعج" في "الساعى" .
* غمغمة قضاعة : و هي إخفاء الحروف عند الكلام فلا تكاد تظهر .

---

٦٦ د. محمد عبد المنعم خفاجي و د.صلاح الدين محمد عبد التواب ، الحياة الأدبية في عصرى الجاهلية و الإسلام (القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٣م) ص ٣٥ ـ ٣٦.

Dhaka University Institutional Repository

* عنعنة تميم و قيس : و هي جعل الهمزة المبدوء بها عينا مثل "عنت كريم" في "أنت كريم" و الأفرنج يعكسون فيقلبون العين همزة فيقولون : "ألى" في "على" .
* الأستنطاء في لغة سعد و الأزد و قيس و الأنصار : و هو قلب العين الساكنة نونا قبل الطاء نحو "أنطى" في "أعطى".
* تلتلة بهراء من تميم : و ينسبها ابن فارس إلى أسعد و غير هم و هي كسر أحرف المضارعة و قيل كسر تأء "تفعلون".
* و هم كلب : و هو كسر هاء الغيبة إذا لم يكن قبلها ياء ساكنة و لا كسرة مثل منهم ، عنهم .
* و كم ربيعة : و هو كسر كاف الخطاب في الجميع قبل ياء أو كسرة مثل: عليكم .
* و تم اليمن : و هو إبدال السين المهملة تاء مثل "النات" في "الناس".

سيادة لهجة قريش بين اللهجات العربية :

لم يكن المتكلمون بالعربية الباقية طائفة واحدة رغم انتسابهم إلى العرب و لكنهم كانوا قبائل كثيرة متفرقة في أنحاء الجزيرة العربية . و لكل قبيلة بيئة جغرافية و ظروف طبيعية و عادات اجتماعية خاصة تختلف عما عداها من القبائل . و كذلك كل واحد من هذه القبائل تمتاز بالثقافة والمعرفة و التفكير و التدبر التي تكثر أو تقل عن قبيلة أخرى.

و من المعلوم أن اللغات إذا انتشرت في مساحة كبيرة من الأرض و استعملتها طوائف من الناس ذات أنماط مختلفة استحال عليها حينئذ الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمدا طويلا حتى تصبح لهجات متعددة تختلف كل منها عن الأخرى في كثير من مظاهر الأصوات والمفردات و التركيب و القواعد و الدلالة والمعاني .

و العربية الباقية و التي نحن بصدد الحديث، عنها ينطبق عليها هذا القانون العلمى و هذه الحقيقة الثابتة كما تنطبق على غيرها . فقد انشعبت اللغة العربية منذ أقدم عصور التاريخ إلى لهجات متنوعة يختلف كل منها عن الأخرى في المظاهر الصوتية و المفردات و التراكيب و القواعد والدلالة و ما إلى ذلك . و أصبحت كل قبيلة متحدة في الظروف الاجتماعية و الطبيعية تختص بلهجة خاصة من هذه اللهجات .

Dhaka University Institutional Repository

و قد أتيح لهذه اللهجات المختلفة فرص كبيرة للاحتكاك حيث أن أصحاب اللهجات المختلفة كانوا يجتمعون في الأسواق (سوق عكاظ ، ذو المجاز و مجنة) للتجارة و إلقاء الأشعار و الخطب و يأتون إلى مكة لأداء الحج و يشتركون في المعارك والحروب والغارات . و هذه أحدثت فرصة و سبيلاً لتصارع اللهجات فبادت اللهجة الضعيفة و انتشرت اللهجة القوية . و ما زالت اللهجات تتصارع على مر الأيام و توالى السنين حتى كتب للقرشية التغلب في أخر الأمر . فطغت على جميع اللهجات الأخرى في المحادثة و استأثرت بميادين الأدب شعرا و نثرا و خطابة في مختلف القبائل العربية فأصبحت القبائل تؤلف النثر و الخطابة و تنظم الأشعار بلهجة قريش لعوامل عديدة.

العامل الديني :

من بين هذه العوامل العامل الديني . فقد كانت لقريش مكانة دينية ممتازة لقيامهم بسدانة البيت الحرام الذي يفد إليه معظم القبائل لتقديم قرابينهم و تقديس آلهتهم و أداء حجهم فيختلطون بقريش و يتصلون بها فيتأثرون بلهجاتها و يأخذونها و يستخدمونها عند المكالمة و بذلك سادت لهجة قريش على بقية اللهجات [٦٧].

العامل الاقتصادي :

و العامل الاقتصادي من أهم العوامل لسيادة لهجة قريش على بقية اللهجات حيث كان زمام التجارة في أيدي قريش فكانوا يسافرون إلى الشام صيفا و إلى اليمن شتاء كما جاء في التنزيل "لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف"[٦٨] و يجلبون البضائع و يوزعونها على القبائل العربية الأخرى . و بفضل هذا النشاط التجاري أصبح زمام الثروة في أيديهم . فمن الضرورة قبائل العرب كانوا يتصلون مع قريش و يختلطون معهم لدفع حاجاتهم الاقتصادية و يتأثرون بلهجة قريش و يستخدمونها في آدابهم و أشعارهم و خطبهم . و هذا من المسلم أن لاقتصاد الدولة المتقدمة تأثيراً بالغاً على لغة الدول الفقيرة و النامية . و تلبية لهذه الحقيقة سادت لهجة قريش على بقية اللهجات .

---

٦٧ جلال الدين السيوطى ، المزهر ، ج١ ، ص٢٢١ .

٦٨ القرآن الكريم ، ١٠٦ : ١ ـ ٢ .

Dhaka University Institutional Repository

العامل السياسي :

و من أهم العوامل لسيادة لهجة قريش هو العامل السياسي . و هذا الأمر كان من المسلم و الثابت أن قريشاً كانت أكثر ثقافة و معرفة من القبائل الأخرى . و كان لهم رقى علمي و تطور فكرى بجانب سلطانهم الديني . و كان في أيديهم زمام التجارة والاقتصاد لكافة العرب فاكتسبت منزلة دينية و سياسية[٦٩] . و هذه الأسباب كلها أنبتت لهم اقتدارا و نفوذا على العرب جميعا و كذلك أثبتت لهم السلطان السياسي . نتيجة لهذا كان العرب بالضرورة يتصلون مع قريش و يلجئون إليها في المشاكل السياسية والحربية الثنائية و يتحدثون بهم لحل المشاكل فيتأثرون بلغتهم . و بذلك سادت لهجة قريش على بقية اللهجات .

العامل اللغوي :

إن قريشا عملوا في تقدم لغتهم و قاموا بتهذيبها و نموها و جعلها غنية و واسعة فأضافوا إليها ما هي في مسيس الحاجة إليه . و لقد أكد الفراء (ت ١٦٠هـ) إمام الكوفة في اللغة و النحو صفاء لغة قريش و أوضح أسرار ذلك الصفاء بقوله : "كانت العرب في الجاهلية تحضر الموسم في كل عام و تحج البيت و قريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوا من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب و خلت لغتهم من مستقبح الألفاظ[٧٠] . ولهذا كله كانت لهجة قريش أوسع اللهجات العربية ثروة و أغزرها مادة و أرقها أسلوبا و أقربها إلى الكمال و أقدرها على التعبير في فنون القول المختلفة . و هكذا سادت لهجة قريش على بقية اللهجات.

فهذه العوامل مجتمعة هيأت للغة القرشية سبيل الفوز و الغلبة على اللهجات الأخرى و مكنتها من أن تصبح لغة العرب جميعا.

أدوار اللغة العربية :

مرّتْ اللغة العربية بأدوار متعددة خلال تهذيبها و تطوّرها و تقدمها و نمائها و وصولها من حال طفولتها إلى هذه الدرجة التي نحن وجدناها . و فيما يلي بيان تلك الأدوار بالاختصار :

*** الدور الأول :**

---

٦٩ الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج ٣ ، ص ١٢٧.

٧٠ جلال الدين السيوطى ، المزهر ، ج١ ، ص ٢٢١ .

Dhaka University Institutional Repository

سبق أن ذكرنا أن المراد من الغربية الجنوبية من اللغة السامية هي العربية الجنوبية و الشمالية . أما العربية الجنوبية فالعلماء يطلقون عليها اسم اليمنية القديمة أو القحطانية و يسمونها أحيانا باسم إحدى لهجاتها فيقولون : المعينية أو السبئية .

و المعينيون بعد هجرتهم من العراق إلى اليمن انحرفت لغتهم البابلية و تغيرت نوعاً ما . ثم استقلت فتسمت باللغة المعينية . و توارثها السبئيون فتحولت و صارت لغة جديدة و هي اللغة السبئية .

ثم استخدمها الحميريون إلا أنها اكتسبت صفات جديدة و تبدلت، شينا على مر الزمن و تبدل الحياة والمعيشة فتسمت، باللغة الحميرية . والحميريون هم الذين تولى الحكم في اليمن و تغلب على السبئين عام ٤٠٠ بعد الميلاد[٧١]. ثم هاجر إسماعيل عليه السلام إلى مكة و أقام بها و كان لسانه عبرانيا و جاور جرهم الثانية القحطانيتة و خالطها و صاهرها و تكلم بلغتها و ترك استخدام اللغة العبرانية فنشأت اللغة القحطانية و تكلم بها أولاده و أحفاده . و بذلك نشأت اللغة العدنانية. و اللغة العدنانية كانت لغة شمال العرب أى لغة الحجاز و نجد . و لهذا سميت العدنانية بالعربية الشمالية .

و هي التي تغلبت، على ألسنة أهل اليمن .[٧٢] و هناك نوعان للغة الحميرية اليمنية و هما (١.) الحميزية القديمة و(٢.) الحمرية الحديثة . فبين الحميرية القديمة (اليمنية القديمة) و العدنانية (العربية الشمالية) فرق كثير حتى لا يفهم أهل اللغتين بعضها بعضا . و من ذلك صح قول من قال : إن لغة حمير ليست من العربية من شيء[٧٣].

و أما الحميرية الحديثة فهي متطورة من الحميرة القديمة تطورا أدى إلى اقترابها من لهجات عرب الشمال حتى صارت بعد تغلب العربية الشمالية عليها إحدى لهجات العربية الشمالية .

---

٧١ أبو سكين ، فقه اللغة ، ص ٧٦.

٧٢ د. محمد عبد المنعم خفاجى و د. صلاح الدين محمد عبد التواب ، الحياة الأدبية في عصرى الجاهلية والإسلام ، ص ٢٥.

٧٣ د. أبو سكين ، فقه اللغة ، ص ٨٩.

Dhaka University Institutional Repository

و من ذلك صح قول من يرون اتحاد هاتين اللغتين أو تقاربهما[٧٤]. و منذ ذلك الحين أصبح اللسان اليمنى لسانا عربيا خالصا . فقضى العربية الشمالية على العربية الجنوبية .

و المراد بالعربية الشمالية هي العربية الباقية التي ما نزال نستخدمها في الكتابة و التأليف و الأدب نثراً كان أو نظماً و الفنون و هي التي كانت لغة أهل الحجاز و اليمن قبل ظهور الإسلام و التي وصلت إلينا عن طريق القرآن الكريم والسنة النبوية و الأشعار الجاهلية، و هناك شعبة أخرى للعربية الشمالية و هي التي سميت، بالعربية البائدة . لأنها بادت لهجاتها (الثمودية و الصفوية و اللحيانية) قبل الإسلام و ظهر على آثارها الطابع الآرامي لبعدها عن المراكز العربية الأصلية بنجد و الحجاز[٧٥].

*** الدور الثاني**

و من المعلوم أن اللغة إذا انتشرت في مساحة كبيرة من الأرض و استعملتها طوائف من الناس ذات أنماط مختلفة استحال عليها حينئذ الاحتفاظ بوحدتها الأولى حتى تصبح لهجات عديدة و لكن لاجتماع القبائل و اختلاط بعضهم مع بعض في مختلف المناسبات أثر كبير في تهذيب اللغة و رقيها.

و اتباعا لهذه الحقيقة لم يكن المتكلمون بالعربية الباقية طائفة واحدة رغم إنتسابهم إلى العرب و لكنهم كانوا قبائل كثيرة متفرقة في أنحاء الجزيرة العربية . و لكل قبيلة كانت لهجة تختلف، عن لهجة قبيلة أخرى و ذلك لاختلاف بيئتهم الجغرافية و ظروفهم الطبيعية و الاجتماعية و القافية.

و للحج أثر كبير في اختلاط القبائل العربية بعضها ببعض و تفاهمها و تقارب لغاتها و بالأخير في تهذيب اللغة العربية حيث أن العرب كانوا يحجون إلى الكعبة كل عام و يفدون إليها لتقديم قرابينهم و تقديس آلهتهم . و كانت لقريش مكانة دينية ممتازة لقيامهم بسدانة البيت الحرام فتتصل بهم و يتصلون بها و كان القرشيون على قسط من المعرفة و الرقى الفكري و فيهم ذوق و لهم ملكات ناضجة في النقد اللغوي فكانوا يميزون بين اللهجات والألفاظ و يقتبسون من لهجات القبائل أعذبها و من ألفاظها أسهلها و أفصحها فيضيفون ذلك إلى لغتهم

---

٧٤ المرجع السابق ، ص ٨٩.

٧٥ د. صبحى الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص ٥٥.

Dhaka University Institutional Repository

فيهذبونها حتى خلت من الألفاظ السقيمة و اللهجات التافهة . فكما أن قريشا تأخذ من لهجاتهم كذلك القبائل الوافدون يتأثرون بلهجة قريش و يأخذون منها . فتهذبت اللغة العربية و تطورت و نمت.

*** الدور الثالث**

و للتجارة أثر كبير في تهذيب اللغة العربية حيث أن قريش كانوا يرحلون إلى الشام و اليمن و فارس والحبشة لقصد التجارة . و يأخذون من لغات هذه الأمم بعض ألفاظها و يدخلونها في لغاتهم بعد أن ينطقوا نطقا عربيا فصيحا و هو ما نسميه نحن بالتعريب . حتى استخدم عدد من الكلمات غير العربية في القرآن الكريم . قال الإمام الفخرالدين الرازي[٧٦] في تفسيره : ما وقع في القرآن من نحو المشكاة و القسطاس والاستبرق و السجيل هي عربية معربة[٧٧]. و بذلك زادت ثروة اللغة العربية القرشية و قلدت القبائل الأخرى قريشا في ذلك و حاكتها في لغتها و أخذت عنها و هكذا صارت اللغة العربية أوسع اللغات مادة و ألفاظا و أعذبها أسلوبا[٧٨].

*** الدور الرابع**

و للأسواق العربية تأثير بالغ في تهذيب اللغة العربية و هذه الأسواق كانت ميدانا لاجتماع العرب و كانت سببا في التقريب، بين لغاتهم و لهجاتهم و في دعم وحداتهم اللغوية . و تعتبر هذه الأسواق مجتمعا أدبيا كبيرا حيث كان يجتمع فيها الشعراء الكبار من مختلف القبائل و يقولون أشعارا في مدح و هجاء و في حب و فراق و في صيد و وصف و في تفاخر و حماسة . و الخطباء العظام يخطبون خطبة مملوءة بالحكم البالغة و المواعظ الحسنة و الأمثال القيمة . و الناس من مختلف القبائل يجتمعون حولهم و يستمعون إلى أشعارهم و خطبهم فيتأثرون بعواطفهم و انفعالاتهم و يأخذون من ألفاظهم الجيدة و أساليبهم العذبة و بلاغاتهم الفائقة فيهذب كل واحد لغته متأثرا بهذه الأشعار و الخطب و بالأساليب و البلاغات .

---

٧٦ الرازي : فخر الدين (ت ٦٠٦هـ/١٢١٠م) إمام مفسر، متكلم و فيلسوف، واسع المعرفة بعلوم المعقول و المنقول .المنجد في اللغة و الأعلام ،ص ٢٥٩.

٧٧ جلال الدين السيوطى ، المزهر ، ج ١ ، ص ٢٦٦.

٧٨ د. محمد عبد المنعم خفاجى و د. صلاح الدين محمد عبد التواب ، الحياة الأدبية في عصرى الجاهلية والإسلام ، ص ٣٠.

Dhaka University Institutional Repository

و الأسواق التي كانت سائدة في العصر الجاهلي من أشهرها سوق عكاظ (قريبة من الطائف و مكة) و هي س،ق عامة يحضرها العرب جميعا و أما الأسواق الأخرى فهي ذو المجاز و مجنة و هما من الأسواق المحلية .

و يروى أن المعلقات أنشدت في سوق عكاظ . و كبار الشعراء العرب كانوا ينشدون قصائدهم في هذه الأسواق خاصة في سوق عكاظ . و فيها تنقد أشعارهم فيفضل النقاد بعضهم على بعض آخر. حيث قام النابغة الذبياني(-- ١٨ق هـ/-- ٦٠٥م) (فيما زعموا) بنقد قول حسان بن ثابت .

"لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى * و أسيافنا يقطرن من نجدة دما .

قال لحسان : لو قلت الجفان لكان أكثر ، و كذلك قلت : يلمعن بالضحى و لو قلت يبرقن بالدجي لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر [٧٩]. فقد كان لهذه الأسواق عملها اللغوي في الفهم و النقد و التفضيل والاختيار و الأخذ والإعطاء ثم في التبادل اللغوي بين القبائل عامة مما كان له أثر كبير في تهذيب اللغة العربية .

*** الدور الخامس**

ثم جاء الإسلام و أنزل القرآن بلغة قريش فجمع العرب عليها و هذبها و جعلها أفصح اللغات و نشرها في كافة أنحاء العالم و جعلها لغة عالمية بعد أن كانت لغة العرب و حدهم . و بالقرآن تمت سيادة لغة قريش على لغة جميع القبائل الأخرى و لهجاتهم .

و ازدادت أهداف اللغة العربية و أغراضها و توسع استخدمها بتأثير الدين الجديد والقرن الكريم فقد استعملت في شرح العقيدة الإسلامية و الدعوة إليها كما استعملت في تنظيم الملك و نشر الأمن و إقامة العدل بين الناس ، و كذلك استخدمت في شئون الثقافة و المعرفة والحضارة الجديدة و في إرشاد الناس إلى أحكام دينهم و تذكيرهم بأوامر الله و نواهيه .

و نتيجة لتأثير القرآن و الدين الجديد ظهر في معاني اللغة العربية الدقة و العمق والتفكير و الفهم بما أفاده المسلمون من ثقافة القرآن والدين كما اتسعت مادة المعاني باتساع المشاهدات و المنظر والمعقولات و المعنويات .

---

٧٩ د. محمد عبد المنعم خفاجي و د. صلاح الدين محمد عبد التواب ، الحياة الأدبية في عصرى الجاهلية والإسلام ، ص ٣١.

Dhaka University Institutional Repository

و أما أسلوب اللغة العربية فقد شاعت فيه العذوبة والسلاسة بجانب الجزالة و القوة و الجمال و الوضوح .

و بطل سجع الكهان و الفجر في الأسلوب بتأثير القرآن الكريم فصار كريما سمحا ينطق عن عاطفة دينية قوية و يصور حياة روحية واسعة [٨٠].

و هناك ألفاظ كره الإسلام مدلولها وأحبط آثارها فبطلت مهمتها و انقضى عملها فأصبحت لا تستخدم و من تلك الألفاظ "عم صباحا" أو "عم مساء" فقد أبدلها الإسلام بلفظ السلام .

و هناك ألفاظ كثيرة وعناصر عديدة التي أحبها الإسلام و أوجد لها معاني جديدة فاستخدمت في اللغة العربية . مثل الصلاة و الصيام والزكاة و الركوع و السجود والتوحيد والرسالة والأيمان و المؤمن والكافر والفاسق و المنافق و الظهار و الإيلاء و العدة و النفقة و ما إلى ذلك [٨١]. فالقرآن الكريم و الحديث النبوي والإسلام أعادت اللغة العربية و حدتها و أهدت لها معاني جديدة و ألفاظا كثيرة و أساليب جيدة و بذلك تطورت اللغة العربية و تهذبت و أصبحت أغنى لغات العالم كلها.

---

٨٠ د. صلاح الدين محمد عبد التواب ، الأثر القرآنى في الصور الأدبية ، رسالة ماجستير (المدينة : مكتبة كلية اللغة العربية ، ١٩٧٨) ، ص ١-٦.

٨١ المرجع السابق ، ص ٢٧٥.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الثالث : خصائص اللغة العربية و أهميتها

يكفي للغة العربية فضلا أنها لغة القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف، و هي كذلك متميزة ببيانه المعجز الذي تحدى فصحاء العرب جميعا إلى يومنا هذا . و هي تمتاز بمميزات كثيرة و خصائص عديدة التي جعلتها أرقى اللغات السامية رتبة و أهمية . فلا تعاد لها اللغة الآرامية و لا العبرية و لا غيرهما من فروع اللغات السامية .

و كذلك تعتبر اللغة العربية من أرقى لغات العالم فهي تمتاز بكثرة مرونتها و سعة اشتقاقها حتى عن اللغات الهندية الأوربية المشهورة .

جدير بالذكر أن الحديث عن خصائص اللغة العربية لا يعنى أنها تنفرد بهذه الخصائص و لكن المقصود هنا أن هذه الخصائص تظهر في العربية بصورة متميزة . و فيما يلي المقصود هنا أن هذه الخصائص تظهر في العربية بصورة متميزة . و فيما يلي نذكر من أهم خصائص العربية .

*** إنها لغة اشتقاق :**

و من الواضح أن ظاهرة الاشتقاق بأنواعها الثلاثة أكثر وضوحا في اللغة العربية . و هي التي جعلت العربية أوفر اللغات كلمة و أوسعها لفظا . يقول العقاد[٨٢] : "فإذا ما يشتق من كلمة عربية من صيغ متعددة لكل صيغة دلالة على معنى خاص بما يقابلها من كلمة أجنبية و ما يشتق منها كانت اللغة العربية في ذلك أوفر و أغنى"[٨٣].

معنى الاشتقاق :

معناه في اللغة أخذ شق الشيء يعني نصفه . و معناه من الناحية الصرفية أخذ كلمة من كلمة أخرى[٨٤]. و أشار إلى هذا المعنى الحديث القدسي الذي رواه الإمام أحمد

---

٨٢ العقاد : عباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤م) شاعر مجدد، ناقد و صحافي مصريّ . المنجد في اللغة و الأعلام ، ص ٣٧٦.

٨٣ أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ذكر جزء من هذا الكتاب باسم منزلة اللغة العربية بين اللغات في العربي المنتخب لصف الفاضل من المدارس الدينية ، بنغلاديش ، (داكا : مكتبة الحق، ١٩٩٠م) ، ص ١٠٢.

٨٤ مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية ، المعجم الوسيط ، (استنبول : دار الدعوة ، ١٩٨٦م)، ص ٤٨٩.

Dhaka University Institutional Repository

في مسنده[٨٥] بسنده عن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "قال الله عز و جل : أنا الرحمن ، و أنا خلقت الرحم و شققت لها من اسمى اسما فمن وصلها وصلته و من قطعها قطعته".

و في الاصطلاح هو أخذ لفظ من آخر و بناء كلمة من كلمة أخرى بطريقة معينة و نظام مقرر الذي وضعه العرب .

و الأشتقاق ينقسم إلى ثلاثة أقسام .

* الاشتقاق الصغير
* الاشتقاق الكبير
* الاشتقاق الأكبر

الاشتقاق الصغير :

و هذا القسم أكثر أنواع الاشتقاق ورودا في اللغة العربية . و هو الذي تكون فيه الصيغة المشتقة متفقة مع الصيغة المشتق منها في المادة الأصلية و هيئة التركيب و تربطها معنى مشترك عام و بعبارة أخرى هو ما يشترك فيه اللفظان المشتق و المشتق منه في الحروف الأصلية و الترتيب بغض النظر عن الحروف الزائدة و يربطها معنى مشترك عام . فهناك رابطة معنوية عامة التي تربط الصبغ المشتقة بالمادة الأصلية . فالرابطة المعنوية العامة لمادة "عرف" مثلا : "انكشاف الشيء و ظهوره" توجد في جميع الكلمات التالية : عرف ، غرف ، يعرف ، تعرف ، عرفان ، معرفة و غير ذلك من الكلمات . و هذا النوع من الاشتقاق جعل اللغة العربية أوسع اللغات مادة و أغناها كلمة . لكن السؤال هل هذا الاشتقاق جعل اللغة العربية أوسع اللغات مادة و أغناها كلمة . و لكن السؤال هل هذا الاشتقاق خاص باللغة العربية أم توجد في غيرها من اللغات ؟ نعم ، توجد هذه الظاهرة في غيرها أيضا و لكن ليس على نفس الدرجة من الشيوع و الدقة "و بسبب هذا الاشتقاق كثرت أوزان كلمات اللغة العربية و تنوعت حتى وصلت إلى حوالي ألف و مأتي و عشرة[٨٦].

الاشتقاق الكبير :

---

٨٥ الإمام احمد ، مسند إمام احمد ، (لبنان : دار العلم للملائين ، د ت) ج١، ص ١٩٤.

٨٦ جلال الدين السيوطى المزهر في علوم اللغة ، ج٢ ، ص ٢١٣.

Dhaka University Institutional Repository

و هو ما يشترك فيه اللفظان المشتق و المشتق منه في المعنى العام و الحروف الأصلية دون ترتيبها . و هذا المعنى العام يربط الكلمات الست التي تشتق من أصل ثلاثي بالتقليب السنة مثل مادة "سلم "يمكن أن يشتق منه الكلمات الآتية : سَلِمَ. سمَل ، مَسل ، مَلس ، لسَم ، لمَس . قال ابن جني[٨٧] في كتابه الخصائص بعد ما مثل على الاشتقاق الكبير بهذه الكلمات الست مهما تقلبت و اختلفت ترتيبها الصوتي فإن المعنى الجامع لها المشتمل عليها هو الملائنة .وهذا المعنى العام يربط الكلمات الست.[٨٨]

فالسلم و منه السليم الذي ليس فيه عيب تقف النفس عليه. و السمل هو الثوب الخلق الذي ليس عليه وبر . فاليد تمر عليه من غير مانع . و المسل أي المسيل و هو ما يجري فيه الماء بلا أي مانع . و الملس و منه الألمس و هو ما لا يعترض على الناظر . و اللمس ومنه الملموس وهو الذي لمسته اليد بلا حائل . و اللمس و النسم بمعنى واحد لأن النون أخت اللام و منه النسيم وهو الريح التي مرت مرا سهلا[٨٩] .

بعد إمعان النظر في معاني هذه الكلمات الست يظهر لنا أن لها رابطة بالمعنى العام "الملائنة" ولكن في بعضها بصورة واضحة و في بعضها بصورة خفية [٩٠] .

الاشتقاق الأكبر : وهو التناسب بين اللفظين المشتق والمشتق منه في المعني مع الاتحاد في بعض الحروف شريطة أن يكون بين الحروف المختلفة الباقية تناسب في المخرج و الصفة . مثل مدحت و مدهت و هذان اللفظان يتناسبان في معنى الثناء و يتحدان في بعض الحروف أى الميم و الدال . و تتناسبان في صفة حرف الحاء و الهاء و مخرجهما حيث أنهما حرفان حلقيان .

واللغة العربية هي أوسع اللغات بكثرة المجاز . فالكلمة الواحدة بجانب تنوع معانيها لاختلاف صور الاشتقاق تستخدم للمعاني المجازية الكثيرة . و هذا أيضا يعتبر من أنواع الاشتقاق و لكنه اشتقاق المعنى لا اشتقاق الكلمة . على سبيل المثال كلمة "ضرب" . فهذه الكلمة تستخدم للمعاني المجازية الكثيرة . فيقول العرب :

---

٨٧ ابن جني (عثمان) (٩٤٢-١٠٠٢):نحوي بصري صحب أبا علي الفارسي ، من أحذق أهل الأدب و أعلمهم بالنحو و التصريف كان صديقا للمتنبي ، المنجد في اللغة والأعلام ص، ٦.

٨٨ أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص (بيروت : دار الكتاب العربي ١٩٥٢م)ج١،ص٥٢٥-٥٣١

٨٩ جرجى زيدان ، الفلسفة اللغوية والألفاظ القرآنية (القاهرة : دار القرآن ١٩٠٤م)ط٢،ص ٣٠٩.

٩٠ عبد القادر المغربي ،الاشتقاق و التغريب (القاهرة : لجنة التأليف و الترجمة والنشر ١٩٤٧م)ط٢،ص١٦٧.

Dhaka University Institutional Repository

* ضرب الدراهم و الدنانير أي صكها . * و اضطرب خاتما من ذهب أي أمر أن يصاغ له . * ضرب في الأرض أي سار فيها مسافرا . * و ضربت الطير أي ذهبت . * ضرب في سبيل الله أي نهض . * و ضرب على يده أي كفه عن الشيء و منعه . * و أضرب عن العمل أي تركه . * ضرب البرد النبات إذا اشتد عليه البرد حتى يبس . * و الضريبة أي الصوف و القطن يضرب بالمطرقة . * و الضريب من اللبن إذا يحلب من عدة لقاح في إناء واحد فيضرب بعضه ببعض. * فلان ضريب فلان أي نظيره . و الضرباء أي الأمثال والنظراء . * الضرائب أي الأشكال . * حديث مضطرب و أمر مضطرب أي متردد . * ضاربه في المال مضاربة أي إعطاء أحد أحدا ما لا للتجارة . فالمضارب هو المعطى و المضارب هو المعطى [٩١].

*** اللغة العربية هي متميزة بظاهرة الترادف :**

الأصل في كل لغة أن يوضع فيها اللفظ الواحد لمعنى واحد و لكن تحدث في اللغة ظروف تؤدى إلى تعدد الألفاظ لمعنى واحد و هو ما يسمى بالترادف . فالترادف هو ألفاظ متعددة متحدة المعنى و بعبارة أخرى هو ما اختلف لفظه و اتفق معناه حيث تطلق عدة كلمات على مدلول واحد .

و اللغة العربية هي من أغنى لغات العالم بكثرة الكلمات المترادفة حيث تطلق فيها عدة كلمات على مدلول واحد . فمثلا : للسيف أكثر من ألف اسم و للأسد خمسمائة اسم و للداهية اكثر من أربعمائة اسم و للثعبان مائتا اسم و للعسل اكثر من ثمانين اسما [٩٢]. و نظر الشمول الترادف و اتساعه في اللغة العربية ألف الأصمعي في الترادف كتابا سماه "ما اختلفت .

نموذج للترادف بين المفردات :

و نذكر هنا من كتاب "الألفاظ المترادفة و المتقاربة المعنى" لأبى الحسن على بن عيسى الرماني بعضا من الكلمات المترادفة على حسب الاستشهاد. مثلا :

*** الكلمات المترادفة للفقر :**

أعوز و أفتر و أضاق و أمعد و أملق و عال و احتاج و أخنق وافتقر و ترب و أرحل و اختل و درج و أكدى و قنع و أزهد .

---

[٩١] أحمد أمين ، فجر الإسلام ، (ذكر جزء من هذا الكتاب باسم منزلة اللغة العربية بين اللغات في العربي المنتخب لصف القاصل من المدارس الدينية ، بنغلاديش) ص ١٢٠.

[٩٢] أبن منظور ، لسان العرب ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٨م) مادة ردف ، ص ٣١٥.

Dhaka University Institutional Repository

*** الكلمات المترادفة للغنى :**

السعة و الجدة و الثروة و الميسرة و اليسار و الزيد و الرياس والجدا و الأتراب و الوفر .

*** الكلمات المترادفة للعار :**

الشنار و الضيم و الصغار و الشين و المنقصة و الوكف والعاب والعيب و الدام و الزيم و الهجر و الأيمة و الوصمة و السبة[٩٣].

موقف العلماء من الترادف :

و قد اختلف اللغويون العرب في وقوع هذا الترادف التام في اللغة العربية . فهذا أبو على الفارسي[٩٤] يذكر لنا أنه كان بمجلس سيف الدولة بـ "حلب" و كان فيه جماعة من أهل اللغة و فيهم ابن خالويه[٩٥] فقال : أحفظ للسيف خمسين اسما فتبسم أبو على الفارسي و قال ما أحفظ إلا اسما واحدا و هو السيف . قال ابن خالوية : فأين المهند والصارم و كذا كذا فقال أبو على : هذه صفات و كان الشيخ لا يفرق بين الاسم و الصفة [٩٦]. و في الحقيقة أن الشيء الواحد : كالسيف أو الجمل أو الأسد مثلا : له اسم في قبيلة و اسم آخر في قبيلة أخرى و اسم ثالث في قبيلة ثالثة و هكذا .

و عند ما جمعت تلك الأسماء المستخدمة في مختلف القبائل أصبح لشي اسما كثيرا . يقول د.على عبد الواحد وافي : "إن احتكاك لغة قريش باللهجات العربية الأخرى نقل إليها مفردات هذه اللهجات . و أصحاب المعاجم لم يأخذوا عن قريش و حدها بل أخذوا عن قبائل أخرى كثير"[٩٧]. كما في العصر الحاضر ، فإناء الشرب مثلا : يسمى في بعض الأماكن كوز و في موضع آخر سطل و في مكان ثالث قعب و هكذا .

وجود الترادف في القرآن الكريم :

و مما يدل على وجود الترادف في اللغة العربية ، و قومه في القرآن الكريم حيث استعملت في القرآن كلمة جديدة مقتبسة من اللهجات الأخرى إلى جانب الألفاظ

---

٩٣ المرجع السابق ، ص ٦٦.

٩٤ الفارسيّ: (أبو علي) (ت ٩٨٧م) من أئمة النحاة ، ولد في ايران ، و عاش في بغداد. المنجد في اللغة و الأعلام ، ص ٤٠٢.

٩٥ ابن خالويهِ (الحسين)(ت ٩٨٠م) لغوي أصله من همذان ، درس في بغداد واختص بسيف الدولة و أولاده، المنجد ، ص ٧.

٩٦ رمضان عبد التواب ، فصول في فقه العربية ، (القاهرة : مكتبة الخانجى ، ١٩٨٠م) ، ص ٣١١.

٩٧ د. على عبد الواحد و افي ، فقه اللغة ، ص ١٧٢ – ١٧٤ .

Dhaka University Institutional Repository

القرشية الخالصة القديمة . على سبيل المثال : كلمتا "أقسم" و "حلف" في قوله تعالى :" و أقسموا بالله جهد أيمانهم" [٩٨]. و قوله تعالى : "يحلفون بالله ما قالوا و لقد قالوا كلمة الكفر" [٩٩]. و كذلك كلمتا "بعث" و "أرسل" في قوله تعالى: "و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا" [١٠٠]. و قوله تعالى: "و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"[١٠١].

و كذلك كلمتا فضّل و أثر في قوله تعالى: "تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض"[١٠٢] و قوله تعالى : "قالوا تاللهِ لقد آثرك الله علينا"[١٠٣]. فقريش كانت تستعمل في بيئتها اللغوية الخالصة إحدى الكلمتين من كل مجموعة من المجموعات الثلاثة المذكورة . و إنما اكتسبت اللهجة القرشية اللفظ الآخر من اختلاطها بلهجة أخرى . و هذه الأدلة القرآنية تدل قطعيا على وجود الترادف في اللغة الآخر من اختلاطها بلهجة أخرى . و هذه الأدلة القرآنية تدلّ قطعيا على وجود الترادف في اللغة العربية و إن كانت هناك فروق لغوية دقيقة بين الكلمات المترادفة التي تنوسيت فيما بعد [١٠٤]. و هذه الظاهرة سهل للمتكلم إظهار ما في ضميره بالطلاقة و هي لا يشعر أي مانع أثناء الخطابة حيث إذا غاب عنه لفظ كان بوسعه أن يأتي بمرادفه و إذا تعسر عليه تلفظ كلمة بعلة كالألثغ لجا إلى كلمة مرادفة كما فعل و اصل بن عطاء الذي لم يكن يحسن النطق بالراء فألقى خطبة بكمالها خلوا من الراء . و قد أدى و جود ظاهرة الترادف في اللغة العربية إلى عصمة الخطباء والكتاب من التكرار مثال ذلك قول معاوية "من لم يكن من بنى عبد المطلب جوادا فهو دخيل و من لم يكن من بنى الزبير شجاعا فهو لزيق و من لم يكن من ولد المغيرة تاها فهو سنيد" فلم يكرر كلمة دخيل بل ذكر في موضعها كلمتين مترادفتين .

و يروى عن المعتد بن عباد أنه وقف إثر جنازة ولده في محفل عظيم يجيب كل معز بعبارة جديدة مختلفة عن العبارات التي أجاب بها على من سبقوه [١٠٥].

---

٩٨ القرآن الكريم ، ٦ : ١٠٩.
٩٩ القرآن الكريم ، ٩ : ٧٤.
١٠٠ القرآن الكريم ، ١٧ : ١٥.
١٠١ القرآن الكريم ، ٢١ : ١٠٧.
١٠٢ القرآن الكريم ، ١٢ : ٢٥٣.
١٠٣ القرآن الكريم ، ١٢ : ٩١.
١٠٤ د. صبحى الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ .
١٠٥ محمد الخضر حسين ، المكتب الإسلامى ، (القاهرة : مكتبة دار الفتح ، ١٩٩٦م) ، ط ٢، ص ١٧٦.

Dhaka University Institutional Repository

*** اللغة العربية هي لغة الاشتراك**

و لا شك أن ظاهرة الاشتراك جعلت اللغة العربية أغنى و أوسع من حيث المفردات و المشترك هو اللفظ الواحد له أكثر من معنى . على سبيل المثال كلمة "حوب" لها أكثر من ثلاثين معنى . منها الأخت ، البنت ، الأم ، الإثم ، الحاجة ، المسكنة ، الهلاك ، الحزن ، الضرب ، الضخم من الجمال ، رقة الفؤاد و ما إلى ذلك .

و كذلك كلمة "الآلة" معناها : الأداة و عمود الخيمة و الحالة و الشدة : الحال و الشأن و الخاطر و الأمل . و كلمة "البأس" معناها : الخوف و الحرب و العذاب الشديد . و كلمة "الشأن" معناها : الحال و الأمر و المنزلة و القدرة و الحاجة . و كلمن "الدين" معناها : الملة و الطاعة و الجزاء و العادة [١٠٦].

و اختلف العلماء في وجود هذه الظاهرة في اللغة العربية . فمنهم من أنكروا و على رأسهم ابن دُرُستَوَيه[١٠٧] . و منهم معتدلون فهم لم ينكروا هذه الظاهرة أشد إنكار و لم يعترفوا بها كالمثبتين و على رأسهم أبو على الفارسي . و منهم من أقروا بهذه الظاهرة و على رأسهم الأصمعي[١٠٨] و أبو عبيدة[١٠٩] .

فأيا كان الرأى حوله فهو دليل على تطور مفهوم الألفاظ في اللغة العربية و هو الذي جعل اللغة العربية و سيعة في المعنى . و من أسباب وجود الاشتراك اختلاف اللهجات بين القبائل حيث و ضعت، الكلمة للدلالة على معنى عند قبيلة و وضعت نفس الكلمة للدلالة على معنى آخر مختلف عند قبيلة أخرى و هكذا . و عند ما ألفت المعاجم و تآلفت العرب على لغة واحدة أصبحت الكلمة تدل على كل من المعاني التي وضعت لها .

إن هذه الظاهرة لا تعد من خصائص اللغة العربية و حدها لأنها توجد قليلا أو كثيرا في غيرها من اللغات أيضا . مثلا في لغتنا البنغالية كلمة "راك" لها معاني متعددة [١١٠]. و في الحقيقة هذه الظاهرة قليل جدا في اللغة العربية و أن ما يبدوا من كثرته إنما سببه التوسع المجازى في المعنى و تنويع المعاني من دلالة واحدة .

*** اللغة العربية هي متميزة بظاهرة التضاد**

---

١٠٦ د. محمد صالح الشنطى ، المهارات اللغوية ، ص ٧٥.

١٠٧ ابن درستويه:(عبد الله)(٨٧١-٩٥٦م) فارسي أقام في بغداد،أحد النحاة المشهورين،تعلم على ابن قتيبة و المبرد . المنجد ، ص ٧.

١٠٨ الأصمعي : (أبو سعيد عبد الملك)(٧٤٠؟-٨٢٨؟) لغوي بصري من المشاهير . المنجد في اللغة والأعلام ، ص ٥٢.

١٠٩ أبو عبيدة: (مَعمَر بن المُثنّي)(٧٢٨-٨٢٣م)عالم باللغة والشعر من أهل البصرة. المنجد في اللغة و الأعلام ، ص ٢٠.

١١٠ أشوك مخفدى ، شنشد شمارتهـ شبدكوش ، (كلكته : مجمع اللغة ، ١٩٨٧م) ، ط١ ، ص ١٦٥.

Dhaka University Institutional Repository

و هذه الظاهرة من أهم خصائص اللغة العربية . و التضاد في الاصطلاح هو إطلاق اللفظ على المعنى و نقيضه . نذكر هنا نماذج من التضاد المختارة من "كتاب الأضداد" للأنبارى[١١١] : مثلا كلمة" المولى "تطلق على العبد و السيد . و كلمة "الشراء" تطلق على أخذ المبيع و إعطاء الثمن . و كلمة "البيع" تطلق على إعطاء المبيع و أخذ الثمن . و كلمة "الغريم" تطلق على المديون و الدائن . و كلمة "القسط" تطلق على العدل و الظلم [١١٢]. و اختلف العلماء في وجود ظاهرة التضاد في اللغة العربية . فمنهم من أنكروا و على رأسهم درستويه و منهم من أثبتوا و على رأسهم الخليل[١١٣] و سيبويه[١١٤] و أبو عبيدة و فريق ثالث منهم فلم ينكروه و لم يثبتوه بل ضيقوا دائرته بأن اشترطوا ألا يكون ناجما عن اختلاف اللهجات . و قد صنفت في التضاد مؤلفات كثيرة ذكرت فيها أمثلته . وأشهر هذه المؤلفات "كتاب الأضداد" لابن الأنباري الذي أحصى فيه أكثر من أربعمائة شاهد [١١٥].

رأى المجمع اللغوي في التضاد

أيا كان الاختلاف حوله فان ما ثبت من كلمة التضاد ليست كثيرة . و يعتمد في تحديد معناها على السياق و القرينة و وجودها في المعجم و قد يحتاج إلى فهم النصوص القديمة . رغم كل ذلك فالتضاد يعتبر من مظاهر اتساع اللغة العربية . و هذه الظاهرة و إن كانت قليلة في اللغة العربية و لكنها تعتبر من خصائص اللغة العربية فقط ، و لا توجد في غيرها من اللغات [١١٦].

*** اللغة العربية هي متميزة ببناء الصيغ المختلفة**

و هذه الظاهرة من أهم خصائص اللغة العربية . و عن طريق بناء الصيغ المختلفة يمكن تشكيل قدر كبير من الكلمات من أصل واحد . مثل : سمع ، يسمع ، اسمع ، سامع ، سماع ، سميع ، سمع ، سماعة ، اسمع ، مسموع ، مستمع و ما إلى ذلك من الصيغ . و هذه الظاهرة قد أكسبت العربية مرونة ممتعة بإيجاد ألفاظ

---

١١١ ابن الأنباري: (أبو البركات) (١١١٩-١١٨١م) نحوي لغوي ، درّس في بغداد . المنجد في اللغة و الأعلام، ص ٤.

١١٢ ابن الأنبارى ، كتاب الأضداد ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (الكويت : دار الفنون ١٩٦٠م) ، ص ١٧.

١١٣ الخليل بن أحمد: (ت نحو ٧٨٦) أشهر علماء اللغة ، وواضع علم العروض ، من أهل البصرة ، معلم سيبويه والأصمعي.المنجد في اللغة و الأعلام، ص ٢٣٤.

١١٤ سيبَوَيه: (أبو بشر عَمرو بن عُثمان) (ت نحو ٧٩٦) نحوي ولد في البيضاء قرت شيراز و نشأ في البصرة .المنجد، ص ٣١٨.

١١٥ د. محمد صالح الشنطى ، المهرات اللغوية ، ص ٧٣.

١١٦ عبد الفتاح المصري ، قطوف لغوية (دمشق : دار ابن كثير ١٩٨٧م) ص ١١٢.

Dhaka University Institutional Repository

جديدة مثل كلمة مذياع للراديو بنيت من كلمة أذاع و كلمة الهاتف للتلفون بنيت من كلمة هتف . و بذلك حافظت هذه الظاهرة على ثروة اللغة العربية و حماها من الزيغ و الشطط . و توجد هذه الظاهرة في اللغات الأخرى أيضا . مثلا في اللغة الإنكليزية و اللغة البنغالية و لكن ليست بقدر كبير مثل اللغة العربية . لان كل صيغة في اللغة العربية مرتبطة مع صيغة أخرى في الحروف الأصلية و المعنى في حين لا ترتبط جميع الصيغ في لغة أخرى بعضها مع بعض . ففي العربية تشتق كلمة مكتبة من الكتاب و بينهما رابطة قوية ، بينما لا علاقة بين كلمة **Book** التي تعنى كتاب و بين كلمة **library** التي تعنى مكتبة في اللغة الإنكليزية .

و كذلك الصيغة المأخوذة من أصل واحد في اللغات الأخرى لا تدل على موضع وقوع الفعل أو على آلة إحداث الفعل بالقدر الكبير الذي تدل عليهما في اللغة العربية . على سبيل المثال كلمة مفتاح "**key**" من الفتح "**opening**" مكتبة "**library**" من الكتاب "**book**" فهناك رابطة بين الفتح والمفتاح و بين المكتبة و الكتاب بينما لا علاقة بين كلمتي **key** و opening و بين كلمتي **library** و **book** [١١٧] .

*** اللغة العربية هي لغة قلب و حذف**

و من خصائص اللغة العربية أنه إن ثقل فيها تلفظ كلمة ما بسبب حرف أو حركة معينة يمكن تسهيلها بتغيير هذا الحرف أو الحركة بحرف آخر مناسب أو حركة أخرى مناسبة أو بحذف هذا الحرف أو الحركة .

على سبيل المثال : كلمة "ميزان" و كان حقها أن تكون "موزان" و لكن ثقل تلفظ هذه الكلمة بسبب وقوع الواو بعد كسرة فقلبت الواو ياء فسهل تلفظ الكلمة .

و كذلك كلمة "يقول" و كان حقها أن تكون "يقول" و لكن ثقل تلفظ هذه الكلمة بسبب الضمة على الواو فنقلت ضمة الواو إلى ما قبلها فأصبحت "يقول".

و كذلك كلمة "إن تقل" و كان من حقها أن تكون "إن تقول" و لكن ثقلت بسبب اجتماع الساكنين بين الواو و اللام فحذفت الواو فأصبحت "إن تقل" . و كذلك كلمة "يدعو" و كان من حقها أن تكون "يدعو" فحذفت حركة الواو فأصبحت "يدعو" .

*** معنى اللغة العربية هي متميزة بتغير معنى الفعل أو المصدر بزيادة الحرف**

---

[١١٧] أنوار الجندى ، الفصح لغة القرآن (بيروت : دار الكتاب اللبنانى ١٩٦٨م) ص ٧.

Dhaka University Institutional Repository

إن اللغة العربية يتغير فيها معنى الفعل أو المصدر بزيادة حرف أو أكثر على الحروف الأصلية . و هذه الخاصة و إن توجد في اللغة الأخرى أيضا و لكن ليس بالقدر الكبير الذي يوجد في اللغة العربية . على سبيل المثال : خرجن أخرج ، خرج ، استخرج ، تخرج ، و كذلك نصر ، انتصر ، استنصر ، نصر ، تنصر ، تناصر .

*** الاشتقاق الأكبر**

و من خصائص اللغة العربية ظاهرة النحت التي تعتبر من أهم و سائل تنمية اللغة العربية و التوسع في دلالات كلماتها . و النحت هو انتزاع كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر تدل على معنى ما انتزعت منه . ككلمة "البسملة" من "بسم الله الرحمن الرحيم". و له صلة و وثيقة بالاشتقاق و لذلك عده بعض الباحثين المحدثين نوعا من الاشتقاق و سماه الاشتقاق الكبار[١١٨] .

أنواع النحت :

النحت على عدة أنواع . النحت النسبي و النحت الفعلي و النحت الاسمي و النحت، الوصفي .

النحت النسبي :

هو نسبة شيء أو شخص إلى اثنين مثل "عبشمس" نسبة إلى عبد شمس. و كذلك "عبدرى" نسبة إلى عبد الدار . و كذلك "عبادلة" نسبة إلى عبد الله ابن عمر و عبد الله بن عباس و عبد الله بن مسعود .

النحت الفعلي :

هو استحداث فعل من جملة . مثل بسمل و حوقل و سبح واسترجع و هلل و طلبق . معناها بالترتيب "قال بسم الله الرحمن الرحيم" و "قال لا حول و لا قوة إلا بالله" و "قال سبحان الله" و "قال إنا لله و إنّا إليه راجعون" و "قال لا اله إلا الله" و "قال أطال الله بقاءك".

---

[١١٨] عبد الله أمين ، الاشتقاق (القاهرة : لجنة التاليف و الترجمة و النشر ١٩٥٦م) ط ١، ص ٣٧٩.

Dhaka University Institutional Repository

النحت الاسمي :

هو أن ينحت من كلمتين اسما جديدا مثل "حبقر" من "حب" و "قر" أى حب البرد .

النحت الوصفي :

هو أن ينحت من كلمتين صفة تدل على معناها أ أشد منه نحو "ضبطر" للرجل الشديد من "ضبط" و "صبر".

و النحت لون من ألوان الاشتقاق لم يعرفه العرب كثيرا و لم يغلو فيه مثل غلوهم في أنواع الاشتقاق الثلاثة الشائعة لان أنواع الاشتقاق أغنتهم عنه فلم يخلفوا لنا من الشواهد عليه إلا النزر اليسير [١١٩].

و رأى ابن فارس أن الكلمات الزائدة على ثلاثة في اللغة العربية و هي من هذا القبيل [١٢٠].

في الحقيقة هذه المظاهر كانت من خصائص اللغة العربية . و العرب كانت تستخدمها قليلاً أو كثيرًا لتوسع اللغة العربية . و لكن في الزمن الحاضر نحن نرى أن ظاهرة النحت بدأت تستعمل في اللغة الإنكليزية أيضا مثل أفرو آسيا منحوتة من أفريقيا و آسيا . **Socio Economic** منحوتة من **Social and Economic** .

*** اللغة العربية هي متميزة بمناسبة الحروف العربية للمعاني**

أثبت اللغويون أن هناك رابطة وثيقة بين الحرف العربي و بين معنى الكلمة .

حيث أن الحرف الواحد يقع على صوت معين من الكلمة سواء كان في أول الكلمة أم وسطها أم آخرها ثم يوحي بالمعنى المناسب للكلمة .

ما وقع في أول الكلمة :

مثلا : كلمتا قضم و خضم . فالقضم تستعمل لأكل الصلب اليابس و الخضم لأكل الرطب الطري و هناك فرق بلا شك بين صوت القاف و الخاء ، فان في القاف شدة و في الخاء رخوة فناسب الحرفان للكلمتين نظرا إلى معناهما [١٢١].

ما وقع في وسط الكلمة :

---

١١٩ د. لطفي عبد البديع ، عبقرية اللغة العربية (السعودية : نادى جدة الثقافي ١٩٨٦م) ط٢، ص ٢٣٨.

١٢٠ د. محمد صالح الشنطى ، المهارات اللغوية ، ص ٩٣.

١٢١ أبو الفتح عثمان بن جنى ، الخصائص ، ج١ ، ص ٥٤٩.

Dhaka University Institutional Repository

مثلا : كلمتا الوصيلة و الوسيلة . و الصاد أقوى صوتا من السين لان في صوت الصاد حدة و قوة و أما السين ففي صوتها رقة و خفة و الوصيلة كذلك أقوى معنى من الوسيلة [١٢٢].

ما وقع في آخر الكلمة :

مثلا : كلمتا النضخ و النضح . فالنضخ للماء و النضح للرش . ولا شك ان النضخ اقوى معنى من النضح . قال الله تعالى : فيهما عينان نضّاختان [١٢٣]. فجعلوا الحاء لرقتها للرش والخاء لغلظها لما هو أقوى منها [١٢٤]. فالمناسبة بين الحرف و معنى الكلمة من أهم خصائص اللغة العربية . و لكن هذه الخاصة ليست شائعة في جميع الحروف العربية [١٢٥].

و قد بالغ بعض العلماء فجعلوا لكل حرف معنى خاص و منهم الشيخ عبد الله العلايلي إذ يرى أن لكل حرف صامت و لكل حركة دلالة مستقلة . و أنه من الممكن تعيين دلالات هذه الحروف بأصواتها [١٢٦]. و من خصائص اللغة العربية الصوتية أنها أوفي اللغات كلها من ناحية استخدام جميع أجهزة النطق في الإنسان . يقول العقاد : اللغة العربية واحدة من وظائفه [١٢٧]. فقد اشتملت اللغة العربية على جميع مخارج الأصوات و صفاتها . فحروف اللغة العربية كلها تتوزع على مخارج تنتشر ما بين الصدر و الشفتين و كذلك هذه الحروف مشتملة على جميع صفات الصوت الاستعلاء و الاستفال و القلقلة و الصفير و الذلاقة و الصمتة [١٢٨].

و من خصائص اللغة العربية الصوتية تناسب جرس الأصوات و موسيقاها بالمعنى النفسي الذي يحدث في المواضع المختلفة . كما في قوله تعالى : "كلا إذا دكتْ الأرض دكاً دكاً . و جاء ربك و الملك صفا صفا . و جئ يومئذ يتذكر الإنسان و أنى له الذكرى . يقول يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه

---

١٢٢ المرجع السابق ، ص ٥٥٢.

١٢٣ القرآن الكريم ، ٥٥ : ٦٦.

١٢٤ أبو الفتح عثمان بن جنى ، الخصائص ، ج١ ، ص ٥٥٢.

١٢٥ أحمد فؤاد عليان، المهارات اللغوية (الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع١٩٩٣م)ط٥ ص ٣٦.

١٢٦ عبد الله العلايلى ، مقدمة لدراسة لغة العرب (مصر : دار الفرقان ب ت) ص ٢٠٠ ـ ٢٠٣.

١٢٧ عبتاس محمود العقاد ، أشتات مجتمعات في اللغة و الأدب (القاهرة : دار المعارف ١٩٨٢م) ط٥ ، ص ١١.

١٢٨ د. عبد الفتاح لا شين ، من أسترار التعبير في القرآن الكريم (جدة : عكاظ للنشر و التوزيع ١٩٨٠م) ص ٢٢ ـ ٢٤.

Dhaka University Institutional Repository

أحد"[١٢٩]. يقول السيد قطب : في كتابه "التصوير الفني في القرآن الكريم" إن في الآية الكريمة السابقة اجتمعت عدة دال و كاف و صاد و جيم و ذال و تاء و لام . و في بعض هذه الحروف صفة الشدة و في بعضها صفة الرخوة و في بعضها صفة الجهر و في بعضها صفة الهمس. و هذه الأجراس الصوتية المتنوعة تناسب بالشدة و القوة و بالخوف والروع و بالحزن و التأسف التي سوف تحث يوم القيامة و عند دخول الكفار جنهم[١٣٠].

*** اللغة العربية هي لغة إعراب**

الإعراب أساس المعنى . و يقصد بالإعراب أن للغة قواعد في ترتيب الكلمات و تحديد وظائفها و ضبط أواخرها و هذا مما يساعد على دقة فهم المعنى . لهذا يعتبر الإعراب من خصائص اللغة العربية . و مراعاته تعد الفارق الوحيد بين المعاني المتكافئة في اللفظ . إذ أنه عن طريق الإعراب يمكن تمييز الكلام . و في ذلك يقول ابن فارس : و من العلوم الجليلة التي خصت به العربية الإعراب الذي هو الفارق بين أجزاء الكلام و بين المعاني المتكافئة في اللغة . و به يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام . و لو لاه ما ميز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعوت. و لا تعجب، من استفهام و لا نعت من توكيد[١٣١].

أغراض الإعراب و فوائده :

يقول جماعة من العلماء القدامى و المحدثين منهم الخليل بن أحمد و قطرب[١٣٢] و إبراهيم أنيس[١٣٣] أنه ليس للإعراب أيّ أثر دلالي فهو مجرد زخرف لغوى له صلة و وثيقة بالموسيقى و الغناء الشعر[١٣٤]. و يستدلون على رأيهم بأدلة منها :

* إن هناك كلمات لها معنيان مختلفة و مع ذلك تحتفظ بحركة إعرابية واحدة . فالحال و التمييز و المفاعيل كلها منصوبة و مع ذلك فإن و وظائفها اللغوية الدلالية مختلفة . و هناك صبغ كثيرة يختلف إعرابها و لكن معناها واحد . فمثلا جملة "لا حول ولا قوة إلا بالله" تقرأ على خمسة أوجه دون أى اختلاف في المعنى .

---

١٢٩ القرآن الكريم ، ٢٦ : ٢١ – ٢٦.

١٣٠ سيد قطب ، التصوير الفنى في القرآن (بيروت : دار الشروق ١٩٨٣م) ط ٨، ص ٩٧.

١٣١ أحمد بن فارس ، الصاحبى في فقه اللغة و سنن العربية في كلامها (القاهرة : المكتبة السلفية ١٣٢٨هـ) ص ٤٢.

١٣٢ قُطرُب (أبو علي)(ت ٨٢١) لغوي نحوي مفسر من أهل البصرة، أخذ النحو عن سيبويه . المنجد في اللغة و الأعلام،ص٤٤٠.

١٣٣ ابراهيم انيس (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م ــ ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ولد بالقاهرة، باحث لغوي ورائد الدراسات اللغوية العربية.

١٣٤ د. محمد صالح الشنطى ، المهارات اللغوية ، ص ١٠١.

Dhaka University Institutional Repository

* تختلف القراءات القرآنية و المعنى واحد . و تحذف الحركة عند الوقف .

و لو كان الإعراب ذا علاقة بالمعنى لما جاز و جود قراءات متعددة في القرآن الكريم و لما جاز حذف الحركة عند الوقف .

و فريق من العلماء الآخرين منهم ابن فارس و ابن جنى و إبراهيم مصطفي يقولون : بالوظيفة الدلالية المعنوية للإعراب . و يستدلون على رأيهم بأدلة منها :

* إغفال الحركة الإعرابية قد يؤدى إلى الكفر . كما في الآية الكريمة "إن الله برئ من المشركين و رسوله"[١٣٥] فلو قرأت بجر "رسوله" يقلب المعنى رأسا على عقب . كما قرأ بعض الناس قبل تقنين القواعد النحوية فمست الحاجة إلى النحو للحفظ من مثل هذه الأخطاء النحوية و الإعرابية.[١٣٦]

* و بواسطة الإعراب كان العلماء يستنبطون بعض مسائل اللفقه و أحكام التشريع مثال ذلك آية الوضوء : "يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق و امسحوا برؤوسكم و أرجلكم إلى الكعبين"[١٣٧] فقد قرأت "و أرجلكم" بفتح اللام عطفا على "وجوهكم". و على هذا يجب غسل الأرجل . وقد قرأت" أرجلكم بكسر اللام عطفا على رؤوسكم و على هذا يصح مسح الأرجل.[١٣٨]

و في الحقيقة لا يقال : إن الإعراب هو الفارق الوحيد بين أجزاء الكلام في جميع حالاته و كذلك لا يقال : إنه لا وظيفة له في تحديد معنى الجمل و ما هو إلا مجرد زخرف لغوى بل من الإنصاف أن نقول : إن الإعراب يعتبر في بعض الحالات الفارق بين المعاني و في بعض الحالات يعتبر مجرد زخرف لغوى . فمثلا : في جملة أكل خالد تفاح (غير معرب) لا حاجة إلى استخدام الإعراب لتمييز الفاعل عن المفعول به لان التفاح لا يمكن له أن يأكل خالدا فلا محالة كلمة تفاح مفعول به و خالد فاعل . نعم . في مثل أعان خالد راشدا لا بد من استخدام الإعراب لأنه كما يمكن أن يكون خالد فاعلا كذاك يمكن أن يكون مفعولا به و الإعراب هو الذي يفرق بين الفاعل و المفعول به في الجملة السابقة .

*** اللغة العربية هي متميزة بتنوع أساليب الجمل :**

---

١٣٥ القرآن الركيم ، ٣ : ٩.

١٣٦ الأستاد سعيد الأفغانى ، أصول النحو (دمشق : مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٥م) ط٢، ص ١٥.

١٣٧ القرآن الكريم ، ٥ : ٦.

١٣٨ محمد بن على بن محمد بن محمد الشوكانى ، تفسير فتح القدير (مصر : مطبعة مصطفي اليابى الحلبى ١٩٢٤م) ج ١ ، ص ١٨.

Dhaka University Institutional Repository

إن اللغة العربية متميزة بتنوع أساليب الجمل . و هي لغة ذات أنماط مختلفة للجمل . فهناك الجملة الاسمية والفعلية و هناك الجملة الإخبارية والإنشائية و هناك الجملة و المعترضة و البيانية والعاطفة و ما إلى ذلك . فالعربية تشمل على جميع أنواع الجمل لسعة معانيها و أساليبها [١٣٩].

*** اللغة العربية هي لغة غنية بوسائل التعبير عن الأزمنة النحوية**

و اللغة العربية متميزة بتعدد و سائل التعبير عن الأزمنة النحوية حية أن الفعل على ثلاثة أقسام من حيث الزمان ، الماضي و الحال والمستقبل . و للماضي صيغة خاصة تسمى بصيغة الماضي . و تستخدم للحال و المستقبل صيغة أخرى تسمى بصيغة المضارع و ذلك لارتباط الحال بالمستقبل إذ لا وجود للحال إلا متصلا بالمستقبل . و قد أشار أحد الباحثين المحققين إلى ذلك بقوله إن الزمن ينقسم إلى قسمين : ماض و مستقبل و بينهما زمن الحال و هو كالنقطة الهندسية التي لا طول لها ولا عرض و لا ارتفاع[١٤٠].

و بالرغم من ذلك هناك و سائل في اللغة العربية لها دلالات قاطعة على تحديد الزمن[١٤١]. و الوسائل هي :

* إذا كانت صيغة المضارع مسبوقة بـ" سين" تدل على المستقبل القريب .
* و إذا كانت مسبوقة بـ" سوف" تدل على المستقبل البعيد .
* و إذا كانت مسبوقة بـ" لم" تفيد نفي الفعل في الماضي .
* و إذا كانت مسبوقة بـ "ما" تفيد نفي إرادة الحدوث .
* و إذا كانت مسبوقة بـ" لمّا" تفيد نفي الحدوث مع انتظاره[١٤٢].

أهمية اللغة العربية

إن اللغة العربية في من أسمى لغات العالم و هي تمتاز بخصائص و مميزات جعلتها ذات منزلة مرموقة و مكانة خاصة بين لغات العالم . فاللغة العربية ذات

---

١٣٩ جنغ صرف ، جمل ، (داكا : إسلامية كتب خانة ١٩٩٦م) ص ١.

١٤٠ أنستاس مارى الكرملي ، نشوء اللغة العربية ونموها و اكتهالها (القاهرة : دار المعارف ١٩٤٨م) ص ١٦٨.

١٤١ عباس محمود العقاد ، اللغة الشاعرة : مزايا الفن و التعبير في اللغة العربية (القاهرة : مطبعة الاستقلال الكبرى ب ت) ص ١٤ – ١٨.

١٤٢ رشيد الشرتونى ، مبادى العربية في النحو و الصرف (داكا : عرفات فبليكيشنس ١٩٧٨م) ج٤ ، ص ١٠ – ١١.

Dhaka University Institutional Repository

أهمية كثيرة . و أهميتها تزيد يوما بعد يوم في عصرنا الحاضر . و ترجع أهميتها إلى أسباب و هي :

* إنها لغة القرآن الكريم . كتب لها الخلود بسبب نزول الكتاب العظيم باللغة العربية . كما قال الله تعالى في مواضع شتى من كلامه العزيز : و هي فيما يلي :

* نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المذرين بلسان عربي مبين[١٤٣].

* إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون [١٤٤].

* و كذلك أنزلناه قرآنا عربيا و صرفنا فيه من الوعيد [١٤٥].

* و كتاب، فصلت، آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون [١٤٦].

* و كذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا [١٤٧].

* و كذلك أنزلناه حكما عربيا [١٤٨].

* و كذلك جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تفقلون [١٤٩].

* قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون [١٥٠].

و لذلك أصبحت، اللغة العربية يحتاجها كل مسلم ليقرآ أو يفهم القرآن الذي يستمد منه المسلم الأوامر و النواهي و الأحكام الشرعية .

* إنها لغة الصلاة . إن كل مسلم يقرأ في صلاته القرآن الكريم و قد أمر الله تعالى بقراءته في الصلاة حيث قال : فاقرؤوا ما تيسر من القرآن[١٥١]. فقراءته و تسبيحاته و تكبيراته و أدعيته في الصلاة تكون بالعربية . قال رمضان عبد التواب[١٥٢] : فهي اللغة التعبدية للمسلمين في جميع بقاع العالم [١٥٣]. فاللغة

---

١٤٣ القرآن الكريم ، ٢٦ : ١٩٣ ـ ١٩٥.
١٤٤ القرآن الكريم ، ١٣ : ٢.
١٤٥ القرآن الكريم ، ٢٠ : ١١٣.
١٤٦ القرآن الكريم ، ٤١ : ٣.
١٤٧ القرآن الكريم ، ٤٢ : ٧.
١٤٨ القرآن الكريم ، ١٣ : ٣٨.
١٤٩ القرآن الكريم ، ٤٣ : ٣.
١٥٠ القرآن الكريم ، ٣٩٠ : ٢٨.
١٥١ القرآن الكريم ، ٢٠ : ٨٣.
١٥٢ رمضان عبد التوّاب : (١٣٤٨هـ/١٩٣٠م-١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ولد في قرية قليوب بمحافظة القليوبية بمصر. انترنيت.
١٥٣ .رمضان عبد التواب ، فصول في فقه اللغة العربية ، ص ٢٥.

Dhaka University Institutional Repository

العربية مرتبطة بركن أساسي من أركان الإسلام و بذلك يصبح تعلمها واجبا على كل مسلم[١٥٤].

* إنها لغة الحديث الشريف الذي هو الأصل الثاني من أصول الدين . و النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان لسانه عربيا . قال النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش [١٥٥]. و بها دعا النبي الله عليه و سلم الناس إلى النور و الهداية و أمرهم بالمعروف و نهاهم عن المنكر و أحل لهم الطيبات و حرم عليهم الخبائث . و هذا الذي أنشأ صلات قوية بين اللغة العربية و الإسلام و أوجب على المسلمين تعلمها و تعليمها لفهم الحديث الشريف .

* و هي لغة الدين : إن بين اللغة العربية و العقيدة الإسلامية ترابطا عضويا وثيقا لا يماثله ترابط آخر في أي مجتمع من المجتمعات الأخرى القديمة و المعاصرة . فإنها لغة الإسلام و المسلمين في جميع بقاع الأرض . و بها يؤدى المسلمون صلاتهم و يتلون كتاب ربهم و يقرؤون أحاديث نبيهم و يلبون في حجهم و يتضرعون في دعائهم .

* و هي أول لغة تقرع بها آذان أبناء المسلمين و بناتهم بعد الولادة حيث ينفع الآذان في أذنهم اليمنى و الإقامة في أذنهم اليسرى .

* و هي لغة العلوم والثقافات : إن اللغة العربية هي وعاء الحضارات والثقافات والآداب والفنون حيث تعمل للإنسانية من تراث ثقافي كبير . و إن من الثابت تاريخيا و حضاريا أن العربية قد حملت، أمانة نقل علوم اليونان و فلسفتها و حضارة الهند و ثقافتها و فنون الفرس و آدابها إلى العالم أجمع في عصوره الوسطى . و كذلك نقلت العربية ما أبدعه العلماء المسلمون في الطبيعة و الكيمياء و الرياضيات و الفلك و غير ذلك [١٥٦].

*** عالمية اللغة العربية هي عالمية الأدب العربي :**

تعد اللغة العربية ثالثة لغات العالم الحديث من حيث انتشارها و سعة مناطقها حيث أنها تعتبر من إحدى لغات العالم العظمى و هي تحمل نفس

---

١٥٤ د. محمد على الخولى ، أساليب تدريس اللغة العربية (السعودية : مطبعة الرياض ١٩٨٢م) ط٢ ، ص ٣٠.

١٥٥ الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٢، ص ١٧.

١٥٦ Cheijne,The Arabic Language،Its Role in History، Minneapolis. University of Minnesota Press، ١٩٩٦ p٣

Dhaka University Institutional Repository

المستوى الذي حظيت به كل من اليونانية و اللاتينية و الإنكليزية و الفرنسية والأسبانية و الروسية . و إثباتا لعالميها أشار محمد على الخولي[١٥٧] مظاهر كثيرة . لعل من أهم مظاهرها انتشارها في عدد كبير من دول العالم حيث أنها لغة العالم الإسلامي . و هي مستخدمة في اثنين و عشرين دولة عربية و تستخدم كلفة ثانية في كثير من الدول الإسلامية . و هذا يعنى أن سبع دون العالم تتكلم العربية لغة أولى كما أن كثيرا من شعوب الدول الإسلامية لديها الاستعداد الفني بتعلم اللغة العربية لارتباطها يديانة هذه الشعوب[١٥٨].

اللغة العربية لغة العالم المعاصر :

في القديم كانت اللغة العربية ذات شان و مكانة عظيمة في المجتمعات الإسلامية فقط لكونها لغة دين و عقيدة . و لم تكن ذات شأن في المحيط ادولى . و أما الآن فقد أخذت العربية مكانتها بين لغات العالم المعاصر و اعترف بها لغة رسمية تستخدم في الهينة العامة للأمم المتحدة و في منظماتها . و لقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها ، رقم-٢١٩٠/د -٢٨ الجلسة العامة رقم ٢٢٠٦ في ديسمبر سنة ١٩٧٣ و ينص على ما يلي :

الجمعية العامة إذ تدرك ما للغة العربية من دور هام في حفظ حضارة الإنسان و نشر ثقافته و إذ تدرك أيضا أن اللغة تسعة عشر عضوا من أعضاء الأمم المتحدة و هي لغة عمل مقررة في و كالات متخصصة مثل منظمة الأمم للتربية والعلوم و الثقافة و منظمة الأمم المتحدة للأغذية و الزراعة و منظمة الصحة العالمية و منظمة العمل الدولية و هي كذلك لغة رسمية و لغة عمل في منظمة الوحدة الأفريقية و إذ تدرك ضرورة تحقيق تعاون دولي أو سع نطاقا تقرر إدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية و لغات العمل المقررة في الجمعية العامة و لجانها الرئيسية[١٥٩].

* المكانة الاقتصادية للغة العربية

---

١٥٧ محمد الخولي: محمد علي المعروف الخولي (٢٣ نوفمبر ١٩٣٨م) هو كاتب، و باحث و خبير في الإعلام و الترجمة الدولية. انترنيت،

١٥٨ د. محمد على الخولى ، أساليب تدريس اللغة العربية ، ص ٢٠.

١٥٩ د. رشدى احمد طعيمة ، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها مناهجه و أساليبه (الرباط : منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة ، إيسيسكو ١٩٨٩م) ص ٣٤.

Dhaka University Institutional Repository

إن العرب ينمون اقتصاديا بشكل سريع بفضل ما لديهم من ثروات نفطية و معدنية . و تنميتهم الاقتصادية زادت مكانتهم الدبلوماسية و السياسية بين دول العالم . في حين من الزمن لم يكن للعرب أي اعتبار عند الأمم و الشعوب المتقدمة و لكن الآن تغيرت الحال . تعدهم الدول المتقدمة . و تنظر إليهم نظرة اعتبار . نتيجة لذلك زادت أهمية اللغة العربية بين دول العالم . فجعل شعوب العالم تهتم باللغة العربية تعليما و تعلما و بدأت تستخدمها في مجالات الحياة المختلفة و ذلك للاستفادة الاقتصادية من دول العرب .

*** حياة اللغة العربية :**

كم من لغات ظهرت ثم فنيت على مر العصور أو أصبحت كاللغات الميتة و لم يبق لها أثر و لا دور في حياة الإنسان . و لكن للغة العربية ليست كذلك و هي لغة حية . و هي من أقدم لغات العالم و لها تاريخ طويل متصل يصل إلى ستمائة و ألف سنة على الأقل . و كذلك تعد اللغة العربية من اللغات المعاصرة و هي تعتبر ثالثة لغات العالم الحديث من حيث انتشارها و سعة مناطقها . و هي إحدى اللغات الست التي تكتب بها وثائق الأمم المتحدة [١٦٠] . و كذلك يعد الأدب العربي أدباً حياً يبقى له أثر و دور في حياة الإنسان.

---

١٦٠ إبراهيم أنيس ، اللغة العربية القومية و العالمية (القاهرة : دار المعارف ١٩٧٥م) ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الرابع: الأدب العربي نشأته و تطوره

إن الأدب العربي أدب حي و لم يزل يبقى سنة الحياة. فتطور متقلبا مع التاريخ من صورة إلى صورة و من حالة إلى حالة باحتكاك العرب بعضهم مع بعض أخر، بحضارتهم و ثقافاتهم. فتولدت منه نهضة أدبية ذات نزعة خاصة، و أول نهضة سجلها التاريخ هي النهضة الجاهلية التي استحكمت سنة ٥٣٢م عموما و كانت تلك النهضة ثمرة اختلاط عرب الشمال بعرب الجنوب واحتكاكهم في الأسواق والمجتمعات العمومية و اختلاطهم المجاورة بالتجارية[١٦١]. و لقد خبت نور تلك النهضة بنزول القرآن الكريم و طلعت نهضة حديثة مطابق القرآن . و حدث التغير في الأدب بالإسلام في كل نوء من الأنواء .

إن كلمة "أدب" كلمة عربية التي تطوّر معناها بتطوّر الحياة الأمة العربية و انتقالها من دور البداوة إلى أدوار الحضارة. واختلفت مفاهيمها باختلاف العصور والأزمنة حتى استقرت على المفهوم الاصطلاحي الفني الذي يعرف به الأدب في عصرنا اليوم. فنأتي مفهومها لغة واصطلاحا .

لفظ الأدب بمعناه العام و الخاص :

إن الدارس لآداب العربية ، يتعين عليه ابتداء أن يتعرف على ماهية الأدب و موضوعه ، ليتمكن من الوقوف على ما أنتجه قرائح العرب من علوم و فنون ، و التعريف على تجاربهم و معارفهم ، من خلال لغة ظهرت طيعة في التعبير عن أفكارهم وأحاسيسهم ، و ليندرج منه إلى فهم آداب اللغة بمعناها العام و الخاص .

واللغة العربية كغيرها من اللغات، كائن حي ، ينمو و يتجدد باستمرار حسبما تقتضيه الظروف الاجتماعية والسياسية ، و لفظ الأدب من الألفاظ العربية التي اعتراها الكثير من التغيرات و التقلبات على مر العصور ، و تطورت بتطور حياة الأمة العربية ، و انتقالها من مرحلة البداوة إلى مرحلة المدنية و الحضارة ،إلى أن غلب عليه ذلك المعنى الذي يتبادر إلى أذهاننا اليوم ، ألا و هو (الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين سواء شعراً أم نثرا).[١٦٢]

و إذا رجعنا إلى المعاجم ، لا نجد تعريفا كافيا و لا شرحا وافيا لهذا اللفظ ، و إنما اقتصر اللغويون على تعريفه بأنه (الأدب و حسن التناول) و في المصباح المنير (أدبته أدبا... علمته

---

١٦١ حنا الفاخورى،ج ١ ،ص ٤٥.

١٦٢ د.شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي (مصر:دار المعارف ١٩٦٠م)ط١ ،ص٧.

Dhaka University Institutional Repository

رياضة النفس و محاسن الأخلاق)[١٦٣] وورد في تاج العروس (الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس ، سمي به لأنه يؤدب الناس إلى المحا مد و ينهاهم عن المقابح ، وأصل الأدب الدعاء)[١٦٤].

و لا بد بعد الوقوف على المعنى اللغوي للفظ الأدب ، من تتبع النصوص العربية ، شعرية كانت أم نثرية ، لتوضيح مفهوم ذلك اللفظ عبر العصور المختلفة . ففي العصر الجاهلي نجد أن كلمة الأدب قصد بها السنة ، أي طريقة العمل و التصرف التي سنها الأوائل ، حتى صارت مسلكا لمن بعدهم ، و ذلك واضح في قول سهل بن حنظلة الغنوي من الشعراء المخضرمين :

قد يعلم الناس أني من خيارهم + في الدين دينا و في أحسابهم حسبا

لا يمنع الناس مني ما أردت ولا + أعطيهم ما أرادوا حسي ذا أدبا

و الأدب هنا هو السيرة والطريقة ، و واضح أن هذا اللفظ لم يكن معروفا في الجاهلية بمعناه الفني ، فليس بين أيدينا نص عربي جاهلي يدل عليه ، و إنما نجد اسم الفاعل منها (آدب) أي الداعي إلى الطعام أو صانع المأدبة ، و قد وردت في بيت لطرفة بن العبد في قوله :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآداب فينا ينتقر

وإذا استعرضنا الآراء نجد أن كارل نالينو **CarlNalino** ذهب إلى أن هذه الكلمة اشتقت من الدأب ، و جمعت على آداب ، ثم قلبت فقيل آداب ، ثم شاع اللفظ و استعمل بمعنى العادة .

أما في صدر الإسلام ، فلم يكن اللفظ معروفا ، إذ لا نجد في كتابه الحكيم نصا قرآنيا يشير إليه ، وكل ما هو معروف أنه فسر حسب ما يدل عليه من معان نفسية من رقة الخلق ، و استقامة الطبائع ، واستدل ذلك بما جاء في الحديث النبوي من قول علي ب أبي طالت حين سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب، وفد بني نهد : (يا رسول الله نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره ، فقال صلى الله عليه و سلم أدّبني ربي فأحسن تأديبي ، و ربيت في بني سعد).

و قد ورد اللفظ بهذا المفهوم في قول امرأة من بني هزان في ابن لها عقها

أنشأ يمزق أثوابي يؤد بني أبعد شيي عندي يبتغي الأدباء

و منه قول بعض الفزاريين :

أكنيه حين أناديه لأكرمه ولا ألقبه و السوأة اللقيا

كذلك أدبت حتى صار من خلقي أني وجدت ملاك الشيمةِ الأدباء

و الأمر عينه يصدق على عصر الخلفاء الراشدين ، فليس بين أيدينا ما يقطع بأن هذه الكلمة و ما تشتمل عليه من مدلولات كانت شائعة في الجزيرة العربية في تلك الحقبة الزمنية من تاريخ العرب.

---

١٦٣ أحمد بن محمد المقري الغيومى،المصباح المنير (مصر : مطبعة بولاق ١٣١٦هـ) ج١،ص٦.

١٦٤ د.وفاء سليم، من روائع الأدب العربي (الكويت: دار البحوث العلمية ١٩٧٩م)ط١،ص١٢

Dhaka University Institutional Repository

أما في العصر الأموي و بعد ظهور أثر الفتوحات الإسلامية على الحياة الاجتماعية ، فإن المتتبع لهذه المادة بالدراسة و البحث يلحظ أنها اكتسبت معنى التعليم في حدود مفهومه الاصطلاحي ، و كذا الإخبار بشيء ما ، خاصة بعد أن اتخذ الخلفاء لأبنائهم المعلمين ، و عهدوا إليهم بتربيتهم فعرفوا بالمؤدبين ، وبذا أصبح المؤدب المخبر بأمر ما ، وقد ورد ذلك واضحا في مقاتل بن مسعود العبدي.

عرفت ليالي بؤسها و نعيمها و حنكني صرف الزمان و أدبا

أي جعلني ذا خبرة بالأمور ، و كذلك قول أبي عطاء أفلح ين يسار السندي من شعراء الدولة الأموية :

إذا أرسلت في أمر رسولاً فافهمه و أرسله أديبا

و آن ضيعت ذاك فلا تلمه على أن لم يكن عَلِم الغيوبا

و نلحظ أن الكلمة اكتسبت مفهوما جديدا- إلى جانب المعنى الأخلاقي التهذيبي والعنصر الإسلامي يتصل بالتعليم وما يندرج تحته من رواية الشعر و رواية الأخبار ، و أحاديث الأولين ، و فنون الخطابة و المحاورة ، و امتد ليشمل الثقافة العامة التي يؤديها المؤدبون ، فاكتسب بذلك صفة علمية ، بحيث أصبحت، تلك الكلمة مقابلة لكلمة العلم الذي كان يطلق آنذاك على الشريعة الإسلامية . و ما يتصل بها من دراسة الفقه و الحديث النبوي و تفسير القرآن الكريم .

و أما في صدر العصر العباسي ، فقد شمل الأدب المعنيين معاً : المعنى التهذيبي ، والمعنى التعليمي ، ووضح ذلك في رسالتين لابن المقفع تحويان العديد من النصائح والحكم الخلقية و الأدبية و السياسية ، أطلق عليهما اسم (الأدب الصغير) و (الأدب الكبير) و هما في السياسة و الأخلاق ، كما وضح في حماسة أبي تمام ، التي تحوي العديد من المختارات و طرائف الشعر ، و تدعو إلى الأخلاق المحمودة من حياء و عفة و بُعد عن الفحشاء ، و حسن معاملة الناس .

و في هذه الفترة أي في أواخر القرن الثاني و أوائل القرن الثالث الهجريين ، اتسع مفهوم الأدب نتيجة للنمو الطبيعي للغة ، و ما طرأ على حياة العرب من رقي و تمدن و تغير و تجدد في حضارتهم ، وتقلب في سياستهم ، تبع اتساع مملكتهم ، وامتداد سلطانهم على أمم ذات عادات مختلفة و لغات متباينة و أديان مغايرة .

ولا ريب في أن هذه التغيرات وما اعتراها من تغير في مفهوم الأدب أسهمت في إظهاره في ثوب جديد ، يعالج قضايا الشعر وما يتصل به من أخبار و انساب و أيام ، وقد برز ذلك واضحاً في كتب (البيان و التبيين) للجاحظ الذي حوى العديد من الأخبار و الأشعار والنوادر ، مع بعض الاتجاهات البلاغية و النقدية ، وفي (الكامل في اللغة و الأدب) للمبرد الذي ذكر في مقدمته الغرض من تأليفه بما يساعد على تحديد مفهوم كلمة "أدب: كما قدم فيه العديد من الرسائل النثرية ، التي ارتفعت صناعتها في هذه الفترة .

Dhaka University Institutional Repository

ونمضي في القرن الثالث فنجد طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي[١٦٥] والشعر والشعراء لابن قتيبة[١٦٦] ، وفي القرن الخامس زهر الآداب للحصري.

كما أطلق العرب لفظ الأدب على جملة ما كان لهم م المعارف غير الدينية ، و التي تشمل بعض الجوانب الدنيوية القليلة ، اجتماعية و ثقافية و غيرها من الأمور الدنيوية ، واستمر هذا لمعنى إلى ما يلي منتصف القرن الرابع حسبما يستنتج من رسائل إخوان الصفا ، و قد ورد فيها ما نصه[١٦٧] .

"ونعلم بأن العلوم التي يتعاطاها البشر ثلاثة أجناس ، فمنها الرياضية ومنها الشرعية الوضعية ومنها الفلسفية الحقيقة . فالرياضية هي علم الآداب التي وضع أكثرها لطلب المعشية و صلاح أمر الحياة الدنيا، وهي تسعة أنواع أولها علم الكتابة و القراءة . ومنها علم اللغة و النحو ، ومنها علم الحساب و المعاملات ، ومنها علم الشعر والعروض ، ومنها علم الزجر والفال وما يشاكله ، ومنها علم السحر والعزائم و الكيمياء و الحيل وما يشاكلها ، ومنها علم الحرف و الصنائع ، ومنها علم البيع و الشرى و التجارات و الحرث و النسل ومنها علم السير والأخبار".

وقد ظهرت مؤلفات القرن الثالث و الرابع الهجري تؤكد أن الأدب في مفهومه عبارة عن" الملح و اللطائف و النكت و الأمثال و النوادر والأبيات الرقيقة و التواريخ ، و ذكر الشيء بالشئ بالاستطراد أو بمناسبة مع مراعاة مقتضى الحال " و آن الأديب من يأخذ من كل شيء أحسنه فيألفه . قال الشاعر :

أرى العلم نوراً و التأدبَ حلية فخذ منها في رغبة بنصب،
وليس يتم العلم في الناس للفتى إذا لم يكن في علمه بأديب[١٦٨]

وقد اتسع مفهوم الأدب ليشمل كل المعارف غير الدينية التي ترقى بمدارك الإنسان في جانبيها الاجتماعي والثقافي ، شعراً كان أم نثراً ، إلى جانب علوم اللغة والأنساب و الأخبار و أيام الناس .

وجاء تعريف ابن خلدون لعلم الأدب جامعاً :

"الأدب هو حفظ أشعار العرب و أخبارهم و الأخذ من كل علم بطرف[١٦٩]"إلا أن هذا التعريف ما لبث أن انحصر في صناعة الشعر والإنشاء البليغ . و بعد أن كان لفظ الأديب، يطلق على جماعة المؤدبين و الشعراء الذين يحترفون تعليم الشعر و الخير لأبناء الطبقة الحاكمة ، و اختص الشعراء به وحدهم .

ويعزى تشعب لفظ الأدب من أصل معناه إلى معانٍ مغايرة ، إلى ما طرأ على الحياة الإجماعية للمجتمع العربي من تطور .

---

١٦٥ ابن سلام الجمحي: (ت ٨٤٦م) أديب و ناقد مشهور ، ولد في البصرة و عاش في بغداد.روى الشعر عن الأصمعي. المنجد،ص ٨.

١٦٦ ابن قتيبه : (أبو محمد عبد الله)(٨٢٨-٨٨٩م) اديب كبير ولد في الكوفة، خراساني الأصل ، فقيه و محدث.المنجد ، ص١٢.

١٦٧ د.وفاءعلي سليم ،من روائع الأدب العربي(الكويت: دار البحوث العلمية ١٩٧٩م) ط١،ص١٦.

١٦٨ كارل ناللينو،تاريخ الآداب العربية (القاهرة:دار المعارف ب ت)ط٢،ص٣٩-٤٠.

١٦٩ د.شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي –العصر الجاهلي (مصر : دار المعارف ١٩٦٠م)ط٤،ص١٠.

Dhaka University Institutional Repository

الواقع أن هذه الكلمة دلت منذ أواسط القرن الماضي على معنيين ، أحدهما عام و الآخر خاص ، أما العام فهو يقابل كلمة(**Literature**) الإنجليزية أو كلمة (**Litterature**) الفرنسية ، و هي توحي الأدب المكتوب أو المطبوع مما يشتمل على نتاج أفكار علماء الأمة و أدبائها ، مهما يكن موضوعه ، و مهما يكن أسلوبه .

وأما الخاص فلا يراد به مجرد التعبير عن معنى من المعاني ، بل يراد به النتاج الأدبي من كلام منثور أو منظوم ، في أسلوب يؤثر في عواطف السامع أو القارئ ، على نحو ما هو معروف في فنون الشعر و فنون النثر الأدبية مثل : القصص و المسرحيات ، والأمثال، والخطابة ، و المقامة و المناظرات مع ما ألف بفصيح العبارة و بلاغة الأسلوب من التاريخ ووصف الأسفار . وقد أكد لويس شيخو[١٧٠] ذلك بقوله[١٧١] " تحيا الأمم بآدابها لأن الآداب ترقى المرء فوق الحياة المادية و تسمو به إلى المدارك الشريفة ، وتقربه على عالم الأرواح ، و إلى الجمال الذي منه يستعير كل مخلوق جماله ، و عليه فإن أراد العاقل أن يعرف درجة التمدن التي بلغها شعب من الشعوب ، بحث عن انتشار الأدب بين أهله ، و لذلك نرى المؤرخين يقدمون في تاريخهم تاريخ الآداب على تاريخ الوقائع ، وربما أفردوا للآداب تاريخا قائما بذاته يثبت ما يختص بالعلوم و المعارف في كل ملة ، مخبرا عن نشأة الآداب بينها و اتساع نطاقها ، وأسباب ترقيها ، ونتائجها الطيبة في إصلاح القوم و تحسين أخلاقهم ".

هذه المحاولة في فهم ماهية الأدب أسهمت في إدخال عنصر جديد للبحث هو عنصر" المتعة الفنية" التي يحققها الأدب للسامع أو القارئ ، كما أسهمت في إيضاح ما طرأ عليه من تغيرات مختلفة ارتبطت بالدين الإسلامي ، وما لازمه من انفتاح على العالم الخارجي.

وهكذا يتضح لنا أنه من العسير وضع إطار محدد أو تعريف جامع للأدب ، و لكن يمكن القول بصفة عامة "أنه التعبير عن تجربة إنسانية ، بلغة تصويرية هدفها التأثير و في شكل فني جمالي قادر على توصيل تلك التجربة"[١٧٢].

ومن خلال هذه المحاولة يبرز لنا الأدب في قسمين رئيسين هما : الشعر والنثر. وإذا تتبعنا كلاً منهما بالدراسة و البحث نبدأ بسؤال أنفسنا : لم ينتج الشاعر فنه القولي في صورة شعرية ولا يخرجه في قالب نثري ؟ و الواقع أن الأدب حين يكتب شعراً يكون في حالة نفسية و "وضع يكون فيه التعبير الشعري هو التعبير الوحيد الكافي ، فالشعر قبل كل شيء يعتمد على ما عند الشاعر من بصيرة شعرية"[١٧٣].

والواقع أن الشعر و النثر يشتركان في أن كلاً منهما يحتوي عناصر عدة كالعناصر الإسلامية و غيرها التي تشمل الفكرة و العاطفة و الخيال ، ويبرز الفرق بينهما بمقدار التفاوت

---

١٧٠ شَيخو (لويس)(١٨٥٩-١٩٢٧م):راهب يسوعيّ،ولد في ماردين و توفيّ في بيروت. المنجد في اللغة و الأعلام، ص ٣٤٠.

١٧١ لويس شيخو، تاريخ الآداب العربية،ص١.

١٧٢ د.محمد حسني عبد الله،مقدمة في النقد الأدبي (الكويت:دار البحوث العلمية ١٩٧٥م)ص٢٨.

١٧٣ د.عزالدين اسماعيل، الادب وفنونه (القاهرة : دار الفكر العربي ١٩٨٦م)ط٦،ص١٢٨.

Dhaka University Institutional Repository

في هذه العناصر ، و مع أن الكلام المرسل المعتاد أقدم من المنظوم بكثير ، إلا أن الشعر يعد ابتداء للآداب عند أي أمة من الأمم ، ذلك أنه نابع من عاطفة و خيال ، بينما النثر تعبير عن الفكر و الرأي ، وتاريخ المجتمعات تتقدم فيه العواطف و الأخيلة ، بينا يحتاج النضج الفكري إلى قدر من التقدم و الرقي في مضمر الحضارة ، و العرب كغيرهم من الأمم كان الشعر لديهم أسبق.

ومما لا شك فيه أن تقسيم الأدب إلى شعر و نثر يندرج تحته العديد من التقسيمات ، فليس الشعر لوناً واحداً، وكذلك النثر ، بل لكل منهما أنواعه المختلفة،ولكل منهما أيضاً مميزاته ووظيفته ، ورغم الدراسات العديدة التي تدور حول هذين الفنين و المفاضلة بينهما ، إلا أننا نكتفي ببيان هذين الفنين وما يندرج تحتهما من تقسيمات مختلفة، وإيضاح ما طرأ عليهما من تغييرات و تطورات عبر العصور ، و نحاول أن نستقصي أبعاد التطور و مداه من خلال نماذج نعمد فيها إلى الدراسة التحليلية ، و نمهد لهذه الدراسة الإسلامية بالتعرف على أثر القرآن الكريم و الحديث الشريف في اللغة و الأدب ، ثم نتبعها بالوقوف على تفاعل الأدب العربي مع الآداب الأجنبية[١٧٤].

معنى الأدب لغة

أدب، يأدُب، وأدبًا. ١- أقام مأدبة ٢- : دعاه إلى مأدبة ٣- القوم على الأمر جمعهم عليه[١٧٥].

حقيقة الأدب الدعاء[١٧٦]، مثلا دعوة الناس إلى مأدبة أي إلى طعام مثل أدب القوم دعاهم إلى طعام، و منه الآداب : الداعي إلى الطعام[١٧٧]. ثم اشتقت من معنى الدعوة إلى الخلق الكريم[١٧٨] مثل أدبت أدبا حسنا . فالأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس ، سمى أدبا لأنه يأدب الناس إلى المحامد و ينهاهم عن المقابح[١٧٩]. فلعل كلمة "المؤدب" التي استخدمت كثيرا في العهدين الأموي والعباسي اسما لمن كان يؤدب أبناء الأمراء والخلفاء ، مشتقة من ذلك المعنى[١٨٠]. فالآن "المؤدب" يعنى من يربى تربية ثقافية و نفسية و خلقية .

تدل كلمة أدب على معان متعددة فمنها : تهذيب النفس و تعليمها[١٨١] و منها الحديث في المجالس العامة و منها الكلام الحكيم الذي ينطوي على حكمة أو موعظة أو قول صائب[١٨٢]. قيل إن وفودا قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يكلمهم بلهجاتهم المختلفة فقال له بعضهم أنى لك هذا يا محمد صلي الله عليه و

---

١٧٤ د.وفاء سليم، من روائع الأدب العربي (الكويت: دار البحوث العلمية ١٩٧٩م)ط١،ص٢٠.
١٧٥ جبران مسعود، الرائد معجم لغوى عصري (بيروت : دار العلم للملايين ١٩٩٢م) ط ٧ ص ٣٦.
١٧٦ ابن منظور الأفريقى المصرى، ، لسان العرب (ايران : ادب الحوزة ١٤٠٥ هـ) ج ١ ،ص ٢٠٦ .
١٧٧ المصدر نفسه .
١٧٨ د. جولد سيهر "أدب" ، دائرة المعارف الاسلامية (القاهرة : دار الفكر ١٩٣٣م) ج ١ ص ٥٣٢.
١٧٩ ابن منظور الأفريقى ، لسان العرب ، ج ١ ص ٢٠٦ .
١٨٠ . د. شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلى (القاهرة : دار المعارف ١٩٦٠م) ط ٨ ص ٨ .
١٨١ . د. عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي (بيروت : دار العلم للملايين ١٩٩٢م) ج ١ ، ص ٤٢.
١٨٢ . المصدر نفسه .

Dhaka University Institutional Repository

سلم : فقال أدبني ربى فأحسن تأديبي ، إذن أنطوي معنى الكلمة على المعرفة والخلق جميعا[١٨٣].

و معنى خاص و هو الأدب الخالص الذي لا يراد به إلى مجرد التعبير عن معنى من المعاني ، بل يراد به أيضا أن يكون جميلا سواء تهتد به التجربة الشعورية بكلا الوصفين من الكتابية والإنشائية[١٨٤]، بحيث يؤثر في عواطف القارئ أو السامع على نحو ما هو معروف في صناعتي الشعر و فنون النثر الأدبية، مثل الخطابة والأمثال والقصص والمسرحيات والمقامات[١٨٥].

فمهما يكن من أمر فقد تأخر استعمالها بمعنى فن الأدب حين و ردت في مباحث النقاد و حوار الأدباء والشعراء ، فهو الذي يطلق على "مجموع الكلام الجديد المروى نثرا و شعرا[١٨٦].

و الأديب هناك هو الذي يتذوق الأدب و يقدر على الإنتاج الأدبي[١٨٧].

معنى الأدب اصطلاحا

يقول حنا الفاخوري في تعريف الأدب :

١- الأدب هو مجموعة الآثار المكتوبة التي يتجلى فيها العقل الإنساني بالإنشاء أو الفن الكتابي[١٨٨].

٢- و يقول الأديب الناقد أحمد أمين في كتابه ، "النقد الأدبي" في تعريف الأدب "إنه التعبير عن الحياة أو بعضها بعبارة جميلة (موحية)" .

٣- و في نظر دكتور شوقي ضيف "الأدب هو الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به إلى التأثير في عواطف القرّاء والسامعين سواء أكان شعرا أم نثرا"[١٨٩].

٤- و يقول الناقد الكبير محمد غنيمى الهلال "التعبير الحر عن دعي الأمة في آمالها الكبيرة و مثلها من وراء التصوير الصادق لواقعتها فيما يشف من إمكانات أو يوحي بها"[١٩٠].

٥- تعريف الأدب عند أستاذ سيد قطب "إنه التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية"[١٩١].

---

١٨٣. دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١ ص ٢٠٦ .
١٨٤. অধ্যাপক মাহবুবুল আলম, সাহিত্য তত্ত্ব (ঢাকা ঃ খান ব্রাদার্স, ১৯৮৭ ইং) পৃ. ৩
١٨٥. د. شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلى، ص ١٠.
١٨٦. انعام الجندى ، الرائد في الأدب العربي (بيروت : دار الرائد العربي ١٩٨٦م)ط٢، ج ١، ص ٣٦.
١٨٧. د. عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، ج ١ ص ٤٢.
١٨٨. حنا الفاخورى ، تارخ الأدب العربي ، ج ١ ص ٣٤ .
١٨٩. د. شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلى، ج ٢ ص ٥.
١٩٠. د. خالد يوسف ، في النقد الأدبي ، (لبنان : المؤسسة الجامعة ١٩٨٧م) ط١ ،ص ١٣-١٤.
١٩١. سيد قطب ، النقد الأدبى أصوله و مناهجه (مصر : دار الفكر العربي ب ت) ص ٧ .

Dhaka University Institutional Repository

٦- و قال أيضا "تعبير موح عن قيم حية ينفصل بها ضمير الفنان و هذه القيم تختلف من نفس إلى نفس و من بيئة إلى بيئة و من عصر إلى عصر و لكنها على كل حال تنبثق من تصوير معين للحياة و الارتباطات فيما بين الإنسان والكون و بين بعض الإنسان و بعض"[١٩٢].

٧- و يقول إمرسن (Emerson) ، " الأدب سجل لخير الأفكار" .

٨- و يقول بعض آخر في تعريف الأدب " الأفكار الأذكياء و مشاعرهم مكتوبة بأسلوب يلذ القاري" .

٩- و يقول الكاتب الفرنسى سانت بيف (Santbewve) ، "هو الكلام الدقيق الجميل الذي يعبر عن الحقائق الأدبية والعواطف الإنسانية" .

١٠- و قد قيل في كتاب The Encyclopedia Britannica في موقف الأدب literature

"The concise Oxford dictionary" Says it is writing whose Value lies in the beauty of form of emotional effects.[١٩٣]

١١- و أيضا قال Walter pater في كتابه باسم The matter of imaginative or artistic literature

"Hranscription Not of mere fact but of fact in its infinitively varied forms"[١٩٤]

١٢- و مما مضى من التعريفات المذكورة فهذه ألذ و أحسن و هذه :

Literature is first and foremost mankind's entire body of writing: after that it is the body of writing belonging to a given language of people. Then it is individual piece of writing.[١٩٥]

١٣- و يقول শ্রীশ চন্দ্রদাস في تعريف الأدب بعبارته هكذا :

নিজের কথা পরের কথা বা বাহ্য জগতের কথা সাহিত্যিকের মানোবীনায় সুরে ঝংকৃত হয়, তাহার শিল্প সংগত প্রকাশই সাহিত্য। প্রকাশ বলিলেই যিনি প্রকাশ করেন এবং যাহা প্রকাশ করেন এই দুইটি সম্বন্ধে সচেতন হই। যিনি প্রকাশ করেন তিনিই সাহিত্যিক এবং যাহা প্রকাশ করেন, তাহাই সাহিত্যের বস্তু বা সামগ্রী।[١٩٦]

١٤- و يمكن تلخيص تعريف الأدب كفن بما يلى :

---

١٩٢. المصدر نفسه ص ١٢١.
١٩٣. K. Re. "Literature" The New Encyclopedia of Britannica V. ١٠. P ١٠٤١
١٩٤. المصدر نفسه .
١٩٥. المصدر نفسه .
١٩٦. মাহবুবুল আলম সাহিত্য তত্ত্ব পৃ. ২

Dhaka University Institutional Repository

هو تجربة إنسانية معبر عنها بالألفاظ و الجمل ، مع شرط مراعاة مطابقة التعبير و حسن اختيار اللفظ و تناغم الحروف و تناسق الجمل و تلائم الكلمات مع الموضوع والعناية بالصور واستخدام الخيال عنصرا ضروريا و متمما في بناء التعبير بناء جيدا[١٩٧].

١٥- فالأدب ملكة أو براعة راسخة في النفس الإنساني يتجلى بها العقل ثم تتصور بمجموعة الآثار المكتوبة التي يقصد به إلى التأثير في عواطف القرّاء والسامعين سواء أكان شعرا أم نثرا .

قديما يطلق الأدب على جميع ما صنف في كل لغة من البحوث العلية والفنون الأدبية تعبيرا عن عاطفة أو فكرة أو تعليما لعلم أو فن تخليدا لحادثة أو وافقة، فيشتمل كل ما أنتجه خواطر العلماء و قرائح الكتاب والشعراء .

ثم وضح علينا أن الأدب هو توسع الخيال (التجربة الشعورية) بالمعنى المبتكر ثم يعبره تعبير المتين والأسلوب البارع بالألفاظ الفصيح المحتوى على حياة الأفراد والأمم مما يهذب النفس و يرقق الحس و يثقف اللسان، فلا نعد الكلام المتداول في أحاديثنا اليومية المألوفة ولا الكلام الدائر في الرسائل العادية ولا الكلام المستعمل في الصفحة اليومية والكتب العلمية مما ينتجه العقل أدبا إلا أن يتانق المتكلم أو الكاتب فيه. فيدخل ذلك الكلام ح في نطاق الأدب على مقدار ما فيه من البراعة والتانق .

الأدب العربي :

قال دكتور عبد الباسط بدر حول الأدب العربي: فالأدب العربي مصطلح يطلق على الأعمال الأدبية المنشأة باللغة العربية أيا كانت مموناتها و اتجاهاتها و عصورها[١٩٨].

و قال الأستاذ د. محمد أبو بكر صديق في كتابه في (النقد الأدبى العربي) আরবী অনুপম রচনা শৈলী ও শব্দ চয়নের মাধ্যমে একটি : تعريف الأدب العربي في সাহিত্য সমালোচনা ভাষা : [١٩٩]। জীবনের পূর্ণাঙ্গ অথবা আংশিক ব্যাখ্যাই আরবী সাহিত্যের সুপরিচিত সংজ্ঞা। و قال أيضا : এবং ব্যুৎপত্তিগত অর্থ হলো আদাব কায়দা বা আচার أدبতত্ত্বের দিক থেকে সাহিত্যের আরবী শব্দ হলো আচরণ। প্রাচীন আরবী সাহিত্য এক ধরনের রাজকীয় সম্পাদকীয় সাহিত্য ছিলো যা প্রশাসক রাজপুত্র এবং অনুরূপ বৈশিষ্ট্য ব্যক্তিবর্গের আচার আচরণ ও রীতি নীতি বিভিন্ন সাহিত্যিক ভঙ্গিমায় লিখিত হতো বলে এর أدবকথাবার্তা উপন্যাস ও ধর্মীয় পুস্তকে তা প্রভাব বিস্তার করতো। এই প্রকার সৃষ্ট কর্ম তখন থেকে

---

١٩٧. انعام الجنودى ، الرائد في الأدب العربي ، ج ١ ص ٣٦.
١٩٨. ড. মো আবু বকর সিদ্দিক, আরবী সাহিত্য সমালোচনা (ঢাকা ঃ সুলতানা প্রকাশনী, ১৯৮৯ ইং) পৃ. ২৩
١٩٩. المصدر نفسه .

Dhaka University Institutional Repository

শব্দটি এক বিশেষ অর্থে সাহিত্য বলে পরিগণিত হয় যা গদ্য বা পদ্য أدبঅন্তর্ভুক্ত হতো। পরবর্তীতে রচনায় সহনশীলতাকে নির্দেশ করবে।[২০০]

فالأدب العربي هو الكلام العربي الدقيق الجميل الذي يعبر بها عن الحقائق الأدبية والعواطف الإنسانية مشتملة على عناصرها اللازمة مثل العاطفة(Emotion)والخيال (Imagination) والفكرة(Thought) والأسلوب أو الصورة(Form،)فالنقل الحرفي لا يكون أدبا مهما تكن خاليا عن الأوصاف المذكورة .

اللغة العربية أرقى اللغات اليوم و أعلاها[২০১]. تاريخها تقريبا ألفي سنة اليسوعى حتى أن سائر اللغات مجهول العصر عن كيفية النشأة، واللغة العربية أيضا لم تختلف فيها تخريج الصورة التاريخية . فلقد خلا جزء عظيم على حياة البشرية من كتابة و كتب و لكن الأرجح أن الفترة لم يخل من أدب[২০২]. و من حق ثابت أن الشعر أسبق النثر ولا أقول إن أول الكلام نطق به الإنسان هو الشعر[২০৩]، بل معناه إن الآثار الأدبية زينها الأدباء الشعر دون شك .

(قيل كان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب إلى الغناء و لم يزل يبدأ بالسجع بلا وزن كما في قولهم في الأنواء :

إذا طلع السرطان استوى الزمان و حضرت الأوطان و تهادت الجيران إذا طلع البطين اقتضى الدين و ظهر الرين واقتفي بالعطار والقين . إذا طلع النجم يعنى الثريا فالحر في حدم الشعب في حطم . إذا طلع الدبران توقدت الحزان و كرهت النيران واستغرب الزيان و يبست الغدران و رمت بأنفسها حيث شاءت الصبيان. إذا طلعت الهقعة تقوض الناس للقلعة و رجعوا عن النجعة و ارد فتها الهنعة . إذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء و كنست الظباء و عرقت العلباء و طاب الخباء . إذا طلعت الذراع حسرت الشمس القناع أشعلت في الأفق الشعاع و ترقرق السراب بكل قاع آه)[২০৪] .

و يزعم أن الرجز أقدم من أشعار الغنائية حتى قيل إن مضر بن نزار سقط عن جمله فانكسرت يده فجعل يقول (وا يداه وا يداه) من لحن يلذ السامعين و صارت مثالا فجعلوا يحدون بها الإبل (ها يداه ها يداه)[২০৫] .

---

২০০. R. Stephen Humphrey's. Islamic History (U.K. : I.B. Tawris and Company Ltd. ১৯৯১ AD). P. ১২

২০১. حنا الفاخورى ، تأريخ الأدب العربي ، ج ١ ص ٤٢ .

২০২. المصدر نفسه .

২০৩. جرجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، (مصر : مطبعة الهلال ١٩٢٤م) ج ١، ط ٢، ص ٥٧.

২০৪. المصدر نفسه . ৩৩ পৃ আ. ত. ম. মুছলেহ উদ্দিন, আরবী সাহিত্যের ইতিহাস

২০৫. المصدر نفسه،ج ١ ص ٨٨.

Dhaka University Institutional Repository

و كانوا يقدمون الأشعار الغنائية أمام الملك فإن لم يكن صوت الناشد رخيما اقتنى غلاما رخيم الصوت ينشد أشعاره . و كان العرب عادة إذا أعجبهم البيت، حفظوه لما أن العرب على الإجمال أهل حافظة و تناقلوه، فيشيع على ألسنتهم كبارا و صغارا و يتحدثون به في أند يتهم و مجتمعاتهم[٢٠٦]. ثم إن النثر الفني هو لغة العقل، والشعر لغة الوجدان. والأدب المنثور موقوف على معرفة الكتابة، والكتابة اختراع متأخر في تاريخ الأمة[٢٠٧].

---

٢٠٦. حنا الفاخورى ، تاريخ الآدب العربي ، ج ١ س ٤٣ .
٢٠٧ المصدر نفسه،ج ١ ص ٤٥.

Dhaka University Institutional Repository

الـبـاب الـثـانـي

الـعنـاصـر الإسلامية في الأدب العربي ٦١٠-٦٦١م

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الأول : العناصر الإسلامية في الأدب العربي نثراً و نظماً في العصر النبوي

الكلام المرسل الذي أطلق من إلتزام الوزن و القافية أسبق في التعبير عن مقاصد الإنسان و عن أفكاره و يسموته النثر سواء كان عاليا أم عاميا فهما خارج عن البحث، لأن النثر العادي الذي يستخدم في لغة الحديث والنثر العلمي الذي تصاغ به الحقائق العلمية فلا أثر في كليهما للطابع الفني. و إنما سبق الكلام بالنثر الإسلامي الذي تأثر أشد التأثير في أغراضه و أساليبه بالإسلام والقرآن الكريم. فأما بالقرآن فهو أعذب تعبيرا و أمتن سبكا و أبرع دلالة و أنق ديباجة و أفصح ألفاظا و أسهل تركيبا. والناثرون كانوا قد تأثروا ببلاغة القرآن التي كانت تجرى بأغراض متعددة مثلا الترغيب والترهيب والوعد الوعيد والسرد والقصص والوصف والتشريع[1].

و أما بالإسلام فهو إنقلاب فكرى و دين جديد ، و عقيدة مقدسة. فلما جاء الإسلام إزداد النثر توسعا حيث وجد العرب أمام أعينهم منبعا يفيض عليهم من بلاغته وإعجازه و وضحت في نثرهم آثار هذه المعجزة الكبرى ، و تجلت فيه مظاهر هذه المنقلة المفاجئة التي أتى به الإسلام. إذن العرب قد جعلوا النثر ميدان براعتهم في التعبير عن المقاصد والمعاني بعد أن كانوا قد إنصرفوا عن الشعر كثيرا أو قليلا[2].

و علينا الآن أن نستكمل دراستنا لأنواع النثر الفني في عهد النبوة موزعين طائفة من النصوص النثرية المختلفة من القصة و الخطابة والرسالة والأمثلة.

و قد أشرنا من قبل أن القصة أو الحكاية قد وجدت صورة فنية بعد نزول القرآن الكريم والقرآن محمولا بعض القصص من الأنباء المرسلين و لو كان القرآن كتاب الله منبع الأحكام والتشريع ، لا كتاب القصص فقط سنأتي إن شاء الله نموذج القصة عن القرآن و هي سورة يوسف بعضاً.

---

[1] الدكتور عبد الحكيم بلبع ، النثر الفني و أثر الجاحظ فيه (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٧٠م) ص ١٠ ، ط ٢.

[2] الدكتور عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، ج ١ ، ص ٢٥٦.

Dhaka University Institutional Repository

(أ) بعض الآية القرآنية من سورة يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

"الر تلك آيات الكتاب المبين . إنا أنزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون . نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن و إن كنت من قبله لمن الغافلين. إذ قال يوسف لأبيه يأبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين. قال يا بني لا تقصص رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين. و كذلك يجتبيك ربك و يعلمك من تأويل الأحاديث و يتم نعمته عليك و على آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم واسحق إن ربك عليم حكيم . لقد كان في يوسف و أخوته آيات للسائلين إذ قالوا ليوسف و أخوه أحب إلى أبينا و نحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين . اقتلوا يوسف و أخوه أحب إلى أبينا منا إلى أبينا منا و نحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين . اقتلوا يوسف و أخوه أحب إلى أبينا منا و نحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين . اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم و تكونوا من بعده قوما صالحين . قالوا ليوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم و تكونوا من بعده قوما صالحين . قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيبت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فعلين . قالوا يأبانا مالك لا تأمنا على يوسف و إنا له لنا صحون . أرسله معنا غدا يرتع و يلعب و إنا له لحافظون . قال إني ليحزني أن تذهبوا به و أخاف أن يأكله الذئب و أنتم عنه غافلون . قالوا لئن أكله الذئب و نحن عصبة إنا إذا لخاسرون . فلما ذهبوا به و أجمعوا أن يجعلوه في غيبت الجب و أوحينا إليه لتنبئنهم بإمرهم هذا و هم لا يشعرون . و جاءوا أباهم عشاء يبكون قالوا يأبانا ذهبنا نستبق و تركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب . و ما أنت بمؤمن لنا و لم كنا صادقين و جاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون . و جاءت سيارة فارسلوا و اردهم فأدلى دلوه ، قال يا بشرى هذا غلام . و اسروه بضعة والله عليم بما يعملون . و شروه بثمن بخس دراهم معدودة و كانوا فيه من الزاهدين و قال الذى اشتراه من مصر لإمر أته ، أكرمي مثواه . عسى

Dhaka University Institutional Repository

أن ينفعنا أو نتخذه ولدا و كذلك مكنا ليوسف في الأرض و لنعلمه من تاويل الأحاديث والله غالب على أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون إلى اخر السورة [٣].

(ب) الخطابة

حينما نلاحظ الأدب المخضرم رأينا أنه فقد كثيرا من الأغراض والمعاني الجاهلية و تبدل بها أغراضا و معاني إسلامية كالإبتداء بالبسملة والحمدلة مع حث الناس إلى التوحيد والرسالة و تنذير الناس عن النار و تبشيرهم بالجنة . و أما أسلوبه فبقى جاهليا في الأكثر و كذلك قل الشعر في هذا العصر و كثر النثر و ازدهرت الخطابة .

أشهر الخطباء في عهد النبوة

إذا نذكر أشهر الخطباء الإسلام فإنه يجب علينا أن نضع في مقدمتهم و على رأسهم محمدا صلى الله عليه وسلم فهو أخطب العرب و أبينهم [٤] فكانت خطبات الرسول الله صلى الله عليه وسلم تارة و عظا و تارة تشريعا و قد تجمع بين الطرفين فهو يتم فى عمومة بالبساطة المحكمة ، والجزالة ، والرشاقة ، وقوة الأسر و بعد الإشارة محتملا على الدعوة إلى الدين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ثم يأتى بعده خلفاءه من أمثال أبى بكر و عمر و عثمان و على، فهو لاء من أشهر الخطباء الإسلاميين الذين لعبت خطبهم دورا حماسا في توجيه السياسة العامة للدولة الناشئة. فأخذت أبو بكر و عثمان تدفع مواقف جديدة للكلام إذ أخذوا يخطبون في الجيوش الفاتحة محمسين و موصين بإتباع تعاليم الإسلام السمحة في معاملة الأمم المغلوبة، و سار في نفس الدرب عثمان تدفع مواقف جديدة للكلام إذ أخذوا يخطبون في الجيوش الفاتحة محمسين و موصين بإتباع تعاليم الإسلام السمحة في معاملة الأمم المغلوبة و سار في نفس الدرب عثمان ثم على بن أبى طالب، و كان خطيبا مفوها ، و قد اندلعت الحروب الداخلية طوال عهده و اندلعت معها خطابة كثيرة في صفوفه و في الصفوف المعارضة كما اندلعت مناظرات

---

[٣]. القرآن الكريم ، سورة يوسف، مكية .

[٤]. د. عبد الحكيم ، النثر الفنى، ص ٨٥.

Dhaka University Institutional Repository

مختلفة في الأراء المتقابلة[٥] فكان الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون و أمرا الجيوش و ولاة الأمصار و القضاة من الخطباء ضرورة. سنحاول إن شاء الله أن نأتي طائفة من خطبهم المأثورة و كذلك أمثالهم و رسائلهم على الترتيب التي وعاها التاريخ .

أول خطبة ألقاها الرسول صلى الله عليه و سلم يوم الجمعة

"الحمد لله أحمده و أستعينه و أستغفره و أستهديه و أومن به ولا أكفره و أعادى من يكفره أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله أرسله بالهدى و النور والموعظة على فترة من الرسل و قلة من العلم و ضلالة من النا ، وإنقطاع من الزمان و دنو من الساعة و قرب من الأجل من يطع الله و رسوله فقد رشد و من يعصهما فقد غوى و فرط . و ضل ضلالا بعيدا وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يامره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكرا و أن تقوى الله لمن عمل به على وجل و مخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة و من يصلح الذي بينه و بين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوى بذلك إلا وجه الله لم يكن له ذكرا في عاجل أمره و ذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما تقدم و ما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه و بينه أمدا بعيدا و يحذر كم الله نفسه والله رؤوف بالعباد. و الذي صدق قوله و أنجز و عده لا خلق لذلك فإنه يقول عز و جل ما يبدل القول لدى و ما أنا بظلام للعبيد فاتقو الله في عاجل أمر كم و آجاله في السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيأته و يعظم له أجرا و من يتق الله فقد فاز فوزا عظيما و أن تقوى الله يوقى مقته و يوقى سخطه و أن تقوى الله يبيض الوجوه و يرضى الرب و يرفع الدرجة . خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه و نهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا و يعلم الكاذبين فاحسنوا كما أحسن الله إليكم و عادوا أعداءه و جاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم و سماكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بينة و يحيا من حي عن بينة ولا قوة إلا بالله فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم فإنه من يصلح ما بينه و

---

٥. د. شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربى ، ج ٢ ،ص ٤٨١.

Dhaka University Institutional Repository

بين الله يكفه الله ما بينه و بين الناس ، ذلك بأن الله يقض على الناس ولا يقضون عليه و يملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم" [٦].

خطبة حجة الوداع

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة طويلة في حجة الوداع جاء فيها :

"الحمد لله نحمده و نستعينه و نتوب إليه و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيأت أعمالنا من يهد الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادى له. و أشهد أن لا إله إلا الله و حده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله .

أوصيكم – عباد الله – بتقوى الله و أحثكم على طاعته و استفتح بالذي هو خير، أما بعد : أيها الناس ! إسمعوا منى أبين لكم فإني لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا . أيها الناس ! إن دماء كم و أموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها و إن ربا الجاهلية موضوع . و إن أول ربا أبتدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب . و إن دما الجاهلية موضوعة . و إن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعية بن الحارث بن عبد المطلب . و إن مأثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية و العمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصي والحجر ، و فيه مأة بعير . فمن زاد فهو من أمر الجاهلية . أيها الناس ! إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه و لكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

أيها الناس ! إنما النسى زيادة في الكفر ، يضل به الذين كفروا يحدونه عاما و يحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحدوا ما حرم الله . إن الزمان قد إستدار هيئته يوم خلق الله السموت والأرض . إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموت والأرض، منها أربعة حرم : ثلاثة متواليات و واحد فرد ، ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم و رجب الذي بين جمادى و شعبان . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد - أيها الناس ! إن لنساء كم عليكم حقا و لكم عليهن حق و لكم عليهن

---

٦. الطبرى ، تأريخ الأمم والملوك (بيروت : دار القلم ب ت) ج ٢، ص ٢٥٥-٥٦.

Dhaka University Institutional Repository

أن لا يوطئن فرشكم غير كم ولا يدخلن أحدا تكرهونه ، بإذنكم ولا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن و تهجروهن في المضاجع و تضربوهن ضربا غير مبرج فإن إنتهين و أطعنكم فعليكم رزقهن و كسوتهن بالمعروف .

إنما النساء عندكم عوان ، لا يمكن لأنفسهن شيئا أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد .

أيها الناس ! إنما المؤمنون اخوة ولا يحل لأمري مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد فلا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فأنى قد تركت فيكم ما إن أخذ تم به لن تضلوا بعده كتاب الله ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .

أيها الناس ! إن ربكم واحد و إن أباكم واحد كلكم لآدم و آدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليم خبير ، ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ، قالوا نعم قال فليبلغ الشاهد الغائب .

أيها الناس ! إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، فلا تجوز وصية الوارث في أكثر من الثلث والولد للفراش و للعاهر الحجر . من ادعى إلى غير أبيه أو تولى خير مواليه فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين . لا يقبل منه صرف ولا عدل . والسلام عليكم و رحمة الله و بركاته" [٧].

(ج) نموذج من عضات النبي صلى الله عليه و سلم

عن سلمان رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله في أخر يوم من شعبان قال : "أيها الناس ! قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر. جعل الله صيامه فريضة و قيام ليلة تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كمن أدى فريضة فيما سواه . و هو شهر الصبر ، الصبر ثوابه الجنة . و شهر المواساة و شهر يزاد في رزق المؤمن فيه . من فطر صائما كان مغفرة لذنوبه و عتق رقبة

---

[٧]. د. شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربى (مصر : دار المعارف ب ت) ج ٢ ص ١١٧. عبد السلام هارون ، تهذيب، سيرة ابن هشام (بيروت : دار إحيا التراث العربى ١٩٨٩م) ص ٣٧١ ـ ٧٢ .

Dhaka University Institutional Repository

من النار و كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء . قالوا يا رسول الله ! ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم قال رسول الله : يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو على شربة ماء أو مضغة لبن ، و هو شهر أوله رحمة و أوسطه مغفرة و أخره عتق من النار . من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له واعتقه من النار . استكثروا فه من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم و خصلتين لاغناء بكم عنهما . فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله و تستغفرونه ، و أما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما فتألون الله الجنة و تعوذون به من النار و من سقى صائما سقاه الله من حوض شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة" [٨].

(د) نموذج من رسائل النبي صلى الله عليه و سلم

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل قيصر الروم بكتاب، يدعوه فيه إلى الإسلام و نسخته :" بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله و رسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم. أسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإنما عليك إثم الإريسين. ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم، ألا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . فإن تولوا فقولوا شهدوا بأنا مسلمون" [٩].

و جاء في صبح الأعشى : ذكر أبو عبيدة في "كتاب الأموال" إن كتابه صلى الله عليه سلم إلى هرقل ، كان فيه :

"من محمد إلى صاحب الروم إني أدعوك إلى الإسلام . فإن أسلمت، فلك ما للمسلمين . و عليك ما عليهم و إن لم تدخل في الإسلام فاعط الجزية فإن الله تعالى يقول "و قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الأخر ولا يحرمون ما حرم الله و رسوله ولا

---

٨. محمد يوسف الكاندهلوى ، حياة الصحابة (بيروت: دار المعرفة ١٣٨٩هـ) ج ٢ ص ١٠٩ ـ ١٠ .

٩. أحمد زكى صفوت ، جمهرة رسائل العرب (القاهر : دار المطبوعات العربية ١٩٣٧م) ج ١ ص ٣٨-٣٩.

Dhaka University Institutional Repository

يد ينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" و إلا فلا تحل بين الفلاحين و بين الإسلام أن يدخلوا فيه أو يعطوا الجزية "[١٠].

كتابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خالد

"بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن الوليد : سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد ! فإن كتابك جاء مع رسولك يخبرني أن بنى الحارث بن كعب، قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، و أجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، و شهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله و أن قد هداهم الله بهداه فبشرهم و أنذرهم . و أقبل وليقبل معك و فدهم .والسلام عليك و رحمة الله وبركاته" [١١].

كتابة صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل

كتب صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل رضى الله عنه يعزيه بإبن له مات. "من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل . سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد : فعظم الله لك الأجر ، وألهمك الصبر ، و رزقنا و إياك الشكر، ثم إن أنفسنا و أهلينا و مواليينا من مواهب الله السنية ، و عوارفه المستودعة ، نمتع بها إلى أجل معدود ، و تقبض لوقت معلوم . ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى، والصبر إذا إبتلى و كان إبنك من مواهب الله السنية ، و عوارفه المستودعة ، متعك به في غبطة و سرور ، و قبضه منك بأجر كثير الصلاة ، والرحمة والهدى إن صبرت واحتسبت فلا تجمعن عليك يا معاذ خصلتين : أن تحبط جزعك صبرك، فتندم على ما فاتك ، فلو قد مت على ثواب مصيبتك قد أطعت ربك ، و تنجزت موعده ، عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه ، و اعلم أن الجزع لا يرد ميتا ولا يدفع حزنا ، فأحسن الجزاء و تنجز الموعود ، و ليذهب أسفك ما هو نازل بك فكأن قد" [١٢].

---

[١٠]. المصدر نفسه، ص ٣٩.

[١١]. المصدر نفسه، ص ٦٣ ـ ٦٥ .

[١٢]. المصدر نفسه ، ص ٦٧.

Dhaka University Institutional Repository

(ه) نموذج من أمثال النبي عليه الصلوة والسلام

قال الله تعلى : " و ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة" و كذا قوله "و يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون" – لأن المثل يجعل قدرا في النفوس و حلاوة في الصدور ثم يدعوا القلوب إلى وعيه و يستظهر عند المذاكرة و يعرضه أو ان المحاولة في ميادين المجادلة والمصاولة في حلبات المقاومة ،ة و إنما هو في الكلام كالتفصيل في العقد ، والتنوير في الروض ، والتسهيم في البرد – الآن نحاول أن نعرض بعض المثل الإسلامية أبو عذرها حامى الدين و حامله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (و قد مضى بعض منها في الباب الثاني تحت عنوان مساهمة النبي عليه السلام على اللغة العربية و آدابها) .

قوله : إن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا أو يلم .

أول من تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم فعن أبى سعيد أن النبي صلى الله عليه والسلام قال "إن مما يخاف عليكم ما يفتح لكم من زهرة الدنيا و زينتها" فقال رجل : يا نبي الله ، أو يأتي الخير بالشر فأرينا أنه ينزل عليه ، فقال : أين السائل ؟ فكأنه حمده فقال : (إنه لا يأتي الخير بالشر ، و إن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا أو يلم) فهذا من أحسن الكلام و أو جزه و أفصحه لفظا و ألطفه معنى [١٣].

قوله : إن من البيان لسحرا .

أول من لفظ به النبي صلى الله عليه الصلاة والسلام فعن صخر بن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "إن من البيان لسحرا ، و إن من الشعر لحكمة ، و إن من العلم جهلا ، و إن من القول عيالا". والمعنى إن من البيان لسحرا أن البليغ يبلغ بيانه ما يبلغ الساحر بلطافة حيلته في سحر [١٤].

قوله : إياكم و خضرا الدمن .

---

[١٣]. أبو هلال حسن بن عبد الله ، كتاب جمهرة الأمثال (بيروت : دار الكتب العلمية ب ت) ج ١ ص ٢.

[١٤]. المصدر نفسه ، ١ ج ١ ص ١٨.

Dhaka University Institutional Repository

هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم فعن أبى وجزة يزيد بن عبيد عن عطا بن يزيد الليثي ، عن أبى سعيد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إياكم و خضرا الدمن و هو النبت على البعير ، فيروق ظاهره ، و ليس في باطنه خير . و ضربه مثلا للمرأة الحسنة في منبت السوء ، و كره ذلك لأن عرق السوء ينزع - و كذلك قول العرب "إياكم و عقيلة الملح" يعنون الدرة ، و هي تكون في الماء الملح . و معناه النهى عن نكاح الحسناء في منصب السوء [١٥].

قوله : أفرط فاسقط .

هو مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم ، "من كثر كلامه كثر سقطه" فعن نافع عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من كثر كلامه كثر سقطه ، و من كثر سقطه كثر كذبه ، و من كثر كذبه كثرت ذنوبه ، و من كثرت ذنوبه كانت النار أولى به ، و قال بعض الصحيح أن عمر رضى الله عنه قال ذلك و روايته عن النبي و هم . و برواية أخر عن مالك بن دينار عن الأحنف ، قال لي عمر : يا أحنف من كثر ضحكه قلت هيبته و من مزح استخف به ، و من أكثر من شئ عرف به . و من كثر كلامه كثر سقطه و من كثر سقطه قل حياءه ، و من قل حياءه قل ورعه و من قل ورعه مات قلبه [١٦].

قوله : الرغب شئوم .

عن عايشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى غلاما نوبيا ، فالقى بين يديه تمر فأكثر من الأكل فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الرغب من الشئوم و رده . يعنى به كثرة الأكل ، و رجل رغيب : شهوان كبير البطن و عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من الرغب قيل للدرا و ربى ما الرغب ؟ قال كثرة الأكل والعرب تمدح بقلة الأكل قال اعشى باهلة [١٧]

تكفيه حزة فلذ إن ألم بها من الشواء و يروى شربه الغمر

---

[١٥]. المصدر نفسه ج ١ ص ٢١.
[١٦]. المصدر نفسه ج ١ ص ٢٣.
[١٧] المصدر نفسه ج ١ ص ٣٩٥.

Dhaka University Institutional Repository

عند ما نبحث الأدب فالشعر أقدمه[١٨] وهذا هوالقول الراجح . والأشعار قبل الإسلام أكثرهم كانت في العصبية من المفاخرة والمتنافرة[١٩] اللواتي من عوامل التفريق[٢٠]، حتى فجر الإسلام و أعلن الاجتماع تحت لواء التوحيد واعتراف النبوة . فانقسم العرب مؤمنين و مشركين . فكان هناك من أمنوا و حسن إيمانهم ومن و قفوا يدافعون عن الدين القديم و يصدون عن سبيل الله[٢١]. و ظهرت هجائهم مثل أبى سفيان بن الحارث و عبد الله بن الزبعرى و ضرار بن الخطاب الفهرى و أبى عزة الجمحى و هبيرة بن أبى وهب المخزومى قبل النبي صلى الله عليه و سلم[٢٢]. فنزل الآية : الشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، و أنهم يقولون ما لا يفعلون (سورة الشعراء الأية ٢٢٦).

و قوله عليه السلام لأن يمتلي جوف أحدكم قيحا خير من أن يمتلى شعرا (ترمذى). و لما إضطر النبى صلى الله عليه وسلم و أصحابه إلى الهجرة واشتدت الخصومة فيما بين الرسول و قريش، فاستحسنه المنظوم. واتخذه سلاحا ضد خصومه من مشركى قريش حتى قال "ماذا يمنع الذين نصروا الله و رسوله بألسنتهم أن ينصروه بالسنتهم[٢٣]". فإذن نرى حسان بن ثابت و كعب بن مالك و عبد الله بن رواحة يظلون يحتدمون الهجاء توجيها و ترجيحا لدعوة الإسلام، مستضئين نعمة الإسلام و حامله إلى أن يرمى القريض أشد تأثيرا من وقع السهام في غلس الظلام .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم مرة لحسان بن ثابت : أهجهم و معك جبرائيل روح القد س والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات . و قال له كيف تهجو قريشا و أنا منها، فقال حسان أسلك كما أسل الشعرة من العجين[٢٤].

---

١٨. د.طه حسين ، في الأدب الجاهلي (القاهرة:دار المعارف ١٩٢٧م)١٥م،ص٣١٣.
١٩. د. عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٩٢م) ج ١ ص ٢٥٨.
٢٠. جرجى زيدان ، تاريخ آداب العربية (مصر: مطبعة الهلال ب ت)ط٢ ، ج ١ ص ١٩٢.
٢١. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٢ ص ٤٢.
٢٢. المصدر نفسه ص ٥٧.
٢٣. جرجى زيدان ، تاريخ الأدب العربي ، ج ١ ص ١٩٣.
٢٤. المصدر نفسه ، و فيه حديث : عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو

Dhaka University Institutional Repository

و من المحقق أن الإسلام لم يرد العرب عن الشعر و نظمه و القرآن أيضا لم يهاجم الشعر من حيث هو شعر و إنما يراد على الذين تناولوه (النبي صلى الله عليه وسلم) بالهجاء و الأذى[٢٥] و نهى الإسلام عن المفاخرات والمنافرات و وزع عن الغزل والهجاء و ثبط عن المبالغة والمغالاة على ما اطلعنا من قبل من حث النبي صلى الله عليه وسلم الشعراء[٢٦].

و لا يقال إن العرب قدا اشتغلوا عن الشعر في صدر الإسلام لمهاجمة القرآن للشعراء و تهديد الحديث عليه إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعجب بالشعر و يقول حين يسمع بعض روائعه "إن من البيان لسحرا و إن من الشعر لحكمة" .

و لأن الحقيقة أن الإسلام لم يرد العرب عن الشعر و نظمه حيث نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم إتخذه سلاحا ضد خصومه. و كذلك كان الخلفاء الراشدون من بعده يرددونه دائما على ألسنتهم كما كان صحابته كثيرا ما يناشدون في المساجد. و كل ذلك معناه أن الإسلام لم يثبط عن الشعر إلا حين وقف معرضا لدعوته، أما بعد ذلك تضيه ويستحسنه . وقد مضى الخلفاء الراشدون مهتدين بهدى الإسلام الحنيف ينهون عن الهجاء و يعاقبون فيه . و هذا العنوان ينقسم بجزأين

الأول: الشعر و النبي صلى الله عليه وسلم و الثاني الشعر والشعراء المخضرمون.

(أ) الشعر والنبي صلى الله عليه وسلم

ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يرغب الشعر ولا يحول إليه، و هذا لأن الأشعار من عوامل التفريق و كان النبي صلى الله عليه وسلم نبي مبعوث إلى كافة الناس، يبلغ رسالة ربه فهو أول أمره و أخره فلا هو يقرض الشعر ولا يذهب إليه[٢٧].

قالت بنافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يويد حسان بروح القدس ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترمذى : ج ٢، ص ١٠٧.

٢٥ جرجى زيدان ، تاريخ الأدب العربي ، ج ١ ص ١٩٢.

٢٦ . د. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ج ١، ص ٢٥٧.

٢٧ . R.A. Nicholson. A. Lit. His. of the Arabs (Cambridge: University press. ١٩٥٣ A D P. ١٥٩

Dhaka University Institutional Repository

و هو يقرأ القرآن ، مثلا- "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم : قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد و لم يولد ، و لم يكن له كفوا أحد" جوابا عن الطفيل بن عمرو السدوسى إذا قال له إني رجل شاعر فاسمع ما أقول "فقال أعوذ آه[٢٨] . و كان هو نبي أمين ، رحمة للعالمين . بيد أنه أفصح العرب و أفضلها . و يرى أن الشعر كلام مؤلف، فما وافق الحق منه فهو حسن ، و ما لم يوافق الحق فلا خير فيه[٢٩]. و أيضا يرى أن الشعر بمنزلة الكلام، حسنه كحسن الكلام و قبيحه كقبيح الكلام[٣٠]. فإن كان قبيحا فقوله عليه السلام : عن أبى هريرة أنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لأن يمتلى جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلى شعرا . و إن كان حسنا فقوله عليه السلام و إن من الشعر لحكمة .

و من الطبيعي أن أهل العرب أعطى لهم من الجمال الفني ما لا أعطى غيره حتى قيل إن العرب أمة الشعر، تحركت وجدانهم و تلقت على أنفسهم شيئا ما فينشئوا الأشعار بلا تعب و تفكر[٣١].

فكان رسولنا صلى الله عليه وسلم أيضا يرجز الأشعار في بعض الأحيان ترغيب أصحابهم و تمهيد أمورهم . فكذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم يرجز و يقدم عند ما ولوا أصحابه يوم حنين و هزموا و ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدبر بل يقدم و يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب[٣٢].

أيضا عن انس يقول: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق فاذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة بارد فلم يكن لهم عبيد يعملون ذالك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع فقال :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر الأنصار والمهاجرة

---

٢٨. جرجى زيدان ، تأريخ الأب العربي ، ج ١ ص ١٩٢.
٢٩. مصلح الدين ، تأريخ الأدب العربي ص ٣٢.
٣٠. المصدر نفسه.
٣١. المصدر نفسه.
٣٢. أبو عبد الله إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح البخاري (دهلى : كرزن بريش ١٣٣٢هـ) ط ١، ج ٢ ،ص ٦١٧.

Dhaka University Institutional Repository

فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

قال أنس بن مالك : حينما تنقلون التراب على متونهم و هم يقولون نحن الذين آ ه فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم :

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فبارك في الأنصار المهاجرة[٣٣]

و عن البرا قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه و يقول مرتجزا كلمات ابن رواحه :

و الله لو لا الله ما اهتدينا ثبت الأقدام إن لا قينا

ولا تصدقنا و لا صلينا إن الأولى بقوا علينا

فانزلن سكينة علينا إذا أرادوا فتنة أبينا[٣٤]

و عن جندب بن سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بعض المشاهد و قد دميت إصبعه فقال :

هل أنت إلا إصبع دميت و في سبيل الله ما لقيت[٣٥]

و عن عروة بن الزبير أنه كان ينقل اللبن في تعمير المسجد (المدنية) و يقول :

هذا الحمال لا حمال خيبر اللهم إن الأجر أجر الآخرة

و قال أيضا :

هذا أبر ربنا و أطهر فارحم الأنصار و المهاجرة[٣٦]

و عن سلمان فارسي أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق:

بسم الله و به هدينا و لو عبدنا غيره سقينا

و يا حبذا ربا وحب دينا[٣٧].

---

[٣٣]. المصدر نفسه ، ص ٥٨٨.
[٣٤]. المصدر نفسه ص ٥٨٩.
[٣٥]. المصدر نفسه ج ١ ،ص ٣٩٣.
[٣٦]. المصدر نفسه ج ١ ،ص ٥٥٥.

Dhaka University Institutional Repository

(ب) الإسلام : الشعراء المخضرمون

الشعراء المخضرمون الذين أنشدوا الشعر في العصرين الجاهلية والإسلام[٣٨]. و تزينوا بصبغة الإيمان و تعاون الإسلام . فالأعشى شاعر جاهلي بلا خلاف و إن أدرك الإسلام. و أعد قصيدة يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الموت أدركه قبل أن يتم الله نعمة الإيمان.أما كعب بن زهير و عبد الله بن رواحه و حسان بن ثابت وحطية ، شعراء مخضرمون عاشوا في الجاهلية ثم ترحبوا بنعمة الإيمان و الإسلام و ينشدون بتائيد دعوة الرسول والدفاع عنها[٣٩]. و هم أصاب النبي صلى الله عليه وسلم يمنعون الكفار باللسان كما يسدنهم بالسهام. و لكن لا يوجد فرقا بين الشعر الجاهلي و الشعر المخضرم من حيث الإيجاز ، و قوة التعبير ، و طريقة النظم ، و تعدد الموضوعات و براعة الوصف . فلم يتغير أغراض الشعر في جواهرها[٤٠] . فلا ينشدون إلا بالصورة الجاهلية[٤١] حتى دخلوا في الإسلام و رحبوا بالإيمان فإذن نرى أشعارهم ممتازا بالنفحة الدينية وملبسا العناصر الإسلامية، أيضا لا يرى فيه بأسا من الحياة بل يلتمس به ارتياحا شديدا إلى نعيم الآخرة و إلى الجنة التي و عدها للمتقين . و اكتسب، ألفاظا ما لم تكن مألوفة في الجاهلية كالجنة و النار ، والكفر والإيمان ، والصلاة والزكوة والركوع والسجود و غيرها بمعان مستحدثة[٤٢].

والقريش أخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم و أخذوا يهجون النبي هجاء مرا و أنكروا على محمد دعوته و حاربوه نحو ثماني سنوات بعد هجرته و يسفهون رسالاته و يسخرون الأنصار والمهاجرين. فإذا اضطر الرسول أن يهجو هم ، و أرسل ثلاثة من شعراء الأنصار حسان بن ثابت و كعب بن مالك و عبد الله بن رواحة. فحسان و كعب، يعارضان بمثل أقوالهم و يفاخران بالوقائع والأيام والمأثر[٤٣]، فلم

---

٣٧. ابن كثير ، البداية والنهاية (بيروت : مكتبة المعارف ١٩٧٤م) ج ٤، ص ٦.
٣٨. عمر فروخ ، تأريخ الأدب العربي ، ج ١، ص ٢٦.
٣٩. المصدر نفسه.
٤٠. حنا الفاخورى ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٢ ص ٢١٩.
٤١. د. شوقي ضيف تأريخ الأدب العربي ، ج ٢ ص ٢٧.
٤٢. بطرس ألبستاني ، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (بيروت : دار نظير عبود ١٩٨٩م) ج ١ ص ٢٦٦-٦٧.
٤٣. المصدر نفسه .

Dhaka University Institutional Repository

يتوقف و لم يختلف أشعارهم جوهرَ الجاهلية[٤٤]. نعم قل ح في أشعارهم الإفحاش والمنكرات والخصومات و المفاخرات الجاهلية[٤٥].

و يمتاز الشعر المخضرم بكثرة دعوة الإسلام و التمدح بشجاعة المسلمين والحث على الجهاد والفخر بالنصر الديني و رثاء من قتلوا في الغزوات والفتوحات الإسلامية و ما إلى ذلك مما أوحت به الحالة الدينية والاجتماعية والثقافية[٤٦]. و لقد ساهمت أشعارهم الدين والإسلام سنأتي نموذج بعض أشعار المخضرمين . و إنما نقتصر البحث في شاعر الرسول حسان بن ثابت و كعب بن زهير فقط لئلا يزدحم في البحث، زوائد ولا فضول بالأشعار اللواتي يوجد فيه العقائد الإسلامية بوجه ما أو لا يعاند الدين ولا يصدونه فهو أيضا يدخل في البحث .

العناصر الإسلامية في قصيدة حسان بن ثابت- (ت ٥٤ هـ/٦٧٤م)

هو أبو الوليد حسان بن ثابت من قبيلة الخزرج . قد عاصر الجاهلية والإسلام فهو من المخضرمين[٤٧] ولما أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما يمنع الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم" فقال حسان "أنا لها"[٤٨] يا رسول الله صلى الله عيه وسلم. فجعل يهجو قريشا وصار حسان شاعر النبي و شاعر الإسلام و لقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله "اللهم أيده بروح القدس" فهو يرد هجمات القرشيين اللسانية و كان يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم و عن الإسلام و يهجو خصومهما إلا أن ابن ثابت كان جبانا فلم يشهد مشهدا ولا غزوة فهو يكتفي بالشعر فقط حتى فرح رسول الله صلى الله عليه وسلم على شعره و قسم له الغنائم والعطايا[٤٩].

و كان أكثر أشعاره في مدح النبي صلى الله عليه وسلم والهجاء للعدوين والدفاع عنهم . الآن نحاول أن نذكر بعض أشعار المدحية والهجائية والدفاعية .

---

٤٤. د. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ج ٢ ص ٤٧.
٤٥. د.عمر فروخ تاريخ الأدب العربي ج ٢ ص ٤٢.
٤٦. المصدر نفسه ص ٢٦٠.
٤٧. جرجى زيدان ، تأريخ الأدب العربي ، ج ١ ص ١٤٩.
٤٨. المصدر نفسه ص ١٥٠.
٤٩. المصدر نفسه.

Dhaka University Institutional Repository

قال حسان في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم[٥٠] :

نبي أتانا بعد يأس و فترة — من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا — يلوح كما لاح الصقيل المهند
و أنت إله الخلق ربى و خالقي — بذلك ما عمرت في الناس أشهد

يدعو عيسى عليه السلام "يأتى من بعدى اسمه أحمد" و كذلك قوله عز و جل" إنا أرسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا و داعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا الآية" و في البيت الرابع "أنت ربى و هو أرحم الراحمين و في أخر بيت الرابع" أشهد" قوله تعالى "إنا جعلنا كم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليه شهيدا" .

قصيدة أنشدها حسان بن ثابت يوم فتح مكة (بعض منها)[٥١]:

و قال الله قد يسرت جندا — هم الأنصار عرضتها اللقاء
لنافي كل يوم من معد — قتال أو سباب أو هجاء
فنحكم بالقوافي من هجانا — و نضرب حين تختلط الدماء
و قال الله قد أرسلت عبدا — يقول الحق إن نفع البلاء
شهدت به و قومي صدقوه — فقلتم ما نجيب و ما نشاء
و جبريل أمين الله فينا — وروح القدس ليس له كفاء
بأن سيوفنا تركتك عبدا — و عبد الدار سادتها الإماء
ألا أبلغ أبا سفيان عنى — فأنت مجوف نخب هواء
هجوت محمدا فأجبت عنه — و عند الله في ذلك جزاء
أتهجوه و لست له بكفوء — فشر كما لخير كما الفداء
فمن يهجو رسول الله منكم — و يمدحه و ينصره سواء
فإن أبى و والده و عرضى — لعرض محمد منكم الفداء
فإما تثقفن بنو لؤى — جذيمة إن قتلهم شفاء
أولئك معشر نصروا علينا — ففي أظفارنا منهم دماء
و حلف الحارث ابن أبى ضرار — و حلف قريضة منا براء
لسانى صارم لاعيب فيه — و بحرى لا تكدره الدلاء

---

٥٠. حنا الفاخورى ، تاريخ الأدب العربي ، ج ١ ص ٢٣٥.

٥١ عبد السلام هارون ، تهذيب سيرة ابن هشام (بيروت : دار أحيا التراث العربي ١٩٨٢م) ص ٢٩٦-٩٨، محمد عفيف الزغبي ، مختصر سيرة ابن هشام (سورية : مكتبة المعرفة ١٩٨٢م) ط ٢ ص ٢٣٦-٣٧.

Dhaka University Institutional Repository

قال الله تعالى : "إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبه و ما تأخر و يتم نعمته عليك و يهديك صراطا مستقيما"[٥٢] و في البيت، الرابع قوله تعالى "هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و كفي بالله شهيدا". و في نصف الأول من البيت العاشر و إحدى عشر و اثنا عشر يتجه قوله تعالى "يأيها الذين أمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي و لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم و أنتم لا تشعرون" و في البيت الثالث عشر قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا يكون أحدكم مؤمنا حتى أكون أحب إليه من والده و ولده والناس أجمعين (الحديث).

قال حسان يهجو أبا جهل[٥٣]:

لقد لعن الرحمن جميعا يقودهم — دعي بنى شجع لحرب محمد
مشوم لعين كان قد ما مبغضا — يبين فيه اللوم من كان يهتدى
فد لاهم في الغي حتى تها فتوا — و كانوا مغلا أمره غير مرشد
فأنزل ربى للنبي جنوده — و أيده بالنصر في كل مشهد

قوله تعالى "إن الذين يحادون الله و رسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم و قد أنزلنا آيات بينات و للكفرين عذاب مهين"[٥٤] و قوله تعالى "إن الذين يحادون الله و رسوله أولئك في الأذين كتب الله لأغلبن أنا و رسلي إن الله قوى عزيز و قوله تعالى: "و ما رميت إذ رميت و لكن الله رمى".

و قال يهجو عتبة بن أبى وقاص[٥٥] :

إذ الله حيا معشر بفعالهم — و نصرهم الرحمن رب المشارق
فأهلك ربى يا عتيب بن مالك — و لقاك قبل الموت إحدى الصواعق
بسطت يمينا للنبي برمية — فأدميت فاه قطعت بالفوارق
فهلا خشيت الله والمنزل الذي — تصير إليه بعد إحدى الصنائق
لقد كان خزيا في الحياة لقومه — وفي البعث بعد الموت أحد العوالق

---

٥٢ القرآن: سورة الفتح :١.
٥٣ HARTWIG HIRSCHFELD. PHD. DIWAN OF HASSAN B THABIT (LONDON: LEYDEN. ١٩١٠ AD). P.٣٢
٥٤ سورة مجادلة: الآية ٤
٥٥ ديوان حسان بن ثابت ،ص٣٥.

Dhaka University Institutional Repository

ففي البيت، قوله تعالى "هو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم" و في البيت الثالث يتجه قوله تعالى "و من يشاق الله و رسوله ..... الخ و نصف الأخر من البيت الخامس يتجه قوله تعالى "إن الذين كفروا و صدوا عن سبيل الله ثم ماتوا فهم كفار فلن يغفر الله لهم .

العناصر الإسلامية في قصيدة كعب بن زهير (ت/ ٦٦٢م)

هو أبو عقبة كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني ، ولكعب ذكر خاص عند ظهور الإسلام حيث خرج هو وأخوه بجير إلى المدينة ثم حدث له فتأخر و تقدم بجير و أسلم فلما سمع كعب إسلام أخيه بجير غضب عليه و هجاه و هجا النبى صلى ا لله عليه وسلم بقصيدة مطلعها[٥٦] :

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة — فهل لك فيما قلت ويحك هالك
سقاك بها المامون كأسا روية — فانهلك المامون منها و علكا
ففارقت أسباب الهوى واتبعته — على أي شيء ويب غيرك دلكا
على مذهب لم تلف أما لا أبا — عليه ولم تعرف عليه أخا لك
فإن أنت لم تفعل قلت بآسف — ولا قائل إما عثرت لعالك .

فلما سمع ذلك النبي صلى الله عليه و سلم أهدر دمه و أمر الناس بقتله حيثما يوجد فنصحه أخوه بالإسلام و التوبة و لما استأ يس من النصير جاء إلى المدينة و توسل بأبي بكر و دخل الإسلام و مدح النبي صلى الله عليه و سلم بقصيدته المشهور لامية بانت سعاد .

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول — متيم عندها لم يجز مكبول

و لما وصل إلى قوله[٥٧]:

إن الرسول لنور يستضاء به — مهند من سيوف الله مسلول
في فتية من قريش قال قائلهم — ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا ومازال أنكاس ولا كشف — عند اللقاء و لا خور معازيل

أشار النبى صلى الله عليه و سلم الصحابة أن يسمعوا شعر ابن زهير حتى قال فيه[٥٨] :

أنبئت أن رسول الله أو عدنى — والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة — القرآن فيها مواعظ و تفصيل

---

٥٦ حسن زيات ، تاريخ الأدب العربي ج١،ص١٤٣.
٥٧ جرجي زيدان، تاريخ الأدب العربي ، ص١٠٩
٥٨ أبو سعيد الحسن بن الحسين ، شرح ديان كعب بن زهير (مصر: مطبعة دار الكتب . ١٩٥٠م) ط ١ ص ١٩.

Dhaka University Institutional Repository

لا تأخذنى بأقوال الـــوشاة لم أذنب و لو كثرت عنى الأقاويل

لقد أقوم مقاما لو يقوم بـــه أرى واسمع مالو يسمع الفيل

النافلة هنا : العطية ، و فيه إشارة إلى أن الله تعالى انعم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلوم كثيرة علمه إياها وجعل الكتاب زيادة على تلك العلوم . إذ النافلة : العطية المتطوع بها زيادة على غيرها . قال تعالى "ثم أتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن" آي زيادة على العلم الذي أحسنه[٥٩] و لما فرغ من الإنشاء خلع النبي صلى الله عليه وسلم بردته و هي التي تداول الخلفاء من بعد[٦٠].

---

٥٩. المصدر نفسه.

٦٠. حسن الزيات ، ص ١٤٤.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الثاني : العناصر الإسلامية في الأدب العربي نثراً و نظماً في العصر الراشدي

"أصحابي كلهم عدول بأيهم اقتديتم اهتديتم" – الحديث . و كيف لا ، لأنهم يتبعون قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم و صاروا متبعيه و مريديه . و جعل حياتهم و سلوكهم هدية بين يدي رسول الله ثم نراهم هاديا و مرشدا فلا نجدهم إلا هذب، أخلاقهم و آدابهم و تخلى سلوكهم و معاشراتهم عن أو صاف الجاهلية متصفة بأوصاف الوحدانية و متبعة بخصال النبوية النبى صلى الله عليه وسلم . لاسيما الخلفاء الراشدون المهدين الذين ساروا على خطبة النبى صلى الله عليه وسلم . لا سيما الخلفاء الراشدون المهديون الذين ساروا على خطة النبى صلى الله عليه وسلم و صاروا حامى الدين و مشرفيه بخلافة النبى صلى الله عليه وسلم و هم أبو بكر و عمر بن الخطاب و عثمان ذو النورين و على كرم الله وجهه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ترتيبا ، و هم الذين اشتغلوا بالجهاد وانصرفوا إلى الفتوح يدعون الناس إلى الصلوة والصوم مبشرين الجنة و منذرين النار . و هم الذين يكتفون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالخطابة والموعظة بأسلوب القرآن و إقتباس الآيات، القرآنية على ما أشرنا من قبل .

و كان الشعر في عهد الراشدين أقل شانا و أحط مكانة لأنصراف المسلمين إلى حفظ القرآن و رواية الحديث و جهاد الشرك حتى يقال بالإجمال أن الشعر في عصر الراشدين قد توقف لإشتغال المسلمين عنه بتعليم الإسلام والقرآن إلا ما كان منه من قبل دواعى الإيمان والإسلام (مثل المدح والرثاء والفتوح المتلون بالعناصر الإسلامية). نعم إزداد حاجة الشعر لتفسير القرآن الكريم حيث قال ابن عباس ، "إذا قرأتم شيئا في كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب" .

والحق أن الراشدين لم يكونوا يرون بأسا من أن يقولوا الشعر ، لأن العرب على الإطلاق أهل خيال و ذونفوس حساسة يؤثر في عواطفهم فيقعدونهم و يقيمونهم على الإنشاد و لكنهم يمنعون الشعر عن هجو الإسلام والمسلمين و أشدهم و طاة في ذلك عمر بن الخطاب ، فقد أخذ على الحطيئة أن لا يهجوا رجلا مسلما و كذالك الأشعار التي يعاند الدين و يخالفه و منعوا الرواية الجاهلية .

Dhaka University Institutional Repository

و الأن يمكن لنا بلا شك – أن نجعل إياهم أمورهم الدينية والسياسية دليلا منقولا و نقدر أيضا بلا شبهة أن نرتد خطباتهم و رسائلهم و أمثالهم و أشعارهم نموذجا للعناصر الاسلامية . فعلى طريقه نريد أن نذكره في هذا الفصل نصوص الراشدى رضى الله عنهم أجمعين إنشاء الله .

أبو بكر رضى الله عنه (٦٣٢ – ٦٣٤م):

هو أبو بكر عبد الله بن أبى قحافة من قريش المولود سنة(٥٥ق هـ/ ٥٦٨م) أو قيل سنة ٥٧٣م[٦١] في مكة في أسرة و وجيهة ، فشب، ذا مكانة في قومه عارفا بالأنساب مسموع القول ، و كان يعمل في التجارة . و هو أول رجل أجاب دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول الوحي ، و لما وقع الإسراء في السنة الأولى قبل الهجرة صدقه أبو بكر كلا ما حكاه في ليلة الإسراء فسماه الرسول عليه الصلوة والسلام "الصديق" ثم الصديق الأكبر و كان هو يبذل ماله في الإسلام لاسيما في الجهاد، فسماه العتيق. ولما هاجر النبي صلى الله عليه و سلم إلى المدينة أصحبه حتى تسلاه النبي ، "لا تحزن إن الله معنا" إذ هما في الغار وحاشا أن يريهما من وراء الثور . و كان له مساهمة عليا في الإسلام و أنه من مبشرين الجنة في الدنيا . و جاء في الحديث – عن علي قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر و عمر سيدا كهول اهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين[٦٢] . و بعد وفاة الرسول الله صلى الله عليه وسلم اختار المسلمون أبا بكر خليفة و قضى الخلافة سنتين (٦٣٢ – ٦٣٤م).

خطبة أبى بكر رضى الله عنه

خطب أبو بكر الناس يوم تولى الخلافة فقال :

أيها الناس ! إنى وليت عليكم و لست بخيركم ، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى و إن رايتمونى على باطل فسددونى أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لى عليكم ألا إن أقوالكم عندى الضعيف حتى أخذ الحق له و أضعفكم عندى القوى حتى أخذ الحق منه .

---

[٦١] . ডঃ সৈয়দ মাহমুদুল হাসান, ইসলামের ইতিহাস, (ঢাকা ঃ গ্লোব লাইব্রেরী ১৯৮৭ ইং) পৃঃ ১৪৭

[٦٢] . ابن ماجة ، سنن ابن ماجة (كلكته : بشير حسن اينذ سنزت ب ت) ص ١٠.

Dhaka University Institutional Repository

و من خطبته له يوم الشقيفة (يوم انتخابه) و قد أراد الأنصار أن يكون الخليفة منهم .

أنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين و لا سابقتهم في الإسلام رضيكم الله أنصارا لدينه و رسوله و جعل إليكم هجرته و فيكم جلة ازواجه و أصحابه فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم أحد فنحن الأمرا و أنتم الوزراء ولا تفتانون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور[٦٣]

كتب أبو بكر رضى الله عنه إلى خالد بن الوليد :

"بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله ابى بكر خليفة رسول الله إلى خالد بن الوليد و من معه من المهاجرين و الأنصار التابعين بإحسان ، سلام عليكم فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله الا هو . أما بعد :

فالحمد لله الذى أنجز و عده و نصر دينه و أعزوليه و ذل عدوه و غلب الأحزاب فردا فإن الله الذى لا إله إلا هو . و عد الذين أمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما إستخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذى إرتضى لهم و ليبد لنهم من بعد خوفهم أمنا يعدوننى ولا يشركون بى شيئا و من كفر بعد ذالك فاولئك هم الفاسقون و عدا لاخلف له و مقالا لا ريب فيه و فرض على المؤمنين الجهاد . فقال عز من قائل "كتب عليكم القتال و هو كره لكم و عسى أن تكرهوا شيئا و هو خيرلكم و عسى أن تحبوا شيئا و هو شر لكم ، والله يعلم و أنتم لا تعلمون. "فاستمموا موعد الله إياكم وأطيعوه فيما فرض عليكم و إن عظمت فيه المؤمنة واشتدت فيه الرزية و بعدت، فيه الشقة و فجعتم في ذالك بالأموال والأنفس فغن ذالك يسير في عظيم ثواب الله و لقد ذكر لنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم "إن الله يبعث الشهداء يوم القيامة شاهرين سيوفهم لا يتمنون على الله شينا إلا آتاهموه حتى أعطوا أمانيهم و ما لم يخطر على قلوبهم فما شيئ يتمناه الشهيد بعد دخوله الجنة ، إلا أن يردهم الله إلى الدنيا فيقرضون بالمقاريض في الله لعظيم ثواب الله ، إنفروا- رحمكم الله في سبيل الله- خفافا و ثقالا و جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذالكم خير

---

[٦٣] . د. عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربى ، ج ١ ص ٢٤٠.

Dhaka University Institutional Repository

لكم إن كنتم تعلمون. فقد أمرت خالد بن الوليد المسير إلى العراق . لا يبرحه حتى يأتيه أمرى ، فسيروا معه ولا تثاقلوا عنه فإنه سبيل يعظم الله فيه الإجر لمن حسنت فيه نيته و عظمت في الخير رغبته . فإذا قدمتم العراق فكونوا بها حتى يأتيكم أمرى كفانا الله و إياكم مهم أمور الدنيا والاخرة .

والسلام عليكم و رحمة الله و بركاته"[٦٤]

كتب يزيد بن أبى سفيان إلى أبى بكر :

بسم الله الرحمن الرحيم .

"أما بعد : فإن ملك الروم هرقل لما بلغه مسيرنا إليه ألقى الله الرعب في قلبه فتحمل فنزل إنطاكيه و خلف أمراء من جنده على مدائن الشام و أمرهم بقتالنا و قد تيستروا لنا واستهدوا و قد أخبرنا مسالمة الشام أن هرقل إستنفر اول مملكته و أنهم قد جاءوا يجرون الشوك والشجر فمرنا بأمرك و عجل علينا في ذالك برأيك نتبعه إن شاء الله و نسأل الله النصر و الصبر والفتح و عافية المسلمين ، السلام عليك رحمة الله"[٦٥] .

فكتب إليه أبو بكر رضى الله عنه :

"بسم الله الرحمن الرحيم .

أما بعد . فقد بلغنى كتابك تذكر فيه تحمل ملك الروم إلى إنطاكية و إلقاء الله الرعب في قلبه من جموع المسلمين فإن الله وله الحمد – قد نصرنا و نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرعب و أمدنا بملائكته الكرام و إن ذلك الدين الذى نصرنا الله به الرعب . و هو هذا الدين الذى ندعو الناس إليه اليوم فوربك لا يجعل الله المسلمين كالمجرمين ولا من يشهد أن لا إله إلا الله كمن يعبد معه آلهة اخرى ، و يدين بعبادة آلهة شتى فإذا لقيتموهم فانهد إليهم بمن معك و قاتلهم فإن الله لن يخذلك . قد نبأ الله تبارك و تعالى إن الفئة القليلة تغلبت

---

[٦٤] . أحمد زكى صفوت ، جمهرة رسائل العرب (القاهرة : دار المطبوعات العربية ١٩٣٧م) ج ١، ص٢١٩-٢٠.

[٦٥] . المصدر نفسه ، ص ١٣٧-٣٨.

Dhaka University Institutional Repository

الفئة الكثرة بإذن الله و أنا مع ذالك ممدك بالرجال في أثر الرجال ، حتى تكتفوا ولا تحتاجوا إلى زيادة إنسان إن شاء الله .

و السلام عليكم و رحمة الله[٦٦]".

عهد أبى بكر رضى الله عنه عند موته لعمر بن الخطاب

و لما حضرت الوفاة أبا بكر الصديق دعا عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال : أكتب عهدى . فكتب عثمان و أملى عليه .

"بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد به أبو بكر بن أبى قحافة خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أخر عهده بالدنيا نازحا عنها ، و أول عهده بالأخرة داخلا فيها ، في الحال التي يؤمن فيها الكافر ، و يتقى فيها الفاجر ، و يصدق الكاذب . "إنى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن بر و عدل فذالك علمى به ورأى فيه و إن جار و بدل فلا علم لى بالغيب ، والخير أردت و لكل إمرى ما اكتسب، و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون" .

خليفة المسلمين أبو بكر رضى الله عنه و أشعاره :

يروى عن عايشة أنها قالت كنت نسأل أبابكر كلما أصابه الحمى كيف أنت يا أبتى فاذا هو يجيب، و ينشد[٦٧] .

كل أمر مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله.

و بهذا يذكرنا قوله تعالى أينما كنتم يدرككم الموت و لو كنتم في بروج مشيدة و هى امر لا تدرى نفس أى وقت تجلبها الا الذى لن تموت قط و هو الحى القيوم القائم بلا زوال .

هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة و أبا بكر أصحبه فلما وصلا على جبل ثور و طلع الشمس إستراحا في الغار و كان الملحدون يسوقون

---

٦٦ . المصدر نفسه.

٦٧ . البخارى، ج ١ ، ص ٥٥٨

Dhaka University Institutional Repository

المؤمنين حتى و صلوا على الغار و كادوا أن رؤواهما ففزع أبو بكر فنزل " لا تحزن إن الله معنا" فنشد على هذا[٦٨] .

قال النبي و لم اجزع يوقرنى و نحن في سدف من ظلمة الغار

ولا تخف شيئا فإن الله ثالثنا و قد توكل لى منه بإظهر

فلا تزعم نحن إثنين بل ثلاث و الثالث هو الله سبحانه و تعالى حتى تحير قلوب المشركين و رجعوا عنه و هو صاحبنا فخير الناصحين .

انهزم المسلمون في أحد و اشتد الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم و زعموا أن خليفة الله قد مات فأعلن الشيطان محمد قد قتل فنزل : "و ما محمد إلا رسول قد خلت، من قبله الرسل أفإن مات أو قتل أانقلبتم على أعقابكم ؟ و من ينقلب على عقبيه" آه و يؤيده قوله تعالى:" إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون" والحقيقة لما إشتد الكفار على النبى إستوعيه المسلمون و حل رمى الكفار المؤمنين و كان طلحة اذكرهم في ذالك فانشد أبو بكر على مساهمته فقال[٦٩] :

حمى نبى الهدى الخيل تتبعه حتى إذا مالقوا حامى عن الدين

صبرا على الطعن و لت حماتهم والناس من بين مهدى و مغنون

ياطلحة بن عبيد الله قد جبت لك الجنان و زوجت المها العين

فكان طلحة يعمل قول النبى صلى الله عليه وسلم – لا يكون أحدكم مؤمنا حتى أكون أحب إليه من والده و ولده والناس أجمعين .

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٦٣٤ ـ ٦٤٤م) :

ولد عمر بن الخطاب بن نفيل نحو عام (٤٠ق هـ/ ٥٨٣م) ، و كان عمر من أشراف قريش و إليه تحول السفارة في الجاهلية . لما سمع عمر إسلام أخته فذهب إليها و يضربها ضربا شديدا لقبول الإسلام لأنه كان شديدة للمسلمين فلما ألقى الله الرعب في قلبه سألها مما تتلو من القرآن فلما سمع شيئا من القرآن جاء إلى النبى عليه الصلوة والسلام و دخل الإسلام و تأيد الإسلام بإسلامه و حصل القوة . إذن ظهرالآذان و

---

٦٨ . ابن كثير البداية والنهاية، ج ٣ ، ص ١٨١ ـ ١٨٤

٦٩ . يوسف الكاندهلوى ، حياة الصحابة ج ١ ص ٥٤٦.

Dhaka University Institutional Repository

ظلوا يصلون جهرا ماتكونوا يصلون حتى اليوم خفية. و كان الرسول الله صلى الله عليه وسلم يستظهر برايه في كثير من الأمور .

و لما حضرت الوفاة أبا بكر أوصى لعمر بالخلافة فبايعه المسلمون و هو أول من تسمى بأمير المؤمين ، و عاش عمر في الخلافة عشر سنين ثم قتله أبو لؤلؤة الفارسى مولى المغيرة بن شعبة .

خطبة عمر رضى الله عنه يوما في الناس فقال

"أيها الناس ! إنه أتى على حين من الدهر و أنا أحسب أن من قرأ القرآن إنما يريد به الله و ما عنده ألا و إنه قد خيل إلى أن أقواما يقرءون القرآن يريدون به ما عند الناس ألا فأريدوا الله بقرأتكم ، و أيدوه باعمالكم فإنما كنا نعرفكم إذا الوحى ينزل و النبى صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فقد رفع الوحى و ذهب النبى صلى الله عليه وسلم . فإنما أعرفكم بما أقول لكم ألا فمن أظهر لنا خيرا ظننا به خيرا و أثنينا به عليه . و من أظهر لنا شرا ظننا به شرا و أبغضناه عليه . إقدعوا هذه النفوس عن شهواتها فإنها طلعة و إنكم ألا تقدعوا ينزع بكم إلى شر غاية . و إن هذا الحق ثقيل مرىء و إن الباطل خفيف و بئ . و ترك الخطية خير من معالجة التوبة ، ورب نظرة زرعت شهوة و شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا [٧٠]".

نموذ ج رسائل عمر رضى الله عنه

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى ابى عبيدة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبى عبيدة بن الجراح . سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد : فإن أبا بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي فإنا لله و إنا إليه راجعون و رحمة الله و بركاته على أبى بكر الصديق، العامل بالحق و الآمر بالقسط والآخذ بالعرف اللين الستير الوداع والسهل القريب الحكيم . نحتسب، مصيبتنا فيه و مصيبة المسلمين عامة عند الله تعالى و إنا نرغب إلى الله في

---

[٧٠] . د. عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربى ، ج ١ ص ٢٨١ – ٢٨٢ .
د. عبد الحكيم بلبع ، النثر الفنى (القاهرة : مكتبة وهبة ١٩٧٠م) ط ٢ ،ص ٣٨٧.

Dhaka University Institutional Repository

العصمة برحمته من كل معصية و نسأله العمل بطاعته ما أحيانا والحلول في جنته إذا توفانا إنه على كل شئ قدير .

و قد بلغنا حصاركم لأهل دمشق و قد وليت جماعة المسلمين فبث سراياك في نواحى أهل حمص و دمشق و ما سواهما من أرض الشام و انظر في ذالك برأيك و من حضرك من المسلمين ولا يحملنك قولى هذا على أن تعزى عسكرك فيطمح فيك عدوك و لكن من اشتنعنيت عنه فسيره و من إحتجت إليه في حصارك فاحتبسه و ليكن فيمن يحتبس خالد بن الوليد فإنه لا غنى بك عنه . والسلام عليك و رحمة الله و بركاته [٧١].

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى

"بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين سلام عليك ، أما بعد : فإن القضاء فريضة محكم و سنة متبعة . فافهم إذا أدلى إليك و انفذ إذا تبين لك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذله آس بين الناس في وجهك و عدلك و مجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف، من عدلك البينة على من إدعى واليمين على من أنكر . و الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا و لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم و مراجعة الحق خير من التمادى في الباطل .

الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب الله ولا سنة النبى صلى الله عليه وسلم ثم أعرف الأشباه والأمثال . فقس الأمور عند ذالك بنظائرها واعمد إلى قربها إلى الله واشبهها بالحق واجعل لمن إدعى حقا غائبا أو بينه أمدا ينتهى إليه . فإن أحضر بينته أخذت له بحقه و إلا استحللت عليه القضية فإن ذالك أنفي للشك و أجلى للعمى و أبلغ في العذر .

المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا بحد أو مجربا عليه شهادة ذور أو ظنينا في ولاء أو نسب فإن الله قد تولى منكم السرائر ، و دراء بالنيات والإيمان و إياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات فإن الحق في

---

[٧١] . أحمد زكى صفوت ، جمهرة رسائل العرب ، ج ١ ص ١٤٦ – ١٤٧ .

Dhaka University Institutional Repository

كفاه الله ما بينه و بين الناس و من تخلف للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه كفاه الله ما بينه و بين الناس و من تخلف للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه ، شانه الله. فما ظنك بثواب عند الله في عاجل رزقه و خزائن رحمته والسلام [٧٢]".

الاجابة عن أبي عبيدة بن الجراح و معاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم . من أبى عبيدة بن الجراح و معاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب . سلام عليك فإنا نحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإنا عهدناك و أمر نفسك لك مهم و إنك يا عمر أصبحت، و قدوليت أمر أمة محمد : أحمرها و أسودها ، يقعد بين يديك الصديق والعدو والشريف والذريع الشديد والضعيف، و لكل عليك حق ، و حصة من العدل فانظر كيف أنت يا عمر عند ذالك و إنا نذكرك يوما تبلى فيه السرائر . و تكشف فيه العورات و تظهر فيه المخبات و تعنو فيه الوجوه لملك قاهر هم بجبروته والناس له داخرون ينتظرون قضاءه و يخافون عقابه و يرجون رحمته .

و إنه بلغنا أنه يكون في هذه الأمة رجال يكونون إخوان العلانية أعداء السريرة و إنا نعوذ بالله أن تنزل كتابنا من قلبك سوى المنزل الذى نزل من قلوبنا ، فإنا كتبنا إليك نصيحة لك والسلام عليك و رحمة الله و بركاته[٧٣] ".

و أيضا

كتب عمر بن الخطاب إلى إبنه عبد الله رضى الله عنه :أما بعد : فإنه من إتقى الله و قاه ومن توكل عليه كفاه و من شكر له زاده و من أقرضه جزاه فاجعل التقوى عماد قلبك و جلا بصرك فإنه لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسنة له ولا مال لمن لا رفق له ولا جديد لمن لا خلق له[٧٤] .

---

٧٢. المصدر نفسه ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

٧٣. المصدر السابق ص ١٤٨.

٧٤. المصدر السابق ص ١٤٩.

Dhaka University Institutional Repository

وصية عمر بن الخطاب لأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما

أوصيك بتقوى الله الذى يبقى و يفنى ما سواه الذى هدانا من الضلالة و أخرجنا عن الظلمات إلى النور . و قد استعملتك على جند خالد بن الوليد فقم بأمرهم الذى يحق عليك ، لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ولا تنزلهم منزلا قبل أن تستريده لهم و تعلم كيف ماء تأه ولا تبعث سرية إلا في كثف من الناس و إياك و إلقاء المسلمين في الهلكة و قد أبلاك الله بى و أبلاى بك فغمض بصرك عن الدنيا و أله قلبك عنها و إياك أن تهلك كما أهلكت من كان قبلك[٧٥] فقد ربت مصارعهم .

وصية عمر بن الخطاب لسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه :

"يا سعد بنى وهيب ! لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب، رسول الله فإن الله عز و جل لا يمحو السى بالسى و لكنه يمحو السى بالحسن. فإن الله ليس بينه و بين أحد نسب إلا طاعته فالناس شريفهم و وضيعهم في ذات الله سواء و هم عبادة يتفاضلون بالعافية و يدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذى رايت النبى صلى الله عليه وسلم منذ بعث إلى أن فارقنا ألزمه، فإنه الأمر هذه عظتى إياك إن تركتها و رغبت، عنها حبط عملك و كنت من الخاسرين[٧٦] .

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب و أشعاره

إن عمر بن الخطاب دخل الإسلام بقصة مفاجئة ، خرج لقتل النبى صلى الله عليه وسلم و سمع أن أخته قد أسلمت فغضب، عليها و ضربها و كادت أن تموت ثم أنشأ الله في قلبه نعمة الإيمان و تعليقه إليه و وافق دعاء النبى عليه الصلوة والسلام اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة[٧٧] فدخل الإسلام و أنشد[٧٨] :

الحمد لله ذى المن الذى وجبت	له علينا أياد مالها غير
و قد بدأ نالكذبنا فقال لنا	صدق الحديث نبى الخير

---

٧٥ . محمد يوسف الكاند هلوى ، حياة الصحابة (بيروت : دار المعرفة ١٣٨٩هـ) ج ٢ ، ص ١٠٩-١١٠.

٧٦ . المصدر السابق .

٧٧ . ابن ماجة ، سنن ابن ماجة (كلكته : بشير حسن اينذسنز ، ب ت) ص ١١.

٧٨ . ابن هشام ، السيرة النبوية (القاهرة : دار الكتب المصرية ب ت) ج ١، ٣٤٨

Dhaka University Institutional Repository

و قد ظلمت إبنة الخطاب ثم هدى ربى عشية قالوا صبا عمر

و قد ندمت على ما كان من زلل بظلها حين تتلى عندها السور

لما دعت ربها ذالعرش جاهدة والدمع من عينيها عجلان يتبدر

أيقنت أن الذى تدعوه خالقها فكاد تسبقى من عبدة درر

فقلت أشهد أن خالقنا و إن أحمد فينا اليوم منتصر

نبى صدق أتى بالحق من ثقة و افي الأمانة ما في عوده خور

و يروى أيضا عن ابن مسعود أنه رضى الله عنه كلما صعد المنبر لخطبة ربما ينشد هذين البيتين[٧٩] :

خفض عليك فان الامو ريكف الإله مقاديها

فليس باتيك منهيها ولا قاصر عنه مامورها

و أنشد يوم فتح مكة

ألم تر أن الله أظهر دينه على كل دين قبل ذالك حاند

و أسلبه من أهل مكة بعد ما تداعو إلى أمر من الفي فاسد

غداة أجال الخيل في عرصاتها مسومة بين الزبير و خالد

فأمس رسول الله قد عز نصره و أمسى عداء من قبيل و شارد

عثمان بن عفان رضى الله عنه (٦٤٤ ـ ٦٥٦م)

ولد عثمان بن عفان غالبا سنة ٥٧٣ / ٥٧٦م في أسرة و جيهة من قريش ـ و لما قتل عمر تولى الخلافة عثمان بن عفان (رض) الأموى فتوسعت الفتوحات الإسلامية في أيامه في مصر وليبية و بحرين و بذل جهده في جمع القرآن حيث يقال له جامع القرآن و رتب سورة على النحو الذى هو في المصاحف اليوم غير ذالك من الأمور الدينية الهامة ثم نقم الناس على عثمان (رض) لأن قومه بنى أمية تسلطو على الولة حتى حاصر الثائرون بينه في المدنية و حاول عثمان (رض) أن يصلح فلم

---

٧٩. حياة الصحابة ج ٣ ص ٣٦.

Dhaka University Institutional Repository

يتأت له فاضطر الأمر عليه فقتله الثائرون منتصف عام ٦٥٦م بعد أن تولى الخلافة إثنى عشر سنة .

توفي عمر (رضـ) ، فتخلف عثمان بن عفان (رضـ) فاراد الخطابة في الناس فقال : "إن أبا بكر و عمر كانا يعدا لهذا المقام مقالا و أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب و كان عثمان يهبط درجة عن عمر و أبى بكر في الفصاحة و البيان ليس معنى ذلك أنه كان يرتج عليه دائما بل يخطب أحيانا فيملأ النفس بمواعظه على شاكلة قوله حين بايعه أهل الشورى والناس : (إنكم في دار قلعة و في بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلقد أقيتم ، صبحتم أو مسيتم ألا و ان الدنيا طويت على الغرور ، "فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور". اعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا ، فإنه لا يغفل عنكم أين أنباء الدنياء و إخوانها الذين آثروها و عمروها و متعوبها طويلا ؟ ألم تلفظهم ؟ ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها واطلبو الأخرة ، فإن الله قد ضربها مثلا، فقال عز و جل واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح و كان الله على كل شى مقتدرا. المال والبنون زينة الحياة الدنيا و الباقيات الصالحات، خير عند ربك ثوابا وخير أملا [٨٠].

رسائل عثمان رضى الله عنه

كان أول كتابه عثمان رضى الله عنه إلى عماله [٨١]:

أما بعد : فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة و لم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة و إن صدر هذه الأئمة خلقو رعاة و لم يخلقوا جباة و ليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة و لا يكونوا رعاة فاذا عادوا كذالك القطع الحياء والأمانة والوفاء ألا و إن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين ، و فيما عليهم ، فتعطوهم ما لهم ، و تاخذوهم بما عليهم ثم تثنو بالذمة فتعطوهم الذى لهم و تأخذوهم بالذى عليهم ثم العدو الذى تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء .

---

٨٠. د. شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربى ، ج ٢ ص ١٢٦.
٨١ أحمد زكى صفوت ، سائل العرب ج ١ ص ٢٥٧.

Dhaka University Institutional Repository

كتب عثمان رضى الله عنه إلى معاوية[٨٢]

(أن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرا خلقوا للفتنة فراعهم و قم عليهم فإن أنست منهم رشدا فاقبل منهم و إن أعيوك فارددهم عليهم) فلما قدموا على معاوية أنزلهم و أجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجرى عليهم بالعراق و جعل ينصح لهم بلزوم الجماعة و كراهة الفرقة و أن يوقروا أئمتهم و يدلوهم على حسن ما قدروا و يعظوهم في لين ولطف في شئ إنكان منهم و طال بينه و بينهم الجدل واللجاج حتى و ثبوا عليه فأخذوا برأسه ولحيته.

كتب معاوية إلى عثمان رضى الله عنه[٨٣]

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عثمان أمير المؤمين من معاوية بن أبى سفيان أما بعد : يا امير المؤمنين فإنك بعثت إلى أقواما يتكلمون بألسنة الشياطين و ما يملون عليهم و يأتون الناس – زعموا – من قبل القرآن فيشبهون على الناس و ليس كل الناس يعلم ما يريدون و إنما يريدون فرقة و يقربون فتنة قد أثقلهم الإسلام و أضجرهم و تمكنت، رقى الشيطان من قلوبهم فقد أفسدوا كثيرا من الناس مما كانوا بين ظهر انهم من أهل الكوفة . و لست أمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم و فجورهم ، فاردهم إلى مصرهم فلتكن دارهم في مصرهم الذى نجم فيه نفاقهم والسلام.

و في خبر أن معاوية كتب إلى عثمان[٨٤]

أنه قدم على أقوام ليست لهم عقول ولا أد يان ، أثقلهم الإسلام واضجرهم العدل ولا يريدون الله لشى ولا يتكلمون بحجة إنما همهم الفتنة و أموال أهل الذمة والله مبتليهم و مختبرهم ثم فاضحهم و مخريهم و ليسوا بالذين ينلون أحدا إلا مع غيرهم فانه سعيدا و من قبله عنهم فإنهم ليسوا لأكثر من شغب أونكير .

---

٨٢ المصدر السابق ص ٢٦٨

٨٣ المصدر السابق ، ص ٢٦٩.

٨٤ المصدر السابق ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

Dhaka University Institutional Repository

وصيتة و أشعاره رضى الله عنه

لما قتل عثمان رضى الله عنه فتشو خزائنه فوجدوا فيها صندوقا مقفلا ففتحوا فوجدوا فيه ورقة مكتوب فيها .

"هذه وصية عثمان" بسم الله الرحمن الرحيم ، عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أن محمدا عبده و رسوله ، و أن الجنة حق و أن النار حق و أن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه. إن الله لا يخلق الميعاد عليها يحى و عليها يموت و عليها يبعث إن شاء الله[٨٥] و أيضا و جدوا في ظهرها مكتوبا[٨٦] .

غنى النفس يغنى النفس حتى يجلها و إن غضها حتى يضربها الفقر
و ما عسرة فاصبر لها إن لقيتها بكائنه إلا سيتعها يسر
و من لم يقاس الدهر لم يعرف الأسى و في غير الإيام ما وعد الدهر

و قد أنشد رضى الله عنه يوم شهادته[٨٧] :

أرى الموت لا يبقى عزيزا و لم يدع لعاد ملاذا في البلاد و مرتعا
يبيت أهل الحض والحض مغلق وياتى الجبال الموت من شمار يخها العلا

يوافق آية القرانية و يذكرها أينما تكونو يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة .

على بن أبى طالب رضى الله عنه (٦٥٦ ـ ٦٦١م)

على بن أبى طالب ولد في مكة سنة (٢٣ ق هـ/٦٠٠م) و نشأفي حجر محمد صلى الله عليه وسلم فلا يفارقه و لما صدع الرسول الله صلى الله عليه وسلم عام ٦١٠م فكان على رضى الله عنه من أوائل الذين استجابوا لدعوته و لما قتل عثمان بويع على رضى الله عنه فهو خليفة الرابع للمسلمين . كان على بن أبى طالب خطيبا و شاعرا مجودا يقول أبو زيد القرشى و لم يبق أحد من أصحاب رسول الله إلا وقد قال الشعر و كان حكيما أيضا . و لما بويع على رضى الله عنه

---

٨٥ . يوسف الكاندهلوى ، حياة الصحابة ج ٢ ، ص ١١٤ ـ ٥ .
٨٦ المصدر السابق .
٨٧ ابن كثير ، البداية والنهاية (بيروت : مكتبة المعارف ١٩٧٤م) ج ٧ ، ص ١٨٤ ، ط ٢.

Dhaka University Institutional Repository

أخذ معاوية يؤلب بنى أمية عليه حتى سار على لمحاربة معاوية في صفين و كاد يتغلب على معاوية فعمد الأمير الأموى إلى الحيلة و امر برفع المصاحف على الرماح فاشتغل المنتصرون عن القتال و كان الإخفاق لعلى بحيلة عدوه و انتهى التحكيم المأساة فأسقط فيه ابن أبى طالب و لم يسقط معاوية فعاد على إلى الكوفة يستعد لحرب عدوه فقتله عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم و هو في مسجد الكوفة عام ٤٠هـ/٦٦١م.

خطبته على الجهاد

أغار سفيان بن عوف الأزدى الغامدى على مدنية الأنبار زمان على بن أبى طالب رضى الله عنه و على الأنبار يومذاك أشرى بن حسان البكرى ، و قد استطاع سفيان أن الجند عند مركز جرحى) حتئذ خطب الإمام على خطبته التالية[٨٨] .

أما بعد . فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليانه و هو لباس التقوى و درع الله الحصينة و جنته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه ألسبه الله ثوب الذل و شمله البلاء . و سيم الخسف و منع السنف .

إلا و إنى قد دعوتكم إلى قتال هو لاء القوم ليلا و نهارا و سرا و علانية وقلت لكم "أغزوهم قبل أن يغزوكم" . فوالله ما غزى قوم في عقر دارهم إلاذلوا .

فتوا كلتم و تخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم و ملكت عليكم الأوطان و هذا أخوغامد و قد ورد ت خيله الأنبار و قد قتل حسان بن حسان البكرى و أزال خيلكم عن مسالحها .

فيا عجبا : والله يميت القلب و يحلب الهم إجتماع هو لاء القوم على باطلهم و تغرقكم عن حقكم ، فقبحالكم و ترحا حين صدتم غرضا يرمى : يغار عليكم ولا تغيرون و تغزون ولا تغزون و يعصى الله و ترضون فإذا أمرتكم بالسير إليهم في الصيف قلتم هذه حمارة القيظ أمهلنا حتى يسبخ عنا الحر و إذا أمر تكم بالسير إليهم في الصيف قلتم هذه حمارة القيظ أمهلنا حتى يسبخ عنا الحر و إذا أمرتكم السير إليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القر أمهلنا حتى ينسلخ عنا البر . كل هذا فرارا من الحر والقر فأنتم والله من السيف أفر .

---

[٨٨] د. عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربى ، ج ١ ص ٣٠٨.

Dhaka University Institutional Repository

يا اشباه الرجال ولا رجال . حلوم الاطفال و عقول ربات الحجال لوددت أنى لم أركم و لم أعرفكم معرفة و إلله جرت ندما و اعقبت سدما قاتلكم الله لقد شنتم صدرى غيظا و أفسدتم على رأى بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش : إن إبن أبى طالب رجل شجاع و لكن لا علم له بالحرب لله أبوهم ! و هل أحد منهم أشد لها مراسا و أقدم فيها مقاما منى ؟ لقد نهضت العشرين و هذا أنا قد درفت على الستين و لكن لا أرى لمن لا يطاع.

حكمه[٨٩]

البخيل حازن لورثته ، اللسان ترجمان العقل ، المصيبة واحدة . فإذا جزعت كانت إثنتين . الناس ثلاثة : عالم ربانى و متعلم على سبيل نجاة وهمج رغاع اتباع كل ناعق لم يستطيؤ بنور العلم و لم يلجاءوا إلى ركن و ثيق. إياك و مودة الأحمق فإنه يضرك من حيث يرى أنه ينفعك و يسؤك و هو يرى أنه يسرك . أفضل الجهاد مجاهدة الرجل نفسه أفة العلم ترك العمل به خير المواهب العقل ، رب كلمة سلبت نعمة .

نموذ ج رسائل على رضى الله عنه[٩٠]

كتب على إلى أبى موسى الأشعرى و هو يومذاك أمير الكوفة (بواسطق هاشم بن عتبة) من عبد الله . على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس .

أما بعد . فانى قد بعثت إليكم هاشم بن عتبة لتشخص إلى من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتى و قتلوا شيعتى واحدثوا في الإسلام هذا الحدث العظيم . فأشخص الناس إلى معه حين يقدم عليك . فإنى لم أولك المصر الذى أنت فيه و لم أقرك عليه إلا لتكون من أعوانى على الحق و أنصارى على هذا الأمر . والسلام .

كتب هاشم بن عتبة إلى على رضى الله عنه[٩١]

و جاء أهل الكوفة أبا موسى يستشيرونه في الخروج . فثبطهم و قال لهم : أما سبيل الأخرة فأن تقيموا . و أما سبيل الدنيا فأن تخرجوا و أبى أن يتبع ما كتب به

---

٨٩ المصدر السابق .
٩٠ أحمد زكى صفوت ، رسائل العرب ج ١ ص ٣٢٩.
٩١ الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ص ١٩٨.

Dhaka University Institutional Repository

إليه و بعث إلى هاشم يتوعده و يخوفه . فكتب هاشم إلى على رضى الله عنه : "لعبد الله على أمير المؤمنين من هاشم بن عتبة : اما بعد : يا امير المؤمنين ، فإنى قدمت بكتابك على أمرى غال مشاق بعيد الرد ، ظاهر الفل والشنان فتهدنى بالسجن خوفنى بالقتل و قد كتبت إليك هذا الكتاب مع المحل بن خليفة أخى طى و هو من شيعتك و أنصارك و عنده علم ما قبلنا فاساله عما بدألك و اكتب إلى برايك والسلام .

كتب علي إلى أبى موسى الأشعري رضي الله عنهما[٩٢]

فلما جاء على رضى الله عنه كتاب هاشم و علم ما كان من أمر أبى موسى قال : والله ما كان عندى بمؤتمن ولا ناصح . و لقد أردت عزله فأتانى الأشتر فسالنى أن أقره و ذكر أن أهل الكوفة به راضون فأقررته ، و بعث إليه على عبد الله بن عباس و محمد بن أبى بكر و كتب معها :

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس .

أما بعد يا بن الحائك ..... فوالله إنى كنت لأرى أن بعدك من هذا الأمر الذى لم يجعلك الله له أهلا ، و لا جعل لك فيه نصيبا . سيمنعك من رد أمرى والإنتزاء على ، و قد بعثت إليك ابن عباس و ابن أبى بكر فخلهما و المصر وأهله و اعتزل عملنا مذموما مدحورا ، فإن فعلت و إلا فانى قد أمرتهما أن ينامذاك على سواء ، إن الله لا يهدى كيد الخائنين . فإذا ظهرا عليك قطعاك إربا إربا والسلام على من شكر النعمة و وفي بالبيعة و عمل برجاء العاقبة .

كتب علي إلى معاوية[٩٣]

و روى الشريف الرضى أن عليا عليه السلام كتب في أولى ما بويع له بالخلافة إلى معاوية .

من عبد الله أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان .

---

٩٢ أحمد زكى صفوت ، جمهرة رسائل العرب ، ج ١ ص ٣٢٩.

٩٣ المصدر السابق ، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ .

Dhaka University Institutional Repository

أما بعد . فقد علمت إعزازى فيكم و إعراض عنكم ، حتى كان ما لا بد منه و لاوقع له و الحديث طويل والكلام كثير، و قد أدبر ما أدبر و أقبل ما أقبل فبايع من قبلك و اقبل إلى من وفد أصحابك والسلام .

وروى ابن أبى الحديد أن عليا عليه السلام لما بويع كتب إلى معاوية أما بعد: فإن الناس قتلوا عثمان من غير مشورة منى و بايعونى عن شدرة منهم واجتماع ، فإذا أتاك كتابى و فبايعنى و أوفد إلى أشراف أهل الشام قبلك .

وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة أنه كتب إليه :أما بعد . فقد و ليتك ما قبلك من الأمر والمال فبايع من قبلك ثم أقدم إلى في ألف رجل من أهل الشام.

رد معاوية إلى علي رضي الله عنه[٩٤]

فلما أتى معاوية كتاب دعا بطومار (الصحيفة) فكتب فيه "من معاوية إلى على أما بعد : فإنه

ليس بينى و بين قيس عتاب غير طعن الكلى و ضرب الرقاب

كتب علي إلى معاوية[٩٥]

وروى ابن قتيبة أيضا أن عليا عليه السلام لمافرغ من وقعة الجمل و بايع له أهل العراق ، واستقام له الأمر بها كتب إلى معاوية :

"أما بعد : فإن القضا السابق والقدر النافذ ينزل من السماء يقطر كالمطر فتمض أحكامه عز و جل . و تنفذ مشيئه بغير تحاب المخلوقين و لارضا الآد ميين و قد بلغك ما كان من قتل عثمان رحمه الله و بيعة الناس عامة إياى و مصارع الناكثين لى . فادخل فيما دخل الناس فيه و إلا فأنا الذى عرفت وحولى من تعلمه . والسلام."

رد معاوية على على رضى الله عنه[٩٦]

تكتب إليه معاوية كتابا عنوانه "من معاوية إلى على" وداخله : "بسم الله الرحمن الرحيم" لا غير.

فعرف على أن معوية محارب له و أنه لا يجيبه إلى شى مما يريد .

---

٩٤ المصدر السابق ص ٣٣٩.

٩٥ المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٣٨ ـ ٣٤٠ .

٩٦ المصدر السابق .

Dhaka University Institutional Repository

وصية علي رضي الله عنه بن أبي طالب لأمراء[٣٣]

كتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه عهدا ليعض أصحابه على بلد قبيه "أما بعد فلا تطولن حجابك في رعيتك فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق و قلة علم من الأمور و الإحتجاب يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير و يعظم الصغير و يقبح الحسن يحسن القبيح و يشاب الحق بالباطل. و إنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور و ليست على القول سمات يعرف بها ضروب الصدق من الكذب فيحصن من الإختبار في حقوق بين الحجاب فإنما أنت أحد الرجلين: إما أمرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق فتقيم احتجابك من حق تعطيه أو خلق كريم تسديه و إما مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عنك و عن مسألتك إذا يئسوا من ذلك مع أن أكثر حاجات الناس إليك لا مؤنة فيه عليك من مشكاة مظلمة أو طلب إنصاف فاتقع بما وصفت واقتصر على حظك و رشدك إن شاء الله.

أمير المؤمنين علي رضي الله عنه"[٣٤] 63043

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا مدينة العلم و علي بابها و كان علي رضي الله عنه خطيبا بارعا و حكيما عليما مع أنه شاعر قوي ينشد الشعر و يروي. "الشعر ميزان القوم أو ميزان القول" و له ديوان. الآن نحاول أن نورد بعض أشعاره.

الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم و الأم حواء

و إنما أمهات الناس أوعية مستودعات و للأحساب آباء

فإن يكن لهم من أصلهم شرف يفاخرون به فالطين و الماء

و إن أتيت بفخر من ذوي نسب فإن نسبتنا جود و علياء

لا فضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى من استهدى أدلاء

و قيمة المرء ما قد كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

---

[٣٣] يوسف الكاندهلوي، حياة الصحابة، ج ٢ ص ١١٧.

[٣٤] علي رضي الله عنه، الديوان، تحقيق عبد الأحد (دهلي: مطبعة المجتبائي ١٣١٥هـ) ص ٢.

Dhaka University Institutional Repository

فقم بعلم لا تبغى له بدلا فالناس موتى و اهل العلم أحياء

و قال أيضا في مدح العلم والأدب والحسب

ليس البلية في أيامنا عجبا بل السلامة فيها أعجب العجب

ليس الجمال بأثواب ترينها إن الجمال جمال العلم والأدب

ليس اليتم الذى قد مات والده إن اليتم يتيم العقل والحسب[٩٩]

و أيضا يخاطب أبالهب و تعييره بترك الأدب

أبا لهب تبت يداك أبالهب و صخرة بنت الحرب حماله الحطب

خذلت نبى اله قاطع رحمه فكنت كمن باع السلامة بالحطب

لخوف أبى جهل فاصبحت تابعا له كذاك الراس يتبعه الذنب

فاصبح ذاك الأمر عارايهيله عليك حجيج البيت في موسم العرب

و لو لان عن بعض الأعادى محمد لحانى دووه بالرماح و بالقضب

و لن يشملوه أو يصرع حوله رجال ملاء بالحروب دوو حسب[١٠٠]

و ايضا ينصح بالوفاء والرد عن الإعراض[١٠١]:

تغيرت المودة والإخاء و قل الصدق وانقطع الرجاء

و كل مؤدة لله يصفو ولا يصفو من الفسق الإخاء

اذا انكرت عهدا من حميم ففي نفسى التكرم والحياء

و كل جراحة فلها واء و سوء الخلق ليس له دواء

و رب أخ فيت له و في و لكن لا يدوم له الوفاء

يديمون المودة ما رأونى و يبقى الود ما يبقى اللقاء

إخلا اذا استغنيت عنهم و أعداء إذا نزل البلاء

و إن غيبت عن أحد قلا في و عاقبنى بما فيه اكتفاء

و في يوم الأحزاب ينادى عمر من الذى يقابلنى فيدخل الجنة التي يزعمون فاستاذن على رضى الله عنه و تقدم بقوله :

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

في نية و بصيرة و الصدق منجى كل فائز

---

[٩٩]. المصدر نفسه ، ص ١٣.

[١٠٠]. المصدر نفسه ص ٢٠.

[١٠١] المصدر نفسه ص ٣ .

Dhaka University Institutional Repository

أنـى لأرجحـو أن أقد م عـليـك نـائـحـة الـجـنـائـز
مـن ضـربـة بـخـلاء يـبـقـى ذكـرهـا عـنـد الـهـذاهـز

فـيـسـال مـن أنـت ؟ فـقـال عـلـى بـن أبـى طـالـب و يـقـدم و يـكـبـر الـلـه سـبـحـانـه و تـعـالـى و ينشد:

أعلى تقتحم الفورس هكذا عنى و عنهم أخروا أصحابى
اليوم يمنعنى الغراز حفيظتى عنى و عنهم أخروا أصحابى
اليوم يمنعنى الغراز حفيظتى و معهم في الراس ليس بنابى
عبد الحجارة من سفاهة رائيه و عبدت رب محمد بصواب
فرجعت حين تركته متجدلا كالجريح بين و كادك وروابى

و عففت عن أثوابه و لو أننى كتت المقطر يزنى أثوابى [١٠٢]:

لا تحسن الله خاذل دينه و نبيه يامعشر الأخزاب

و يذكر معارفة الهمدان في المعركة صفين و ينشد:[١٠٣]

و لما رأيت الخيل ترجم بالقنى نواصيها حمر النحور دوامى
و أعرض نقع في السماء كأنه عجابة دجن ملبس بقتام
و نادى ابن هند في الكلاع و حمير و كنده في لخم وحى جزام
تيممت همدان الدين هم هم اذا ناب دهر جنتى و سهامى

---

١٠٢ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤ ،ص ١٠٥ ـ ١٠٦
١٠٣ المصدر نفسه.

Dhaka University Institutional Repository

الباب الثالث

العناصر الإسلامية في الأدب العربي للعصر الأموي ٦٦١ ـ ٧٥٠م

Dhaka University Institutional Repository

بويع معاوية إحدى و أربعين هجرية فحينئذ قد بدأ طور جديد في الحياة الإسلامية العربية (مثلا قد تغير نظام العالم فصارت ملكا عضوا يتوارثه الأبناء عن الآباء بعد أن كانت الدولة خلافة دينية تقوم على أساس من الشورى و تبادل الرأي . إذن تغلبت العصبية القبلية الجاهلية التي كان الإسلام قد قضى عليها) و هي الفترة المعروفة في التاريخ العام و تاريخ الأدب باسم عصر بنى أمية . وعند ما دارسنا العصر الأموي فنجد مظاهر الأدب في الأموي أربعة : الشعر ، الخطابة ، الرسالة ثم الرواية أو القصة .

و لا نبحث اليوم إلا بالخطابة للعصر الأموي فإذن نرى أنها لا زالت تبقى مثل الخطابة الجاهلية بينما أصبحت أغراضها إسلامية بحتا ،لصلتها الوثيقة بالدولة الإسلامية لكن زادت فيه أمور : لما توسعت الفتوحات و تطورت الحياة الإدارية و السياسة و لزمت المعالجة بأوامر الدولة فاحتاج الأمراء إلى بسط الخطابة من أنه نرى عصر الأموي أيضا أنشأت ثورات و حروبا فاحتاج الولاة و القواد إلى تصريف القول بالإقناع و بالوعيد عند مخاطبة الجوع فاقتضى ذلك أيضا أن تكون الخطبة أطول مما كانت في الجاهلية أو في صدر الإسلام الأول .

و تمتاز الخطبة الأموية بعنصر التهديد و الوعيد و ذلك لأن الولاة الأمويين ظلوا يخطبون ، في أول الأمور على الأقل ، في بيئات معادية للدولة الأموية . من أجل ذلك ظهر الحزم في مخاطبة الجمهور و كثر التهديد للذين تحدثهم أنفسهم بالعصيان و في أكثر الأوقات نرى أن خطبهم نظمت إشارات مسئية إلى الأفراد و الجماعات، مما هو مألوف في المنافسات السياسة كما نرى في خطبة ابن أبيه ثم في خطب الحجاج الأخص . غالبا كانوا يحبون أن يستشهد الخطيب في خطبته بشيء من القرآن الكريم و بالحديث أيضا كما كانت الخطبة الجاهلية و صدر الإسلام مستشهدا بهما و بالشعر و الأمثال فكلما لاحظنا الخطابة الأموية نجد أنها تقع في ثلث أنواع رئيسة :

الخطابة السياسة :

الخطابة الدينية :

الخطابة الاجتماعية :

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الأول : العناصر الإسلامية في الخطابة والرسالة في العصر الأموي

(أ) الخطابة السياسية

لقد تعقدت الحياة السياسية تعقدا شديدا في عهد بنى أمية نظرا إلى انتشار المذاهب و كثرة الأحزاب السياسية المختلفة التي كان يعمل كل حزب منها على بلوغ غايته و تحقيق أهدافه فهولا هم الأمويون مؤسسو الدولة و أصحاب الملك والسلطان فيها ،يحاولون جهد طاقتهم الإبقا على هذا الملك و تثبيت دعائمه حتى لا ينتزع من أيديهم الملك أحد إلا أن الزبيريين الذين يسعون الملك والسلطان النفوذ.ثم نجد بعد ذلك كله الخوارج الذين خرجوا على هولاء جميعا و ناصبوا بنى أمية العداء و حاربوهم و اشتدت شوكتهم عليهم حتى استولو على أماكن كثيرة من دولتهم .

إذن لقد انتشرت الأحزاب ، و تعقدت الحياة ، و في ظل هذا التعقد تزدهر الخطابة ازدهارا عظيما ،لأنها السلاح الوحيد الذي يكون به التصاول والتجاول في ميدان الفتنة و أن الذي يتصور ما كان بين الأمويين والخوارج مثلا من شقاق و عناد و يتصور مدى ما كان يبذله خطباء الحزبين من جهد لتكون خطبهم أبلغ تأثيرا و أشد و قعا في نفوس السامعين .

و من أشهر خطباء الأحزاب السياسة على اختلافها في عصر بنى أمية : الحجاج الثقفي و زياد بن أبيه وروح بن زنباع و عمر بن عبد العزيز و هولا من حزب الأموي و المختار الثقفي و زيد بن على والكميت بن زيد و عبد الله بن حسن و عبد الله بن معاوية بن عبد الله و هم من الحزب الشيعى و من والاه من بنى العباس و قطرى بن الفجاءة و أبو حمزة الخارجى و أبو همزة الشارى و عمران بن حطان و أولئك من حزب الخوارج و عبد الله بن الزبير و أخوه المصعب بن الزبير من الحزب الزبيرى[1]. الآن نذكر بعض الخطب التي ذكرت فيها العناصر الإسلامية من الرقة والرحمة والرعية من الأمور الحسنة نموذجا إن شاء الله من الخطابة السياسية .

---

[1]. الدكتور عبد الحكيم بلبع ، النثر الفنى و أثر الجاحظ فيه (القاهرة : مكتبة وهبة ١٩٧٠م) ص ١١٩ – ٢٠.

Dhaka University Institutional Repository

خطبة معاوية بن أبى سفيان (٦٠٥ ـ ٦٨٠م)

قدم معاوية إلى المدينة في عام الجماعة (٤١هـ) فخطب في أهلها فقال : " أما بعد . فإني – والله – ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة (منكم) بولايتي و لكن جالدتكم بسيفي هذا مجالدة لقد رضت لها نفسي عمل ابن أبى قحافة و أردتها على عمل عمر ،فنفرت من ذلك نفارا شديدا و أردتها على سنيات عثمان فأبت على فسلكت طريقا لى ولكم فيه منفعة مؤاكلة حسنة و مشاربة جميلة فإن لم تجدوني خير لكم فإني خير لكم ولاية والله لا أحمل السيف على من لا سيف له و إن لم يكن منكم يستشغي به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي[٢] و إن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فاقبلوا منى بعضه فإن أتاكم منى خير فاقبلوه فإن السبيل إذا جاء يثرني و إن قل يفنى و إياكم و الفتنة فغنها تفسد المعيشة و تكدر النعمة" .

خطبة زياد بن أبيه (١٢٢٥ – ٦٧٣م)

كان زياد بن ابيه من مشاهير الخطباء حاضر الذهن ،طلق اللسان ،يطيل الخب فكلما طالت خطبته جادت.لما حاول معاوية أن يستميل إلى زياد و لم يجد فيه ميلا و لا لينا . فما زال معاوية يتلطف و يتابع الجهد حتى هر على زياد شئ من اللين و لكن تريث يومين أو ثلاثة يروى في أمره ثم إن زيادا أجمع أمره على أن يستجيب لدعوة معاوية بأن يقبل بالإستلحاق (بان يقبل أن يلحق نسبه بأبي سفيان والد معاوية) و الخطبة التالية تمهيد أمام الناس لانتقاله من شيعة الإمام على بن أبى طالب إلى أن يدخل في سياسة معاوية[٣] .

"أيها الناس : ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم و ارغبوا إلى الله في دوام العافية لكم لقد نظرت في أمور الناس منذ قتل عثمان و فكرت فيهم فوجدتهم كالأضاحي في كل عيد يذبحون ـ لقد أفنى هذا اليومان يوم جمل و يوم صفين ما أنيف على مأة ألف كلهم يزعم أنه طالب حق و تابع إمام و على بصيرة من أمره فإذا كان الأمر هكذا فالقاتل والمقتول في الجنة ! كلا ليس الأمر كذلك و لكن أشكل الأمر والتبس على

---

[٢] . د. عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، ج ١ ص ٤٠٧ – ٤٠٨ .
[٣] المصدر السابق ، ص٣٨٨-٨٩.

Dhaka University Institutional Repository

القوم و إني لخائف أن يرجع الأمر كما بداء ، فكيف لامرئ بسلامة دينه ؟ و لقد نظرت في أمر الناس فوجدت أحمد العاقبتين العافية و سأعمل في أموركم ما تحمدون عاقبته فقد جمدت طاعتكم إن شاء الله ".

خطبة عمر بن عبد العزيز (٦١-١٠١هـ/٦٨١-٧٢٠م)

لما توفي سليمان بن عبد الملك اجتمع الناس "و كان قد أوصى بالخلافة لعمر بن عبد العزيز" فسار عمر بن عبد العزيز إلى المسجد ثم خطب في الناس فقال : أيها الناس : إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رغبة كانت منى ولا مشورة من المسلمين ،و إني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم ،

فصاح الناس كلهم يريدون للخلافة فتابع كلامه و قال"[٤]. "أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله خلف من كل شئ و ليس من تقوى عز و جل خلف و اعملوا لأخرتكم فإن من عمل لأخرته كفاه إليه تعالى أمر دنياه واصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم و أكثروا ذكر الموت اجنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم هادم اللذات و إن من لم يذكر من آبائه - فيما بينه و بين آدم حيا لمغرق في الموت .

و إن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز و جل ولا في نبيها صلى الله عليه وسلم ولا في كتابها و إنما اختلفوا في الدينار و الدراهم . و إنى والله لا أعطى أحدا باطلاولا أمنع أحدا حقا و أنى لست بخازن و لكنى أضع حيث أمرت .

"أيها الناس : إنه كان قبلي ولاة تجترون مودتهم بأن تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ومن أطاع الله وجبت طاعته و من عصى الله فلا طاعة له . أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم .أقول قولي هذا و استغفر الله العظيم لي و لكم ".

خطبة عبد الله بن الزبير (١٢٢٦ - ٦٩٢م)

إجتمع الناس في مجلس معاوية بن أبى سفيان نفر من وجوه الصحابة فيهم الحسين بن على و عبد الله بن الزبير فجرى من معاوية ما أسخط عبد الله بن الزبير فنهض عبد الله بن الزبير يفاخر معاوية قال يخاطب الناس :[٥]

---

[٤] المصدر السابق ، ص ٦٠٦.
[٥] المصدر السابق ،ص ٤٤٢-٤٣.

Dhaka University Institutional Repository

"أسالكم بالله : أتعلمون أن أبى حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم و أن أباه أبو سفيان حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ و أن أمي أسما بنت أبى بكر الصديق و أمه هند أكلة الأكباد ؟ و جدي الصديق و جده المشدوخ ببدر و رأس الكفر (عتبة بن ربيعة) ؟ عمتي خديجة ذات الخطر والحسب ، و عمته أم جميل حمالة الحطب ؟ و جدتي صفية وجدته حمامة ؟ و زوج عمتي خير ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم و زوج عمته شر ولد آدم أبو لهب (سيصلى نارا ذات لهب) ؟ و خالتي عائشة أم المؤمنين و خالته أشقى الأشقين ؟ و أنا عبد الله و هو معاوية.

و الخطابات كثيرة في كتب السيرة والتأريخ لكنى لم أوردها لئلا يجمع في البحث زوائد مما لم أودعت إلى و أكتفي مما لا بد منه إلا أن أذكره فحسب" .

(ب) الخطابة الدينية

و لقد رأينا حياة السياسة مضطربة و معقدة برقى الخطابة السياسة و نهضتها فهناك أيضا أمور أخرى قد أعدت لرقى نوع أخر من الخطابة ذلك هو الخطابة الدينية التي تقوم على الترغيب، والترهيب و الوعد والوعيد و التنفير من الدنيا والتذكير بالآخرة بعيدة عن أهواء السياسية فطاحن الحزبية ، و لعل من أقدم الأسباب التي دعت إلى قوه الخطابة الدينية إلى جانب الوعظ و الإرشاد والتعليم ما آلت إليه المملكة الإسلامية في زمان بنى أمية من اتساع في رقعتها .واعتناق كثير من أهائى البلاد المفتوحة الإسلام استدعى ذلك نشاطا كبيرا في ميدان الخطابة الدينية و تعليم هولا الموالى الذين كانوا حديثي عهد بالدين تعاليم هذا الدين و شرائعه و أصوله تفهيم أغراض القرآن الكريم و معانيه . يعلمون الناس في المساجد و يعظونهم و لعل من أشهر الخطباء الدينيين في عصر بنى أمية : الحسن البصري و واصل بن عطاء والفضل الرقائق [٦].

نموذ ج خطبة واصل بن عطاء (٨٠-١٣١هـ/٦٩٩-٧٤٨م)

ولى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الكوفة والبصرة (٧٥٥م) ليزيد بن الوليد فدخل عليه قوم فيهم شبيب بن شيبة و خالد بن صفوان والفضل بن عيسى و

---

٦. د. عبد الحكيم بلبع ، النثر الفنى ص ١٢٠.

Dhaka University Institutional Repository

واصل بن عطاء فخطب شبيب و خالد والفضل ، ثم ارتحل واصل خطبة عرية من الراي قال فيها[٧] .

"الحمد لله القديم بلا غاية الباقي بلا نهاية الذي علا في دنوه و دنا في علوه فلا يحويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يؤود حفظ ما خلق و لم يخلقه على مثال سابق بل أنشاه ابتداعا و عدله اصطناعا فأحسن كل شئ خلقه و تمم مشيئته و أوضح حكمته فدل أنشأه ابتداعا و عدله اصطناعا فاحسن كل شئ خلقه و تمم مشيئته و أوضح حكمته فدل على ألوهيته فسبحانه لا معقب لحكمه لا دافع لقضائه لا يعذب عنه مثقال حبة و هو السميع العليم ".

(ج) الخطبة الاجتماعية

إذا لا حظنا خلافة الأموية فإنها انتقلت من المدينة إلى دمشق واستقر دعائم الملك ، و اتسع رقعة المملكة الإسلامية ، إلى ظهور نوع جديد من الخابة ، ذلك هو الخطابة الاجتماعية أو ما يسميه بعضهم "الخطابة الحفلية" فقد كانت و فود الناس تخرج من أطراف البادية إلى دمشق التي بها مقر الخلافة والسلطان أو إلى العواصم التي بها مقر الولاة والحكام. فتكون لهم بين أيدي هولا و أولئك خطب في موضوعات مختلفة من تعزية و تهنئة استعطاء واستنجاد و استصلاح إلى غير ذلك من الأمور الاجتماعية التي طابق مثل هذه المقامات و لما كانت هذه الخطب في موضوعات مختلفة من تعزية و تهنئة واستعطاء و واستنجاد و استصلاح إلى غير ذلك من الأمور الاجتماعية التي تطابق مثل هذه المقامات لما كانت هذه الخطب، تدور أحيانا على أصحابها شيئا من العطايا والمنح فإنهم كانوا يبادرون في إجادتها و يتنافسون في أن يوفروا لها ضروبا من الفصاحة والبلاغة حتى يخطو خطوة الخطباء الكبار و يقتبسون من خطبتهم نهجهم العالية و يتأثر ونه بها لعل من أشهر الخ'طيب : الأحنف بن قيس فهو خطيب اجتماعي و محافلي بأعجب البلاغة و حسن البلاغة . فلم يكن يطيل الخطبة و لم يقصر بل سيق كلامه فيما بينهما بمبصرة عالية قيم غالية[٨] .

---

٧ د.عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، ج٧٢٢،١-٢٣.

٨. عبد الحكيم بلبع ، النثر الفني، ص ١٢٠ .

Dhaka University Institutional Repository

فقد و فد على معاوية مرة فقام يصف، أهل البصرة و ما يؤمرونه من عد العون والمساعدة[٩].

"يا أمير المؤمنين أهل البصرة عدد يسير و عظم كسير مع تتابع من المحول و اتصال من الدخول فالمكثر فيها قد أطرق والمقل قد أملق بلغ منه الخنق فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعش الفقير و يجبر الكسير و يسهل العسير يصفح عن الدخول و يداوى المحول و يأمر بالعطاء ليكشف البلاء، و يزيل اللواء. و إن السيد من يعم ولا يخص و من يدعو الجفلى و لا يدعو النقر، إن أحسن إليه شكر و إن أسى إليه غفر، ثم يكون من رواء ذلك لرعيته عمادا يدفع عنها الملمات و يكشف عنا المعضلات" إذن حصل ما أراد من ضروريات قومه لا سيما نفسه.

(د)نموذ ج الرسائل الأموية

كتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن على رضى الله عنهما بالإيمان والتقوى والصلاح وحسن الرعية إذ ولاه الناس أمرهم بعد على كرم الله وجهه[١٠].

"أما بعد. فإن المسلمين ولوك أمرهم بعد على عليه السلام فشمر للحرب و جاهد عدوك و قارب أصحابك و استر من الظنين دنبه بما لا يثلم دينك وولّ أهل البيوتات والشرف ،تستصلح بهم عشائرهم. حتى يكون الناس جماعة فأن بعض ما يكره الناس،ما لم يتعد الحق كانت عواقبه تؤدى إلى ظهور العدل و عز الدين خير من كثير بما لا يحبه الناس. إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور و ذل المؤمنين و عز الفاجرين و اقتد بما جاء عن أئمة العدل فقد جاء عنهم (إنه لا يصلح الكذب إلا في حرب أو إصلاح بين الناس ، فإن الحرب خدعة و لك في ذلك سعة ،إذا كنت محاربا ما لم تبطل حقا.

و اعلم أن عليا أباك إنما رغب الناس عنه إلى معاوية أنه أسى بينهم في الغي و سوى بينهم بالعطاء فثقل عليهم و أعلم أنك تجارب من حارب الله و رسوله في ابتداء الإسلام حتى ظهر أمر الله فلما وحد الرب و محق الشرك و عز الدين أظهر و الإيمان و قروا القرآن مستهزئين بآياته و قاموا إلى الصلوة و هم كسالى و أدوا

---

٩ د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي-العصر الإسلامي (مصر: دار المعارف ١٩٦٣م) ط٧،ج٢،ص٤٣٤.
١٠ احمد زكي صفوت،جمهرة رسائل العرب ، ج٢،ص٩.

Dhaka University Institutional Repository

الفرائض و هم لها كارهون فلما رأوا أنه لا يعز في الدين إلا الأتقياء الأبرار ،توسموا بسيمى الصالحين ، ليظن المسلمون بهم خيرا ، فلما زالوا بذلك حتى شركوهم في أماناتهم و قالوا حسابهم على الله فإن كانوا صادقين فإخواننا في الدين . و إن كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخسرين و قد منيت بأولئك و بأنباءهم أشياءهم و لله ما زادهم طول العمر إلا غيا ولا زادهم ذلك لأهل الدين إلا مقتا فجاهد هم ولا ترض ديني . ولا تقبل حسنا فإن عليا لم يجب إلى الحكومة حتى غلب على أمره فأجاب و إنهم يعلموا أنه أولى بالأمر إن حكموا بالعدل فلما حكموا بالهوى رجع إلى ما كان عليه حتى أتى عليه أجله ولا تخرجن من حق أنت أولى به حتى يحول الموت دون ذلك. والسلام ".

كتب سعيد بن العاص إلى معاوية

كتب معاوية إلى سعيد بن العاص و هو في المدينة يأمره أهل المدينة إلى البيعة ليزيد و يكتب، إليه بمن سارع و من لم يسارع ، فلما أتى سعيد بن العاص الكتاب عدعا الناس إلى البيعة ليزيد فلم يجبه أحد و كان ابن الزبير ينكره أشد إنكارا و يرده فكتب سعيد بن العاص إلى معاوية[١١] .

"أما بعد . فإنك أمرتني أن أدعو الناس لبيعة يزيد بن أمير المؤمنين و أن أكتب إليك بمن سارع ممن أبطأ و إني أخبرك أن الناس عن ذلك بطاء لا سيما أهل البيت من بنـ هاشم ، فإنه لم يجبني أحد و بلغن عنهم ما أكره أما الذي جاهر بعداوته و إبائه لهذا الأمر فعبد الله بن الزبير لست أقوى عليهم إلا بالخيل والرجال أو تقدم بنفسك فترى رأيك في هذا والسلام ".

رد معاوية على سعيد

فكتب معاوية إلى عبد الله بن عباس و إلى عبد الله بن الزبير و إلى عبد الله بن جعفر و إلى الحسين بن على رضوان الله أجمعين كتبا و أمر سعيد بن العاص أن يوصلها إليهم يبعث بجواباتها و كتب إلى سعيد بن العاص[١٢] .

---

[١١] المصدر السابق ، ص٥٤.
[١٢] المصدر السابق، ص٥٥.

Dhaka University Institutional Repository

"أما بعد . فقد آتاني كتابك و فهمت ما ذكرت فيه من إبطاء الناس عن البيعة ولاسيما بنى هاشم و ما ذكر ابن الزبير قد كتبت إلى رؤساءهم كتبا فسلمها إليهم و تنجز جواباتها و ابعث بها إلى حتى أرى في ذلك رأى ولتشتد عز يمتك والتصلب شكيمتك و تحسن نيتك و عليك بالرفق و إياك و الخرق فإن الرفق رشد والخرق نكد و انظر حسينا خاصة فلا يناله منك مكروه فإن له قرابة و حقا عظيما لا ينكره مسلم أو مسلمة و هو ليث عرين و لست آمنك إن شاددته أن لا تقوى عليه فأما من يرد مع السباع أذا وردت و يكنس إذا كنست فذلك عبد الله بن الزبير فاحذره أشد الحذر ولا قوة إلا بالله و أنا قادم عليك إن شاء الله .والسلام ".

رد ابن عباس على معاوية

و كان أول من أجابه عبد الله عباس ، فكتب إليه[١٣] .

"أما بعد فقد جاءني كتابك و فهمت ما ذكرت و أن ليس معي منك أمان و إنه والله ما منك يطلب الأمان يا عاوية ، و إنما يطلب الأمان من الله رب العالمين ، و أما قولك في قتلى : فوالله لو فعلت للقيت الله و محمد صلى الله عليه السلام خصمك فما أخا له أفلح ولا أنجح من كان رسل الله خصمه و أما ما ذكرت من أنى ممن ألب على عثمان و أجلب فذلك أمر عبت عنه و لو حضرته ما نسبت إلى شيئا من التأليب عليه و أيم الله ما أرى أحدا غضب لعثمان غضبى ولا أعظم أحد قتله إعظامي ، و لو شهدته لنصرته أو أموت دونه و لو قلت و تمنيت يوم قتل عثمان ، ليت الذي قتل عثمان لقيني فقتلني معه ، و لا أبقى بعده و أما قولك لي : و العن قتله عثمان ، فلعثمان و لد خاصة و قرابة هم أحق بلعنهم منى ، فإن شاءوا أن يلعنوا فليلغوا و إن شاءوا أنت يمسكوا فليمسكوا والسلام ".

رد عبد الله بن جعفر على معاويه

كتب إليه عبد الله بن جعفر[١٤] .

"أما بعد فقد جاءني كتابك و فهمت ما ذكرت فيه من أثرتك إياى على من سواي فإن تفعل فبحضك أصبت و إن تأب فبنفسك قصرت و أما ما ذكرت من جبزك إياي

---

١٣ المصدر السابق ،ص٥٧
١٤ المصدر نفسه

Dhaka University Institutional Repository

على البيعة ليزيد فلعمري لئن أجبرتني عليها لقد أجبرناك و أباك على الإسلام حتى أدخلنا كارهين غير طا ئعين والسلام ".

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن[١٥] .

كتبت إلى تسألني عن أناس من أهل الحيرة ، يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس و عليهم جزية عظيمة و تستأذنني في أخذ الجزية منهم و إن الله جل ثناءه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا إلى الإسلام و لم يبعثه جابيا فمن أسلم من أهل تلك الملل فعليه في ماله الصدقة ولا جزية عليه و ميراثه لذوى رحمه إذا كان منهم يتوارثون كما يتوارث أهل الإسلام و إن لم يكن له وارث فميراثه في بيت مال المسلمين الذي يقسم بين المسلمين و ما أحدث من حدث ففي مال الله الذي يقسم بين المسلمين يعقل عنه (أدمى جنايته) منه ـ والسلام .

و أيضا كتابه إلى ولى عهده يزيد بن عبد الملك :

"بسم الله الرحمن الرحيم- من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى يزيد عبد الملك السلام عليك فإنى أحمد إليك الله لا إله إلا هو أما بعد :

فإني كتبت إليك و أنا دنف من وجعى (الموت) و قد علمت أنى مسئول عما وليت، يحاسبني عليه مليك الدنيا و الآخرة ، و لست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئا يقول تعالى فيما يقول " و لنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين" فإن يرض عنى الرحيم، فقد أفلحت و نجوت من الهوان الطويل وان سخط على فيا ويح نفسي! إلام أصير ؟ أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يجيرني من النار برحمته ، و الرعية الرعية فإنك لن تبقى بعدى ألا قليلا حتى تلحق باللطيف الخبير.والسلام"[١٦] .

---

[١٥] المصدر السابق،ص٢٧٦

[١٦] المصدر السابق، ص ٣١٤.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الثاني : العناصر الإسلامية في الشعر العربي للعصر الأموي

جاء الإسلام و الشعر يحتل في نفوس العرب مكانة كبيرة، و منزلة رفيعة ، فهو علمهم الذي " لم يكن لهم علم أصح منه" [١٧] و هو ديوانهم و سجل مفاخرتهم الذي خلد آدابهم و علومهم و أخلاقهم. و ليس أدل على مكانته في نفوسهم مما يذكر عن احتفاء القبيلة العربية بنبوغ شاعر بين أبنائها[١٨] . فالشاعر منهم كان نجما لامعا يحترمه القاضي والداني ، ليس لأنه فقط يحمي أعراضهم ، و يدافع عن أحسابهم ، و يخلد مآثرهم ، و يشيد بذكرهم و لكن أيضا لأن العرب أمة شاعرة تطرب للشعر و تقدر المواهب الأدبية ، ولهذا احتل الشاعر منزلة كبيرة في قومه لما لشعره من وقع كبير في نفوسهم . وقد ساعد ذلك على وجود حركة شعرية نشطة لم يصل إلينا منها إلا القليل[١٩] ، والقارئ للشعر الجاهلي يجد أن شعرائه قد طرقوا مختلف الأغراض الشعرية من مديح و فخر و هجاء و غزل و حكمة و رثاء و وصف . و كثيرا ما كانت بعض هذه الأغراض تتداخل في القصيدة الوحدة . فقد يبدؤها الشاعر بالغزل أو الوصف ثم تجده ينتقل إلى المديح أو الفخر أو أي موضوع آخر يريد التعبير عنه.والمضمون الشعري في القصيدة الجاهلية مثل عواطف وقيم المفاهيم السائدة ، و قد كا نت القصيدة تبعا لذلك معبرة عن واقع الحياة الجاهلية.

ولما جاء الإسلام أبطل كثيرا من نزعات الجاهلية و معتقداتها ، و حمل معه كثيرا من التغيرات الدينية والاجتماعية التي أحدثت في الحياة العربية تحولا كبيرا . و انقسم العرب عند ظهور الدعوة إلى فريقين . فريق يناصر الدعوة و يؤيد ها ، و فريق يعارضها و يحارب أتباعها . والذي يعنينا من هذه الخصومة هو الشعر . فقد كان أحد أسلحتها ، إذ نشب صراع أدبي كان بين شعراء النبي صلى الله عليه وسلم و شعراء قريش و من وقف بجانبها يناصرها من الأعراب . فحينما أغرت قريش شعراء ها و شعراء القبائل المجاورة لها بهجاء الرسول والنيل منه و من دعوته و أتباعه ، حينئذ اضطر الرسول صلى الله عليه وسلم للرد على أعدائه بنفس سلاحهم . فدعا شعراء الأنصار لحماية أعراض المسلمين والدفاع عنهم و عن عقيدتهم .و يلاحظ على الشعر في تلك الفترة أنه ظل في مجمله

---

١٧. طبقات فحول الشعراء ، ج١،ص٢٤.
١٨. العمدة ج١، ص٦٥
١٩. طبقات فحول الشعراء ، ج١،ص٢٥.

Dhaka University Institutional Repository

جاهليا . إن من حيث الشكل أو المضمون ، حتى عند شعراء المسلمين الذين عارضوا خصومهم بمثل أقوالهم و عيروهم بالمثالب والأيام والوقائع . والرسول صلى الله عليه وسلم كان يدرك أبعاد هذا اللون من الهجاء و وقعه في نفوس المشركين . لذا وجه حسانا هذه الوجهة و قال له : "اذهب إلى أبى بكر فليحدثك حدث القوم وأيامهم و بحسابهم ثم اهجهم و جبزيل معك"[٢٠].

و نظرًا لارتباط الشعر بالمتغيرات الكثيرة والأحداث المتتالية آلتي مرت على الجريرة في ذلك العصر . فقد تعرض شعر هذه الفترة بصورة أكبر للطمس والضياع و لم يصل الينا منه إلا القليل . و مع ذلك فإن في هذا القليل الذي وصل إلينا منسوبا إلى عصر الرسول و عصر الخلفاء الراشدين من بعده ، ما يجعل الدارس يسلم بأن القصيدة الشعرية في ذلك العصر قد طرأ عليها بعض التطور تبعا لما أحدثه الإسلام في النفوس ، و ما غرسه من قيم روحية واجتماعية ظهر أثرها على الشعر . لقد تمثل هذا الأثر الديني بإدخال عناصر إسلامية على شكل القصيدة و مضمونها . كما اقتصر الشعراء على النظم في الموضوعات التي تتمشى و طبيعة الحياة الدينية الجديدة . و تطورت اللغة الشعرية بفعل الإسلام ، أو اكتسبت تعابير جديدة من القرآن وألفاظا لم تكن معروفة من قبل . كما ظهر على القصيدة في عصر صدر الإسلام تأثر الشعراء بالمعاني الدينية ، و هذا و إن كان ضئيلا و محدودا إلا أنه كشف عن قدرة الشاعر ، و أظهر تفاعله مع واقع الحياة الدينية الجديدة . و لمزيد من الكشف عن هذا الأثر الديني الذي أصاب القصيدة العربية منذ بداية الدعوة و حتى نهاية العصر الأموي . يحسن بنا أن نقوم بتتبع سريع للقصيدة من خلال بعض الأغراض الشعرية انطلاقا من العصر الجاهلي و مرورا بعصر صدر الإسلام حتى نصل إلى العصر الأموي حيث سنقف أمام بعض النصوص الشعرية الفريدة التي يغلب عليها الطابع الإسلامي إن لم يكن يسودها ، لكي نحال من خلال تحليلنا لها الكشف عن المدى الذي وصلته القصيدة العربية في تطورها على هدى الإسلام .

---

[٢٠] . الأغاني ج٤،ص١٣٨.

Dhaka University Institutional Repository

(أ) المديح

يعتبر المديح أحد الموضوعات الشعرية وأهم أغراضها التي ترك لنا فيها الشعراء العربية عبر العصور نتاجا ضخما ، و يرجع ذلك لكونه طريقة التكسب الأولى عند بعض : الشعراء كما أنه كان الوسيلة الإعلامية الوحيدة للدعاية الشخصية في تلك الأزمنة التي لم تكن تعرف وسائل الإعلام الحديثة ، مما كان يدفع كثيرا من ذوى الرفعة والجاه إلى بذل الأموال بسخاء للشعراء لكي يشيدوا بهم ، فيرضوا غرورهم و يعلوا قدرهم و يكسبوهم حمدا و ذكرا حسنا بين قومهم و بين القبائل الأخرى : و من خلال نظرة في تلك القصائد المنسوبة إلى العصر الجاهلي والتي كان المديح موضوعها الأساسي ، يتضح لنا أن الأفكار الشعرية التي كان الشعراء يضمنونها قصائدهم لاتخرج عن التغني يغنى بنسب الممدوح العريق ، و حسبه الرفيع ، و شجاعته الفذة ، والإشادة بأمجاد قبيلته وانتصاراتها ، والحديث عن جوده و عن ناره التي يؤمنها المحتاجون في الليالي الباردة ، و ما إلى ذلك من الخصال التي كانت محل تقدير القوم واعتزازهم في العصر الجاهلي .

و قد سارت القصيدة في عصر صدر الإسلام على منوال ذلك النهج القديم و إن ظهر عليها أثر إسلامي فهو ضئيل لا يذكر . أن التركيز كان منصبا على الأفكار القديمة في النظر إلى الممدوح . و هذا ما يظهر لنا في هذه الأبيات التي قالها حسان بن ثابت رضى الله عنه في مدح الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

يقول حسان

و اللهِ ربّـــى لا نُفارقُ ماجداً عفّ الخليقةِ سيّد الأجْـــدادِ

مُتكرّماً يدعو إلى ربّ العُلا بَذل النصيحةِ رافعَ الأعْمادِ

مِثلَ الهلال مباركا ذا رحمةٍ سمْحَ الخليقةِ طيّب الأعْوادِ

إنْ تتركوهُ فإن ربى قـــاد رٌ أمْســـى يَعودُ بفضْله العوّادِ[٢١]

و كما نرى في الأبيات الأخرى ، فان حسانا لا يزال خاضعا للمفاهيم الجاهلية في تقدير الأفراد . فهذه الخصال و إن كتب لها الاستمرار في ظل الإسلام إلا أنه أضاف

---

[٢١] . حساس بن ثابت ،الديوان ، ص ٣٣٨.

Dhaka University Institutional Repository

إليها ما هو أهم كالموصف بالتقي ، والصلاح والزهد ، و حب الجهاد في سبيل الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، و ما إلى ذلك من الصفات التي أوردها القرآن الكريم في حديثه عن المؤمنين .

و يلاحظ أن شعر المدح كان قليلا في عهد النبوة ، الخلافة الراشدة ، لأن النبي صلى الله عليه و سلم والخلفاء الراشدين من بعده لم يكونوا راغبين في المديح ؛ لأن فيه من مظاهر الأنانية و التعظم و الكبرياء الكثير مما ينهى عنه الإسلام .

أما في عصر بني أمية فإن خلفاءه كثروا على قناعة تامة بأن الشعر هو الصوت الداعي الأول الذي يساعدهم في توطيد حكمهم ، فدعوا مع ولاتهم في الأمصار الإسلامية الأموال الطائلة إلى الشعراء يستدرجون منافع الشعر ، فدورهم أعظم تأثير فانتفع هؤلاء في منحهم والإثابة بهم .

و قد ظهر على شعرهم المدح بالمقاصد الإسلامية مثل التقى ، والصلاح والعدل ، و إقامة فرائض الدين ، و بناء المساجد و الجهاد في سبيل الله والإثابة بتقريبهم على أيدي العائشين بالمن الدولة . و غير ذلك من المعاني التي استحسنها الإسلام وصارت أساسا يقوم به الأفراد .

و تكشف لنا قصيدة كثير عزة[33] التي قالها في مدح عمر بن عبد العزيز[34] خلافا عما كان الشعراء الجاهليون تدور حول التغني بشجاعة الممدوح ، والإشادة بجوده و كرمه والثناء على عراقة نسبه و ما إليها من المفاهيم الجاهلية مفاهيم جديدة المورثة من الإسلام والقرآن ، حيث قال[35]

ولیت فلم تشتم علیا و لم تخف ... بریا و لم تقبل إشارة مجرم

و حقیت فیما قد تقدمت قبله ... و أخرت عما کان قبل التقدم

و صدقت بالفعل المقال مع النهی ... أتیت قلی راضیا کل مسلم

تکلمت بالحق المبین و لم تخف ... تبین آیات الهدی بالتکلم

و تبرمض أحیانا بحین مریضة ... و تبسم عن مثل الجمان المنظم

---

[33] كثير عزة (ت نحو ٥٠ هـ / ٧٢٣م) : هو كثير بن عبد الرحمن من خزاعة . شاعر أموي ، أقام في المدينة . و كان يتصل على عبد الملك و ينشده و كان شيعيا شديد التعصب لآل أبي طالب . و كان عبد الملك يعرف ذلك فلا ينكره . تغزل بعزة فسمي بها . المنجد في اللغة والأعلام ، ص ٤٥٨ ، جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (القاهرة : دار الهلال ١٩٥٧م) ج ١ ص ٣٣٦ .

[34] عمر بن عبد العزيز بن مروان (٦١-١٠١هـ/٦٨١-٧٢٠م) الخليفة الأموي اهتم بالإصلاح الإداري و المالي المنجد، ص ٥٠٩.

[35] ديوان كثير عزة جمعه وشرحه احسان عباس (بيروت: دار الثقافة ١٩٧١م) ص ٣٣.

Dhaka University Institutional Repository

فـــلما أتاك الملك عفوا و لم يكن لـــــطالب دنيا بعده من تكلم
فما بين شرق الأرض والغرب كلها مناد ينادى من فصيح و أعجـــم
يقول أمير المؤمنين ظلمتنـــــي بأخذ لدينارولا أخذ درهـــــم
و لويستطيع المسلمون لقسموا لك الشطر من أعمارهم غير ندم
فاربح بها من صفقة لـــمبايع واعظم بها أعظم بها ثم اعظـــم .

فالشاعر بعد مقدمته الطليلة القصيرة يتناول (في سائر أبيات القصيدة الاثنين والعشرين) شخصية الخليفة عمر بن عبد العزيز المتفردة بين خلفاء بنى أمية . فهو يحدث، عن زهد الخليفة و إعراضه عن الدنيا مع كل ما تظهره من مفاتنها و إقراره بأنها دار الفناء واعتقاده بالآخرة و رعيته إلى دار البقاء حيث لا يمنعه أحد الوصول إلى ما يرغبه بالأعمال الصالحة مثل التقوى والصلاة والثناء على الله بإقامة الحق والعدل ونصرة للمظلومين . و كذلك اختصت نفسه بالعفة والشجاعة والرفعة و نصر الإسلام و حسن السيرة والسياسة والعلم و الحلم والورع والرأفة والرحمة والكرم والهيبة حتى أمسى المسلمون و هم راضون عن ولايته ولقبوه بأمير المؤمنين رضي الله عنه .

و لا شك أن هذه المعاني العناصر الإسلامية والأوصاف الدينية التي يرددها الشاعر مثل الاستقامة ، والصداقة والتقوى والصلاح والإعراض عن الدنيا هي معان تولدت في ظل الإسلام على ضوء تعاليمه و لم تكن معروفة من قبل .

(ب) الرثاء :

يقصد بالرثاء بكاء الموتى مع تأبينهم بذكر محامد هم و محاسنهم . و لعل الرثاء أكثر موضوعات الشعر صدقا لأن الشاعر و هو يرثى عزيزا فقده بعد أن عايشه عمرا ، فكأنما هو يرثى نفسه لشعوره بأنه سيؤول إلى نفس المصير مما يغلف قصيدته بعاطفة حزينة .

و قد عرف الشعر العربي منذ أقدم عصوره بدأ بالعصر الجاهلي هذا الفن . و قد كانت قصيدة الرثاء عند شعرائه تقوم على ندب الميت ، والتحسر عليه ، و إظهار الجزع والمرارة من القدر الذي يهلك الأصحاب و الأحبة ، و كانوا يقفون في تأبينهم للميت، أمام ما كان يتسم به من مناقب فاضلة هي محط أنظار الناس في ذلك الوقت كالكرم ، والشجاعة ، والوفاء ، والحمية ، بالإضافة إلى عراقة نسبه .

Dhaka University Institutional Repository

و كان هؤلاء لا يجدون سبيلا لتعزية أنفسهم إلا بالتأسي ، و طلب السقا لقبر الميت

و مع مجيء الإسلام كان من المتوقع أن يظهر على الرثاء شئ من الإختلاف عما كان عليه في العصر الجاهلي . كأن يعمد الشعراء في قصائد هم إلى المزاوجة بين العناصر البارزة قديما والتي ظلت لها قيمتها في الإسلام ، بين عناصر يستقونها من قيم هذا الدين تعاليمه . غير إن شيئا من ذلك لم يحدث، فظلت قصيدة الرثاء تسير على نمطها الجاهلي . أما العناصر الإسلامية فقد كانت قليلة أو بالأصح نادرة ، إن لم تكن منعدمة في كثير من القصائد .

و يرجع ذلك إلي أن شعراء عصر صدر الإسلام ظلوا أوفياء للتقاليد التي ألفوها في الجاهلية .

فهذا كعب بن مالك يرثى حمزة بن عبد المطلب " رضى الله عنه " الذي استشهد في غزوة أحد . فنراه يثنى على نسبه ، و كرمه ، و شجاعته وهي معايير جاهلية بحتة . يقول كعب[٢٥] :

قرمٌ تمكنَ في ذُؤابة هاشمٍ حيث النبوة والندى والسُّؤدَدُ

والعاقرُ الكوم الجلاد إذا غدتْ ريحٌ يكادُ الماءُ منها يَجْمدُ

والتارك القرْن الكميّ مُجدّلاً يومَ الكَريهةِ والقنا يتقصّدُ

وتراهُ يَرفُلُ في الجديد كأنّه ذو لِبْدةٍ شَثْنُ البراثِن أربَدُ

و نراه يرثى جعفر بن أبى طالب فيعيد نفس المعايير القديمة قائلا[٢٦]:

قرمٌ علا بنيانه من هاشم فرعا أشم و سؤددا ما ينقلُ

قوم بهم عصم الإله عباده و عليهم نزل الكتاب المنزلُ

فضلوا المعاشر عزة و تكرما و تفمدت أحلامهم من يجهلُ

لا يطلقون إلى السفاه حباهم و يرى خطيبهم بحق يفصلُ

بيض الوجوه ترى بطون أكفهم تندى إذا اعتذر الزمان الممحلُ.

---

٢٥ السيرة النبوية ج٢،ص ١٥٧.

٢٦ المصدر نفسه

Dhaka University Institutional Repository

و إن كنا نجد عند هم بعض الملامح الإسلامية كطلبهم للميت الرحمة ، والصلوات ، و تعزيتهم أنفسهم بأن مصيره إلى جنان النعيم . و هذا ما يظهر في قول حسان يرثى حمزة رضى الله عنه :

كما نرى في أبيات وضاح اليمن[٢٧] التي يرثى بها أباه و أخاه التزامه بالصبر على قضاء الله ، وإيمانه بأن الموت هو مصير كل الأحياء مهما طالت بهم الحياة ، و ان الناس متساوون أمام هذا المصير المحتوم ، كما نلمس عنده إيمانه بالبعث حيث يوفي الناس حقوقهم ، فهو يقول[٢٨] :

سأصبرُ للقضاء فكلّ حيٍّ ... سيَلقى سَكْرة الموت المذُوق

فما الدنيا بقائمةٍ و فيْهَا ... من الأحياء ذو عيْنٍ رَموق

و للأحْياء أيام تقضّى ... يلُفّ ختامُها سُوقا بسوق

فأغنا هم كأعد مِهم إذا ما ... تقضّتْ مُدَةُ العَيْش الرقيق

كذلك يُبعثون و هم فُرادى ... ليوم فيه تَوفيةُ الحقوق.

و في رثائه لعمر بن عبد العزيز يتحدث قطرب النحوى عن الأجر الذي سينا له الناس نتيجة مصابهم الجلل في الخليفة ، فيقول[٢٩] :

أمّا القبورُ فإنهن أوانسٌ ... بجوار قبرك والديار قبورُ

جلت رزيئتُه فعمّ مُصابُه ... فالناس فيه كلهم مأجورُ.

و في رثائه لزوجته أم حرزة نجد جريرا يدعو لها بالصلوات والرحمة من الله والملائكة والأبرار والصالحين ، قائلا[٣٠] :

صلى الملائكة الذين تخيّروا ... والصالحون عليكِ والأبرارُ

و عليك من صلواتِ ربّك كلما ... نَصَبَ الحجيجُ ملبدين وغاروا.

---

٢٧ وضاح اليمن: هو عبد الرحمن (أو عبد الله)بن اسماعيل بن كلال المعروف بوضاح اليمن من أهل فعال من الأنباء، لقب بوضاح اليمن لجماله، لا نعرف زمان ولادته وأما وفاته ٩٠هـ، و أنه عاصر عبد الملك بن مروان و ابنه الوليد. ديوان وضاح اليمن، جمعه وشرحه الدكتور محمد خير البقاعي (بيروت:دار صادر ١٩٩٢م)ط١،ص١٥.

٢٨ ديوان وضاح اليمن، جمعه الدكتور محمد خير البقاعي(بيروت:دار صادر١٩٩٢م)ط١،ص٦٣.

٢٩ الكامل، ج٤، ص٢٩.

٣٠ ديوان جرير، ج٢،ص٨٦٤.

Dhaka University Institutional Repository

و يتكرر هذا الدعاء في كثير من قصائد الرثاء ، و هذا ما يبدو لنا في هذه الأبيات :

فصلى على قبريهما الله إنما خلائفه منها علـــى سنة الرسلُ[٣١]

صلى الإله عليك من ذى حفرة خلت الديار له فـــــــــهن قفارُ[٣٢]

صلى الإ له علـى امرى فادرته بالشأم في جدث الضريح الملحدُ[٣٣]

سأبكيك للدنيا وللدين أننـــى رأيت يد المـــــعروف بعدك شلتُ

فدامت عليك بالسلام تـــحية ملائكة الله الـــــكرام و صلتُ[٣٤]

و قد برزت بوضوح فكرة الجنة التي سيثاب بها الفقيد ، إن مات و هو مستمسك بدين الله ، أو شهيدا في سبيله .

و هذا ما عبرعنه الفرزدق في رثائه للجراح بن عبد الله الحكمى الذي استشهد في اذ ربيجان ، فهو يقول [٣٥]:

لقد صبر الجراح حتى مشت به إلى رحمة الله السيوف الـــــصوارمُ

فأصبح في القوم الذين مـــحمد أخوهم و من يلحق بهم فهم فهو سالمُ

جزوا بالسريرات التي في قلوبهم جزاهم بها محصى السرائر عـــالمُ

إلى الغُرفة العليا رفيق محمدٍ مقيما ولا منها هو الـــــدهررائمُ

(ج) الهجاء

الهجاء أحد الفنون الشعرية التي شغلت حيزا كبيرا من النتاج الشعري عبر عصور الأدب العربي المختلفة .و للهجاء دوافع متعددة فمنها القبلي الذي يكون نتيجة للنزاع بين القبائل على الماء و الكلاء ، أو تبعا للمواجهات الحربية بينها فيرفع الشاعر صوته مفتخرا بقبيلته ، و مسددا سهام لسانه على القبيلة الأخرى

و منها الشخصي الذي تحركه المتنافرات الفردية بين الشعراء -و بعد الإسلام عرف العرب الهجاء الديني والسياسي .

---

٣١. ديوان الفرزدق ج٢،ص١٤٧.
٣٢. ديوان الجرير ج٢،ص٧١٩.
٣٣. شعر اسماعيل بن يسار، ص ٣٢.
٣٤. شعر الكميت بن زيد الأسد ١٤٧/١.
٣٥ ديوان الفرزدق ،ج٢،ص٢٥١

Dhaka University Institutional Repository

والهجاء إما مادي يقوم تناول الأعراض و ذكر العورات كالتعيير بالقصر والدمامة والعور وما إلى ذلك .

و إما معنوي و هو الذي يعنى بالخصال التي يكره الناس أن يوصفوا بها كوضاعة النسب، والجين والبخل .

والهجاء تعبير من الشاعر عن عاطفة الغضب في نفسه تجاه من يقف منه موقفا لا يرضاه .

و القيم النبيلة التي جاء بها الإسلام تحمل في مضمونها رفضا للهجاء لما يدعو إليه من التنازع والشقاق بين الناس ، و هذا ما تعبر عنه الآيات الكريمة في قوله عز و جل: "إنما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ، يا ايها الذين أمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم و لا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان و من لم يتب فأولئك هم الظالمون" [٣٦].

كما عبر عن ذلك صراحة رسول الله صلى الله عليه و سلم حين قال : "من قال في الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر" [٣٧].

غير أن قصيدة الهجاء ظلت موجودة في المجتمع الإسلامي في المدينة إبان الدعوة المحمدية . و كان ذلك شيئا طبيعيا لأن قريشا عمدت إلى سلاح الشعر لمحاربة المسلمين والنيل من أعراضهم ، فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناصا من أن يطلب من شعراء الصحابة أن يردوا عليهم فيقول لحسان بن ثابت رضى الله عنه : "اهجهم أوهاجهم و جبزيل معك"[٣٨] و يقول له : "اهجهم كأنك تنضحهم بالنبل"[٣٩].

و قد كانت قصائد حسان و رفاقه تسير على النهج الجاهلي في الهجاء والذي كان يقوم على القذف في الأعراض ، والطعن في الأنساب والأحساب ، و ذكر الأيام ، والتعبير بالمثالب والألقاب ، و وصمهم بكل ما لا يليق من جبن و خبث، و ما إلى

---

٣٦. الحجرات ١٠، ١١.
٣٧. العمدة ،ج٢،ص١٧٠.
٣٨. طبقات فحول الشعراء ، ج١، ص ٢١٧.
٣٩. المصدر نفسه.

Dhaka University Institutional Repository

ذلك من الصفات الذميمة التي كانت تتردد على ألسنة الشعراء في العصر الجاهلي [٤٠].

يقول الدكتور محمد حسين عن الهجاء في هذه الفترة أنه " ظل كما كان جاهليا في صميمه ، معتمدا على الأنساب و التعبير بضعف العصبية ، و خمول الذكر و العجز عن حماية الجار، والاستسلام للمهاجين من الأعداء ، و القعود عن النار ، إلي امثال هذه الخصال المثل الجاهلية ، و لم يتأثر بالمثل الدينية إلا قليلا . فهذا حسان بن ثابت يهجو أحد المشركين فيقول :

تشبّه بالأكارم عبـــــد شَمسٍ لئيومٌ و ابنُ ذي جـــــــدٍّ لئيمُ

وما لك حين تنتقدُ المعـــــالى حديثٌ في الأمور و لا قـــــديمُ [٤١].

و يخاطب كعب بن مالك عبد الله بن الزبعرى فيقول :

سألتُ بِكَ ابن الزّبعرى فـــلمْ أنباك في القوم إلا هجينـــــاً

تقول الخَنَاتم تَرمي بـــــــهِ نقيٌّ الثيابِ تقيّاً أمينـــــــاً [٤٢].

و لا شك أن غلبة العناصر الجاهلية على هجائهم أمر يفضه واقع تلك الفترة ، فشعرهم موجه إلى فوم جاهلي العقيدة ، لا يؤمنون بالاسلام ، فكان لا بد للشعراء أن يخاطبوهم بمفهومهم . و قد كان الرسول صلى الله عليه و سلم يوجه الشعراء هذا الاتجاه ، فقد كان يقول لحسان : أهجهم ، وانت أبا بكر يخبرك أي بمعاتب القوم. و قد خفت شعر الهجاء في الفترة الباقية من حياة الرسول صلى الله عليه و سلم بعد الفتح لانتهاء الأسباب الداعية إليه ، و استمر الأمر كذلك أثناء حكم الخلفاء الراشدين ، و اتخذ هولاء موقفا صارما من الهجائين وصل إلى حد السجن و التعزير [٤٣].

ازد هر شعر الهجاء في العصر الأموي ، حتى أصبح يمثل جزأ كبيرا من التراث الشعرى الذي خلفته لنا هذه الفترة التي تعتبر من اخصب الفترات في عمر الشعر العربي . و قد ساعد الواقع السياسى واللاجتماعى القائم آنذاك على وضع هذا اللون

---

٤٠. روى أبوالفرج في الأغانى "كان يهجوهم يعنى قريشا ، ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم : حسان بن ثابت ، و كعب بن مالك ، و عبد الله بن رواحة ، و كان حسان و كعب يعارضانهم بمثل قولهم ، و بالوقائع ولأيام والمآثر ، و يعيرانهم بالمثالب ، و كان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر و ينسبهم إليه ، و يعلم أن ليس فيهم شئ شر من الكفر ، فكانوا في ذلك الزمان أشد شئ عليهم قول حسان و كعب ، و أهون شئ عليهم قول ابن رواحة ، فلما أسلموا و فقهوا الإسلام ، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة" الأغانى، ج١٦،ص٢٣١.

٤١. الديوان ص ١١٧

٤٢. السيرة النبوية ١٦١/٢

٤٣. طبقات فحول الشعراء، ج١ ، ص ٢١٧.

Dhaka University Institutional Repository

الشعرى في الواجبة الأمامية للحركة الشعرية الأموية ، فلقد كان التغيير الذي أحدثه الأمويون على نظام الخلافة يجعلها أمرا وراثيا فيهم ، بعد أن كانت ترتكز قبل ذلك على نظام الشورى الذي أوجده الإسلام ، سببا في أشعال حركة معارضة شديدة ضدهم . عمم الأمويون على دحضها ، و على ترسيخ كيان دولتهم بكل السبل الكفيلة بتحقيق ذلك . و قد كانت إثارة العصبيات بين القبائل العربية ـ والتي بدأت بذورها الأولى في الحروب الداخلية في عهد الخليفة الراشد على بن أبى طالب رضى الله عنه ـ إحدى سبلهم في ذلك . غير أن السياسة لم تكن وحدها المحرك ليذه العصبيات القبلية ، فاصطدام المصالح الاقتصادية فيما بين القبائل ، أمر كان له دوره الملموس في ذلك .

و قد كانت هذه العصبيات المحتدمة ، التي تتخذ احيانا لطابع الحربى ، كفيلة بالتحام الهجاء بين شعراء القبائل ، انطلاقا من الدور المرسوم للشاعر في المجتمعات القبلية ، كلسان لقبيلته ينطق باسمها ، و يذود عنهاء و يهجو خصومها . كما كانت الخصومات الفردية عاملا له أهيته في إثارة الهجاء بين الشعراء . و ذلك لضعف الوازع الديني لديهم ، ولا نعد ام السلطة الرادعة لهم . فلم يكن للخلفاء الأمويين أو لولا تهم ، موقف صارم من الهجاءين شبيه بذلك الموقف الذي اتخذه الخلفاء الراشدون ، و إن كنا نعلم أن معاوية بن أبى سفيان نهي عبد الرحمن بن الحكم عن الهجاء [٤٤]، و أن الوليد بن عبد الملك أمر واليه على المدينة بجلد جرير و عمر بن لجأ لأنهما يقذفان المحصنات في هجائهما [٤٥].

غير أن الموقف العام كان سلبيا ، بل إننا نجد من الأمويين من كان يدفع الشعراء إلى الهجاء ، فقد حرض يزيد بن معاوية الأخطل التغلبي على هجاء الأنصار [٤٦]، و كان بشر بن مروان يقو بالتحريش بين الشعراء و يفرى بعضهم ببعض ، فهو الذي أغرى بين جرير والأخطل [٤٧]، كما أنه أغرى بين جريرو سراقة البارقى. غير أننا لا يمكن أن نسلم بأن العصبيات القبلية والخصومات الفردية كانت وحدها في ميدان إثارة الهجاء بين الشعراء . فقد تحول الهجاء في هذه الفترة

---

٤٤. العقد الفريد ٢٨١/٥.
٤٥. الأغانى ٧١/٨.
٤٦. طبقات فحول الشعراء ٤٦٢/١.
٤٧. نفسه ٤٤٠/١ ، الأغانى ٣١٠/٨.

Dhaka University Institutional Repository

إلى لون من المنافسة الأدبية - فنقائض جرير والفرزدق لم تستمر بينهما يدافع العصبية وحب الشاعرين لقبيلتيهما ، و أنما حدث ذلك لأن هجاءهما تمول بمرور الوقت إلى مناظرات أدبية ، يحاول فيها الشاعر إبراز ثقافته التاريخية ، و إثبات مقدرته الأبدبية عن طريق تفجير طاقاته الإبداعية في سبيل النمل من خصمه ، والحط من مكانته ، لا لعداء حقيقى بينهما ، و إنما لإظهار نفسه في موقف المنتصر أمام جماهير الشعر أنذاك ، التي كانت تجد في نقائضهما و سيلة للتسلية ، و ملء الفراغ الذي كانت تشعر به نتيجة لهدأة حركة الفتوح ، و بسبب الترف الذي أصاب حياتها . و قد عرف العصر الأموي الهجاء بأغراضه المختلفة سواء كان قبليا ، أم شخصيا ، أم اجتماعيا ، أم سياسيا [٤٨].

و لعل أبرز ملامح الهجاء الدينى يتمثل في الجوانب التالية :

أولا : التعيير بالنصرانية ، والسخرية من طقوسها الدينية ، و معتقدات أفرادها ، و بما يستحلونه من محرمات إسلامية كشرب الخمر و أكل لحم الخنزير.

و قد كانت تلك أهم وسائل جرير في هجائه للاخطل ، و كانت مصدر تفوق له ، إذ لا يستطيع الأخطل النصراني أن ينقض ما يقوله جرير و يرد علمه من هذا الجانب ، لأن الإسلام هو دين الخليفة والدولة و دين الفالبية العظمى من أفراد المجتمع ، فهو لا يستطيع التعرض له ، و هذا ما اراده عمر بن عبد العزيز في إجابته لسليمان بن عبد الملك الذي سأله عن رأيه في جرير ولأخطل فقال : "إن الأخطل ضيق عليه كفره القول ، و إن جريرا وسع عليه إسلامه قوله" [٤٩].

و قد كان جرير يدرك ذلك جيدا . فهو يذكر في رواية عنه أن ما أعانه على الأخطل كبر سن الأخير و خبث دينه [٥٠].

فهو يعير الأخطل و قومه بالصليب - رمز النصرانية - و يتهمهم بعباد ته.

قائلا :

و أدعو الا له و تدعو الصليب و ادعو قريشا و أنصارها [٥١]

---

٤٨ الأغاني ، ج٨، ص٦٩.
٤٩ . المصدر نفسه ،ص٣٠٦.
٥٠ . الموشح ص ٢٠٩.
٥١ جرير ، الديوان، ج١،ص٢٦٤.

Dhaka University Institutional Repository

أفبا لصليب و مار سرجس تتقيى شهباء ذات مناكب جمهورا
نبئت تغلب يعبدون صليبهم بالرقتين إلى جنوب الماخر
يستنصرون بمار سرجس وابنه بعد الصليب و ما لهم من ناصر[٥٢]
ستعلم ما يفنى الصليب إذا غدت كتائب قيس كالمهنأة الجرب[٥٣]
فخرت يقيس وافتخرت بتغلب فسوف ترى أى الفريقين أربح
فاما النصارى العابدون صليبهم فخابوا و أما المسلمون فأفلحوا[٥٤]
ليس أبن عابدة الصليب بمنتهٍ حتى يذوق بكأس من هاجانى[٥٥]

فهو في الأبيات المذكورة يهجو الأخطل والتغلبين بعبادة الصليب، و مار سرجس ، و يصور الحرب الدائرة بين قيس و تغلب، و كأنها في حقيقتها ليست حرب عصبيات ، و إنما هي حرب دينية بين المسلمين والنصارى ، و كأنه يريد تحريض الرأي العام المسلم ضدهم .

كما يعيرهم بكفرهم ، واستمرارهم على نصرا نيتهم ، رغم إسلام أغلبية العرب، و يعمد إلي المقارنة بينهم و بين المسلمين ، فيقول :

قبح الإله وُجوه تَغلب، كلما شبح الحجيج و كبروا إهلالا
عبدوا الصليب و كذبوا بمحمد و بجبرائيل و كذبوا ميكائيلا[٥٦]
و ما رضيتم لأجساد تُحرقهم في النار إن حرقت أرواحهم سقر[٥٧]
رجس يكون إذا صلوا أذا نهم قرع النواقيس لا يدرون ما السور[٥٨]
تلقى الأخيطل في ركب مطارفهم برق العباء و ما حجوا و ما اعتمروا[٥٩]
ما كان رضى رسول الله دينهم والطبيان أبو بكر ولا عمر

---

٥٢ المصدر نفسه، ،ص٣١٢.
٥٣ المصدر نفسه ، ج٢، ص٦٣٤.
٥٤ المصدر نفسه ، ج٢، ص٨٣٨.
٥٥ المصدر نفسه ، ص١٠١٣.
٥٦ المصدر نفسه ، ج١،ص ٥٢.
٥٧ المصدر نفسه ، ج١، ص ١٥٣.
٥٨ المصدر نفسه ، ص ١٥٧.
٥٩ المصدر نفسه ، ،ص ١٥٨.

Dhaka University Institutional Repository

جاء الرسول بدين الحق فانتكثوا و هل يُضير رسول الله أن كفروا[٦٠]

ينام التغلبى و ما يصلى و يضحى غير مرتفع الوساد[٦١]

و ما قرأ المفصل تغلبى ولا مس الطهور ولا السواكا

و لا عرفوا مواقف يوم جمع ولا حوض السقاية والأراكا[٦٢]

(د) الزهد[٦٣]

على الرغم من أن العصر الأموي لم يكن في طابعه العام على صورة من المثالية والالتزام الدينى ، إذ عادت إلى الحياة العربية فيه بعض الظواهر التي قد لا تعطى صورة جيدة عن المجتمع الإسلامي آنذاك ، و تمثل ذلك في عودة العصبيات القبلية الممقوتة التي عمل الإسلام على إلغائها ، و في انغماس الناس في حياة اللهو التي انتشرت في بعض الأمصار الإسلامية تحت تأثير الترف الذي أصاب الحياة الاجتماعية حينذاك . إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور حركة مختلفة تتخذ من الزهد في الدنيا طابعا لها . تلك الحركة التي انتشرت في بعض الأمصار الإسلامية و بخاصة العراق . وأتفقت مع الدكتور شوقى ضيف فيما ذهب إليه من أن الحروف الداخلية التي عاشتها بيئة العراق طوال العصر الأموي ، كانت أحد العوامل التي ساعدت على انتشار موجة الزهد فيها.

يقول شوقى ضيف : "فإن بعض من خسروا هذه الحروب و لم يستطيعوا اقتناص الدنيا من أيدى الأمويين تحولوا إلى الزهد فيها ، و وضعوا أمانيهم في الآخرة و ما وعد الله به عباده المتقين. يضاف إلى ذلك انتشار اللهو والمجون في بعض الأمصار الإسلامية ، و إقبال الناس على مغريات الحضارة ، سادفع بعض الأفراد الملتزمين إلى اتخاذ الزهد سبيلا لحياتهم هربا من التأثر بهذا التيار الحضارى الجديد[٦٤] .

---

٦٠ المصدر نفسه ،ص١٥٩.

٦١ المصدر نفسه.

٦٢ المصدر نفسه، ج٢،ص٦٠٠.

٦٣ . الزهد لغة : "ضد الرغبة والحرص على الدنيا "لسان العرب مادة زهد . واصطلاحا : "الكف عن المعصية و عما زاد عن الحاجة ، و ترك ما يشغل عن الله دائرة المعارف الإسلامية ٤٥١/١٠.

٦٤ التطور والتجديد، ص ٥٩.

Dhaka University Institutional Repository

و قد كان هؤلاء الزهاد يفعلون ذلك استجابة لآيات القرآن الكريم التي تحث على عدم الانغماس في الحياة الدنيا ، و ترغب في الآخرة ، من مثل قوله تعالى: و ما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب و إن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون[٦٥] . و قوله تعالى "و ما الحياة الدنيا إلا لعب و لهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون"[٦٦]، و غير ذلك من الآيات القرآنية التي ليس هنا مجال لحصرها . كما أنهم كانوا يقتدون بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم و صحابته الذين كانوا مثالا يحتذى به ، في عفتهم و زهدهم في الدنيا و حطامها ، و إقبالهم على الآخرة ، فحياتهم كلها تقوى و زهد وعبادة . و قد ضرب رسول الهدى صلوات الله و سلامه عليه و ما تأخر اعترافا بفضل الله و شكرا له . كما أن في سيرة صحابته رضوان الله عليهم أجمعين صورا ناطقة تحكى تقشفهم و رفضهم للدنيا و زخرفها ، و توكلهم على الله ، و إقبالهم على الآخرة طمعا في نعيمه الذي أعده لعباده المتقين.

و يذكر الجاحظ في البيان والتبيين أسماء بعض هؤلاء الزهاد [١٧]، كما يذكر بعضا من مواعظهم "من مثل قول الحسن البصرى أشهر شخصياتهم في هذا العصر : يا ابن آدم ، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ، ولا تبع آخرتك بدنيا فتخسرهما جميعا ، يا ابن آدم ، إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه ، و إذا رأيتهم في الشرّفلا تغبطهم به . الثواء هاهنا قليل والبقاء هناك طويل . . . فالوحاء الوحاء ، والنجاء النجاء . . . [٦٨]، و قوله يا ابن آدم إن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس ها هنا شيء يفنيك ، و إن كان يفنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يفنيك [٦٩]، و قوله : "إن امرا ليس بينه و بين آدم إلا أب ميت لمعرق في الموت" [٧٠].

و قد انعكست هذه المواعظ التي يردد ها الحسن البصرى و غيره على الشعر الأموي ، فظهرت بعض الأشعار التي تتفق في مضامينها مع ما كان يدعو إليه الزهاد من الإعراض عن الحياة الدنيا ، والتذكير بالموت ، والمصير ، والترغيب في الآخرة . وباستثناء سابق البربري ، و هو أحد الشعراء المجهولين في العصر الأموي

---

٦٥. القرآن : الأنعام ،٣٢ ، .
٦٦. القرآن : العنكبوت، ٦٤ .
٦٧. البيان والتبيين ٣٦٣/١.
٦٨. نفسه ١٣٢/٣.
٦٩. نفسه ١٣٦/٣.
٧٠. نفسه ١٣٦/٣.

Dhaka University Institutional Repository

، والذي قصر معظم شعره على هذه الاتجاه الشعري ، حتى عده بعض الدارسين أستاذا لأبى العتاهية في فن الزهديات[٧١] ، و بالإضافة إلى ما جاء في شعر الخوارج ، فإن تيار الزهد لم يكن يمثل ظاهرة بارزة عند شعراء العصر الأموي الذين تناولوه في شعرهم .

فهذا وضاح اليمن يدعو نفسه إلى الكف عن الانغماس في الغزل ، والركض خلف النساء ، و يحذرها من الموت الذي ينال النفوس و يقطع آمالها ، و يطلب منها التقرب إلى الله بالصلاة ولأعمال الصالحة التي تنجيها في الآخرة ، بعد كل ما ارتكمته من زلل في الدنيا .

يقول وضاح اليمن :

مالك وضاح دائم الغـــــزل ألست تخشى تقارب الأجـــل

يا موت ما إن تزال معترضا لآمل دون منتهي الأمـــــــل

تنال كفاك كل مسهلـــــة و حوت بحر و معقل الوعل

صل لذي العرش و اتخذ قدما تنجيك بعد العـــــيار والزلل[٧٢]

و يدعو أعشى همدان إلى الزهد في الحياة التي لا تبقى للإنسان من خلال طرحه لصورة إنسان منعم سعيد ، عرته الحياة الدنيا فما لبث أن جاء الموت على غفلة ، فقادوه إلى قبره دون أن يتزود مما كان يجمعه في حياته إلا الحنوط ، والكفن ، واعواد تشب له . وما أقل ذلك زاد لإنسان ينطلق الآخر ته. وهو في ذلك الإنسان الغافل ليستيقظ من عقلته ، وانشغاله بالحياة الدنيا ، وتكالبه جمع المال فيها ، دون التغير بالموت ، وبما يصير إليه في الآخرة . وفي نهاية القصيدة يستغفر الشاعر ربه عن أعماله السابقة التي إن لم يغفرها الله له فهو هالك ، قائل[٧٣]:

وبينما المرء أمسى ناعما جذلا في أهله معجبا بالعيش ذا أنق

غرا أتيح له من حينه سعرض فما تلبث حتى مات كالصعق

استغفر الله أعمالي التي سلفت من عثرة إن يعاقبني بها أبق.

---

٧١ . ديوان أشعار الموالى ١٧٣/١.
٧٢ . عيون الأخبار ٣٧٤/٢.
٧٣ اعشي ، الديوان، ص ١٤٦.

Dhaka University Institutional Repository

ويقف مالك بن دينار أمام القبور متسائلا عن مصير الذين مضوا وانقطعت أخبارهم من عظيم أو حقير، داعيا الى الاعتبار بذلك ، فهو يقول[٧٤]:

وأين المدل بسلطانـــــه وأين المزكى إذا ما افتخر

فيا سائلى عن اناس مضوا أمالك فيما مضى مـــعتبر

ويتعجب عبد الله بن عروة بن الزبير من اناس ضلوا سبيل الهدى ، فأشغلتهم الحياة الدنيا بمغرياتها فنسوا العمل الآخرتهم ، استعجالا لحظهم من الدنيا فهم ضالون مضلون.

يقول عبد الله[٧٥] :

يبكون بالدين للدنيا وبهجتها ارباب دنيا عليها كلهم صـــادى

لا يهتدون ولا يهدون تابعهم ضل المقود وضل القائدة الهادى

ويصور الفرزدق المصير الذي ينتظره إن استمر في حياة الضلال ، يهجو الناس ويتبع هواه ، وكأنما هو يجهوز نفسه للحياة الآخرة ، وشغلها عن طلب الدنيا.

يقول الفرز دق[٧٦] :

إذا جاءني يوم القيامة قائد عنيفٌ و سواق يسوق الفرزدقا

أخاف وراء القبر إن لم يعافنى أشد من القبر التهابا وأضـــيقا

ومن الواضح التأثير القرآني في الأبيات السابقة . فالبيت الثاني استمد فيه الشاعر صورته الشعرية من قول تعالى "وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد"[٧٧] أما البيت الثاني فقد استقاه الشاعر من قوله تعالى "من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد"[٧٨].

وفي مقدمة قصيدته التي يمدح بها اسد بن عبد الله القسرى يدعو الفرزدق نفسه إلى التزود للآخرة بالأعمال الصالحة قبل أن تدركيها المنية ، حيث ستدرك في لحظة الموت جدوى ما تقدم من صالح الأعمال ، فيقول[٧٩] :

---

٧٤ ديوان أشعار الموالى ٣٥٦/٢.
٧٥ جمهرة نسب، قريش ٢٦٩/١.
٧٦ الديوان ٣٩/٢.
٧٧ القرآن : ق، ٢١.
٧٨ القرآن :ابراهيم، ٦١.
٧٩ الديوان، ج١،ص١٥٠.

Dhaka University Institutional Repository

تزود فما نـــــفس بعاملة لـــها إذا ما اتاها بالمنـــــــايا حـــــديدها

فيوشك نفس أن يـــــكون حياتها وان مسها موت طـــــــويلا خلودها

وسوف ترى النفس التي اكتدحتلها إذا النفس لم تنطق ومات ويريـــــدها

وينعي عروة بن أذينة على الإنسان إقباله المحموم على الدنيا ، فهو يرتاع إذا شاهد الجنائز غير أن روعته هذه لا تلبث أن تتلاشى ليعود من بعدها إلى حياة اللهوية ، فهو يقول[٨٠] :

نراعُ إذا الجنائز قابلتنا ويُحزنُنا بكاء البـــاكيات

كروعة ثلة لمغار ذئب فلما غاب عادتْ راتعات

وفي مقدمة قصيدته التي يخاطب بها الحارث بن سريج ، يدعو نصر بن سيار نفسه إلى الزهد في الدنيا والأهل ، ما داموا لا يدومون له إلا أياما معدودة يقطعها الأجل المحتوم ، ويحثها على الإكثار من الأعمال الصالحة والاجتهاد فيها سرا، فخير الأعمال سرّا كان خفيا. ثم يصور الحياة وتقباتها على الإنسان فهي حلوة حينا ، ومرةأحيانا ، ثم يدخل في صلب القصيد ة ، فيدعو نفسه إلى الجهاد ضد الكافرين ، وكأنه رأى في ذلك تحقيق أمله. يقول نصر بن سيار[٨١]:

دعْ عنك دنيا وأهلا انت تاركهم ما خير دنيا وأهل لا يـــدمونا

إلا بقية ايام إلـــــــــــى اجل فاطلب من الله اهلا لا يموتونا

اكثر تقى الله في الاسرار مجتهدا ان التقى خيره ما كان مـكنونا

واعلم بأنك باالاعمـــال ممرتهن فكن لذلك كثيرا لهم مـــحزونا

وفي قصيدة التي يمدح بها يزيد بن عبد الملك ، يتوقف نابغة بنى شيبان أمام الحياة مؤمنا، وواعظا. فهو يعلن إيمانه بالله ، ورضاءه بقضائه وقدره مهما يكن ، قائلا[٨٢]:

كل ما اختصنى به الله ربى ليس من قوتي ولا باحتيالي

وإذا ما ذكرت صرف المنايا كاد كار الحزين في الأطلال

كفنى الحلم والشيب وعقلي ونهي الله عن سبيل الضلال.

---

٨٠ الديوان، ص٣٠٩.
٨١ الطبري، ج٧،ص١٠٠.
٨٢ الديوان،ص٦٣.

Dhaka University Institutional Repository

(ه) الغزل

الغزل غرض شعري محبب إلى النفوس ، قريب منها ، لأنه يعبر عن عواطفها الذاتية تجاه الجنس الأخر ، والبدايات الشعرية لأغلب الشعراء كثيرا ما تنطلق من هذا الغرض . والرصيد الشعري العربي في الغزل و فير . فهو يمثل جزأ من التراث الذي أبدعه شعراء العصر الجاهلي . و إن كان الغزل عندهم لم يكن - في معظمه - غرضا مقصودا بحد ذاته في قصائدهم ، و إنا كان يجئ ضمن أغراض أخرى . فهو لا يعدو أن يكون مطلعا للقصائد ، او ان يتخلل ابياتها . و قليل من النصوص التي كان موضوعها الغزل وحده .

و غزل الجاهليين كان يقوم على التجزيد الحسى للمراة بتصوير مغاتنها و وصف، مغامرات الشاعر للوصول إليها . و قد ينحدر فيه الشاعر إلى درجة بد نية من الفحش في تصويره لعلاقاته بالمرأة ، و هو ما يلمسه الباحث في غزل امرى القيس والاعشى على سبيل المثال .

و قد سار الغزل الأموي في اتجاهين ورئيسين هما :

أولا : الغزل العذري :

ينسب هذا اللون من الغزل إلى بنى عذرة . و هي قبيلة كانت تسكن شمالي الحجاز في وادي القرى ، فقد كثر فيها ذلك حتى اشتهرت به .

فيرون أن رجلا سئل : ممن أنت ؟ فأجاب بقوله : من قوم إذا أحبوا ماتوا . فقالت جارية سمعته : ‘ذرى ، ورب الكعبة .[٨٣]

غير أنه لم يكن محصورا فيهم فقد شاع أيضا في بوادي نجد .

والغزل العذري غزل عفيف نقى طاهر - يعتني فيه الشاعر بتصوير خلجات وجدانه ، كالتعبير عن شعور ، بالألم والشكوى إزاء ما يعانيه من الحرمان في حبه ، و يسكب - عبرأبياته - دموعه مدرارا في انتظار لحظة يسعد بها قلمه بروية محبوته ، و كل ذلك يتم بعيدا عن الحسية التي كانت سائدة في الغزل الجاهلي .

---

[٨٣] . الشعر والشعزاء ، ج١،ص ٤٤١.

Dhaka University Institutional Repository

والشاعر العذري يقتصر على امرأة واحدة ينحها نبضات قلبه ، و عصارة وجدانه ، دون أن يتعداها إلى سواها .

فكان كل شاعر من العذريين يرتبط اسمه بفتاته . فهناك قيس ولبنى ، و قيس وليلى ، و جميل و بثينة ، و كثير و عزة .

دور الإسلام في نشأة الغزل العذري

لقد كان البحث عن تفسير لنشأة هذه الظاهرة الشعرية في العصر الأموي موضع اهتمام لدى الدارسين لهذا اللون من الغزل العفيف . و قد طرحوا عدة تفسيرات لها استقوها من قراءتهم لهذا الشعر ، و من قيمهم لأوضاع العصر السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية . و جدير بنا أن نقف أمام هذه التفسيرات المختلفة في محاولة للوصول إلى تفسير اكثر قبولا وإقناعا .

أولا : تفسير مقارن

يرى الأستاذ لوى ماسينيون أن الحب العذري مقتبس من الحب الأفلاطوني عند اليونان و مشتق منه .[٨٤]

و هذا التفسير لا يمكن القبول به إطلاقا لمناقضته للواقع التاريخي . فالحب، أو الغزل العذري نشأ في أواسط القرن الأول الهجري ، و هي فترة لم يكن فيها العرب قد اتصلوا بعلوم اليونان و منها الفلسفة، التي يرى ما سينيون أن الحق العذري مقتبس عنها - و ما دام الأمر كذلك فكيف يمكن لهم أن يتأثروا بها ؟

و يرى الدكتور احمد الجواري أنه لو فرضنا أنهم عرفوا شيئا من ذلك في ذلك العصر - و هذا فرض لا يجوز من الوجهة التاريخية - لكان من ظهور هذا الحب في البادية و نشأته فيها ما يجعلنا نستبعد مثل هذا الراى ذلك لأن البادية يبعد أن تتأثر بالحياة العقلية التي تسود في الحواضر ، ولا يتأتى لها أن تتابعها في مضمار العلم والمعرفة بسهولة و يسر .[٨٥]

---

٨٤. أحمد الجوارى ،الحب العذرى ، ص ٤٥.
٨٥. نفسه، ص ٤٥.

Dhaka University Institutional Repository

ثانيا : تفسير سياسي واقتصادي

يقدم الدكتور طه حسين هذا التفسير في كتابه "حديث الأربعاء" و يستنبط في "ان بلاد العرب - بعد أن تم الفتح للمسلمين - بعد أن جاهدت في الاحتفاظ بالسلطان السياسي أخفقت في الجهاد . إخفاقا شيعا ، وانتقل مركز الحكم منها إلى الشام ، كما انتقل مركز المعارضة منها إلى العراق انصرفت أو كادت أن تنصرف عن الاشتراك في الحياة العامة ، وفرغت للحياة الخاصة ، فانكبت على نفسها أحست شيئا من اليأس والحزن غير قليل ، فهي كانت مهد الإسلام و مصدر قوته ، و منها انبعثت الجيوش الفائحة التي اخضعت الأرض ، أزالت الدول ، و فيها نشأت الخلافة و منها امتد سلطان الخلافة على الأرض ، ثم هي ترى نفسها جردت من كل شئ فانتقلت عاصمة الخلافة إلى الشام وانتقل جهاد الأحزاب السياسية إلى العراق و أساليبه الخلفاء الشام ظنهم ببلاد العرب فعاملوها قاسية وأخذوها بألوان من الحكم لا تخلو من العنف . . . .[٨٦]

و يشير بعد ذلك إلي ما تمتع به أهل المدينة و مكة في ذلك الوقت من شراء كان دافعا لهم - بالإضافة إلى ما أحسوا به من اليأس - إلى اللهو والغناء مما كان سببا في نشأة الغزل الصريح ، و يذكر أن أهل البادية جمعوا بين اليأس والفقر و منهما نشأت الحركة العذرية فيقول ، كان أهل مكة والمدينة يائسين ، و لكنهم كانوا أغنياء ، فلهوا كما يلهوا كل يائس ، و كان أهل البادية الحجازية يائسين ، و لكنهم كانوا فقراء فلم يتح لهم اللهو ، و قد حيل بينهم و بين حياتهم الجاهلية ، و قد تأثروا بالإسلام و بالقرآن خاصة ، فنشأ في نفوسهم شئ من التقوى ليس بالحضري الخالص ، ليس بالهدى الخالص و لكن فيه سذاجة و فيه رقة إسلامية . وانحرف هؤلاء الناس عن حربهم وأسباب لهوهم الجاهلي ، كما انصرفوا عن الحياة العملية في الإسلام إلى أنفسهم فانكبوا عليها واستخلصوا منها نغمة لا تخلو من حزن و لكنها نغمة زهد و تصوف . . . . .[٨٧]

---

٨٦. حديث الأربعاء، ج١ ، ص ١٨٨.
٨٧. نفسه ،ج١،ص، ١٩٠.

Dhaka University Institutional Repository

ثالثا : تفسير ديني

يطرح الدكتور شكري فيصل هذا التفسير في دراسته عن "تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام" فيرى أن الغزل العذري "تعبير عن وضع طائفة من المسلمين كانت تذهب مذهب التقوى ، و تؤثر السلامة والعافية ، على المقامرة والمخاطرة ، و ترى أن النفس أمارة بالسوء "إن النفس لأمارة بالسوء" و إن النار قد حفت بالشهوات على حد تعبير الحديث الشريف وانه من الخير لها أن تصبر.... " .[٨٨]

و هذا التفسير هو الذي ذهب إليه معظم الباحثين في هذا الموضوع ، فالدكتور محمد غنيمى هلال يعتقد أن العذرية "وليد مجتمع إسلامي عربي تمكنت منه العقيدة ، و هيمن عليه سلطان الخلق ، و سرت فيه روح الزهد فاستمد الحب فيه أصوله من الدين و مثله" .[٨٩]

و يؤكد د. شوقي ضيف ذلك حين يقول : "ولا شك في أن تفسيرها يرجع إلى الإسلام الذي طهر النفوس و برأها من كل إثم . و كانت نفوسا ساذجة لم تعرف الحياة المتحضرة في مكة والمدينة ولا ما يطوى فيها من لهو وعبث ومن تحلل أحيانا من قوانين الخلق الفاضل . . . [٩٠]

رابعا : تفسير اجتماعي

يرى د. عبد القادر القط إن "من يتتبع قصص هؤلاء الشعراء - يعنى العذريين - و أحوالهم يدرك أن فشلهم لا يعود إلى أسباب دينية بقدر ما يرجع إلى عوامل ترتبط بتقاليد المجتمع العربي و قيمه حينذاك فيما يتصل بعلاقة الرجل والمرأة .[٩١]

و بعد ان يتوقف أمام بعض هذه القصص التي ترويها المصادر القديمة يكمل قائلا" . . نحن إذن أمام مجتمع شديد المحافظة تتحجب فيه المرأة عن الرجل و تلقى على وجهها برقعا إذا لقيت رجلا من غير أهلها" و كنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت" ، و يضطر فيه المحبون إلى أن يظهروا غير ما يبطنون و بيدو البغضاء لمن يحبون حتى يجنبوا أنفسهم عداء الأهل والناس" كلانا مظهر

---

٨٨. تطور الغزل، ص ٢٨٠.
٨٩. الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية . ص ٤٢ .
٩٠. د.شوقى ضيف ،العصر الإسلامي ج ٢ ، ص٣٥٩.
٩١. في الشعر الإسلامي والأموي ،ص ٨٢.

Dhaka University Institutional Repository

للناس مفضا ، و كل عند صاحبه مكية" و هو مجتمع تجرى حياة المحبين فيه على تقاليد خاصة مرعية ، فما ينبغى لمن يحب أن يذيع أمره بين الناس ولا أن يقول شعرا في صاحبته يشيع بينهم ، و إلا كان قد ألحق العاربصا حبتة وأهلها و قبيلتها جميعا ، و حق عليه ان يحرم منها إلى الأبد و إن يستباح دمه إذا هو تعرض لها بعد ذلك" .[٩٢]

و يستشهد لتأكيد تفسيره بما يطالعه القارئ في أشعارهم من حديث عن الرقباء والواشين المؤكلين بتعقب هؤلاء المحبين .

و الدكتور القط يحاول هنا تفسير الغشل الذي يعانى منه العذريين ، و ليس تفسير ظاهرة الغزل العذري عامة . و فرق بين الاثنين . فقد تكون التقاليد الاجتماعية- التي أشار إليها- سببا فيما يشعر به الشعراء من الاحتياط والحرمان ، إلا أنها ليست هي التي دفعتهم إلى الأسلوب العفيف في التعبير عن عواطفهم تجاه المرأة ، وابتعادهم عن الحسية التي كانت طابع الغزل الجاهلي . فهذه التقاليد - إن لم نقل أنها وجدت في ظل الإسلام - فإنها لم تستطع في الجاهلية أن توجد ظاهرة عذرية مثل هذه التي وجدت في منتصف القرن الأول الهجري . هذا مع عدم اتفاق مع د. القط في استفادته من القصص التي تدور حول العذريين في تفسيره . حيث تدور حولها كثير من الشكوك التي تجعلها عديمة النفع .[٩٣]

خامسا : تفسير حضاري

و هو تفسير آخر للدكتور عبد القادر القط الذي يرى "أن من يتامل الشعر العذري يجد كثيرا من وجوه الشبه بينه و بين شعر الحركة الرومانسية الأوربية والشعر الرومانسي العربي الحديث فهناك تلك المواطن الحادة ، والأحاسيس المرهفة ، والذاتية والاستبطان الميل إلى الحزن والاستساك بمثل عليا في الأخلاق ، و بخاصة ما يتصل منه بالحرية والحق والعدل كما أن كثيرا من السمات الغنية المشتركة تجمع بين هذه الحركات الثلاث على اختلاف في الطبيعة والدرجة" .[٩٤]

---

٩٢. نفسه ص ٨٤.
٩٣. حديث الأربعاء ، ج١،ص ١٧٦.
٩٤. الشعر الإسلامي والأموي ص ١٠٤.

Dhaka University Institutional Repository

و بعد أن يتطرق للظروف التي نشأت في ظلالها الحركتان : الرومانسية الأوربية ، والعربية . حيث حدثنا بعد انقلابين حضاريين هما الثورة الصناعية في أوربا ، والنهضة العربية . اللتان غيرتا كثيرا من المفاهيم الاجتماعية ، و أقامتا فيما خلقية جديدة انعكست بدورها على الشعراء ، يرى الدكتور "أن هذا التفسير الجسيم الذي أحدثته الثورة الصناعية في أوربا أو النهضة الحضارية في الوطن العربي ، لا يمكن أن يقاس إلى ما أحدثه الإسلام من انقلاب هائل مفاجئ في حياة العرب . ولعلنا نستطيع أن ندرك جسامة هذا الانقلاب إن تخيلناه في صورته الحية خارج إطار التاريخ السجل الذي لم يكن يضم - في الأغلب - إلا الأحداث والوقائع التاريخية الكبرى . و لنا أن نتصور الإنسان العربي الذي عاش حياته التقليدية في الجزيرة العربية متصلا بأسباب قوية أو ضعيفة بما جاورها من بلاد ، و قد وجد نفسه فجأة محاربا في سبيل عقيدة دينية جديدة غيرت كثيرا من قيمة الروحية والخلقية والاجتماعية ، ثم خائضا في إحداث سياسية و فتن و "حروب أهلية" حول نظام الحكم والاقتصاد والمصبيات القبلية القديمة ، ثم مهاجرا و مستقرا في تلك الأقطار التي دفعته إليها الفتوح الإسلامية و مواجها لأنماط من المعيشة والسلوك المضارى والتراث الفكري غير تلك الأنماط التي ألفها في موطنه القديم . لنا أن نتصور هذا الإنسان و قد واجه ذلك الانقلاب المفاجئ الشامل في حياته ، فندرك إلى أي مدى كان يعيش في أزمة نفسية عنيفة متذبذبا بين القديم والجديد ، مقبلا حينا على ترف . الحضارة واستقرارها و مشدودا حينا إلى ذلك التراث النفسي المترسب في أعماق وجدانه و إلى تلك القيم الأخلاقية والاجتماعية التي أصبحت من صميم كيانه.

أثر الإسلام في الغزل العذري

كان الغزل العذري - كما تبين - نتاج تأثير الإسلام على النفس العربية الشاعرة العاشقة . التي تقبلت ما جاء به هذا الدين من تعاليم و قيم فظهر ذلك على غزلها و لهذا جاء عفيفا ، ملتزما ، يعبر عن عواطفها أفضل تعبير ، بعيدا عن الحسية التي كانت تسود شعر الغزل قبل الإسلام . و ما دام الغزل العذري وليدا إسلاميا . عرفه المجتمع العربي بعد ظهور الإسلام . فقد كان طبيعيا أن يستلهم الشعراء قيم الإسلام و تعاليمه من واقع نشأتهم : ولهذا ضمنوا قصائدهم المعاني الدينية التي جاء بها هذا الدين ، والتي ظهرت في جميع الأغراض الشعرية ، و أصبحت علامة بارزة ،

Dhaka University Institutional Repository

و ظاهرة نلمسها عند شعراء العصر الأموي على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم . و أول ما يلمسه الدارس في غزل العذريين هو فكرة القضاء والقدر، و هي أصل من أصول الإيمان رددها العذريون ، ولعلهم وجدوا فيها شيئا من العزاء الروحي لهم في مقابل ما يلاقونه من الحب وآلامه .

فهذا قيس بن ذريح يبكى لبنى بعد طلاقه إياها ، و يقرر بأن ذلك ليس إلا قضاء الله فلا بد من نفاذ ، و على النخع لحكمة خالقها ، قائلا :

تُبكي على لبنى و أنت تركتها و كنت كآتٍ غيُه و هو طانعُ
فلا تبكين في إثر شيء ندامة إذا نزعته من يديك النوازعُ
فليس لأمر حاول الله جمعه مشت ولا ما فرق الله جامعُ [٩٥]

و أيضاً قال :

وآبي الله أن يلقى الرشاد مُتمّمٌ ألا كل أمر حمّ لا بدّ واقعُ [٩٦]

و هذه النغمة المؤمنة نجدها عند قيس بن الملوح الذي يؤكد رضاء بمشيئة الله على الرغم من إقباله على الهلاك بسبب معاناته في الحب قائلا :

أمنْ أجل هذا الحب صرت كما أرى ؟ فقلت نعم والحب مر المذائق
سأفضى إلى سبل الهلاك و إنني لمحتسب راض مشيئة خالقى [٩٧]

والحب " ذاته " كما يرى جميل بن معمر قضاء الله ، و هو بذلك يرد على منْ يلومه على انغماسه في الحب رغم عجزه عن تحقيق أمانيه . يقول جميل[٩٨] :

لقد لا منى فيها أخٌ ذو قرابة حبيب إليه في نصيحته رُشديٌ
فقال أفق حتى متى أنت هائم بثينة فيها لا تعيد لا تبدى
فقلت له فيها قضى الله ما ترى على وهل فيما قضى الله من ردِ
فإن يك رشدا حبها أو غواية فقد جئته ما كان منى على عمدِ

---

٩٥. قيس ولبنى شعر ودراسة ، ص١٠٣.
٩٦. نفسه، ص ١٠٧.
٩٧. الديوان، ص ٢١١.
٩٨. جميل بثينة ،الديوان ، ص ٧٤.

Dhaka University Institutional Repository

ثانيا : الغزل الصريح

يعتمد الغزل الصريح على تصوير علاقة الرجل بالمرأة تحويرا يغلب عليه طابع الحسية ، حيث يتحدث شعراؤه عن ركضهم خلف النساء بحثا عن المتعة الوقتية ، فهم يتغزلون بالنساء المتزوجات والحاجات ، والزائرات - و أحيانا الإماء - و هم لا يكتفون بامرأة واحدة يمنحونها عواطفهم - كما يفعل العذريون - و إنما يتنقلون بين أكثر من امرأة بحثا عن تجربة جديدة .

و قد يعجب الدارس من انتشار هذا اللون الغزلي في الحجاز ، على الرغم مما يمثله من مكانة دينية ، ففيه مهبط الوحي و مبعث الرسالة ، والواقع أن المرحلة الحضارية التي عاشها الحجاز في العصر الأموي كانت هي السبب في ذلك ، حيث غلب على الحياة الاجتماعية طابع الترف الذي أوجدته الثروات الطائلة التي تمتعت بها الأجيال الحديدية من الشباب الحجازي ، والتي جاءتهم عبر قنوات مختلفة ، إما مما خلفه لهم آباؤهم ، او من عطايا الدولة الأموية التي كانت تجد في إغداق الأموال عليهم وسيلة لإلهائهم عن التوجه السياسي الذي قد يدفعهم للتفكير بالخروج عليها كما فعل عبد الله بن الزبير . و تحت وطأة الفراغ الذي خلقه هذا الثراء في حياة هذه الأجيال الحديدية ، مما أنه لم يكن لها من قوة الإيمان والعزيمة ما كان لآبائها ، فقد بحثت عن كل وسيلة تخفق لها المتعة التي تقضى بها على ما تحسه من فراغ ، فمالت إلى اللهو دار الفناء ، و مطاردة النساء . فجاء الغزل الصريح تعبيرا عن نفسيتهما اللاهية . حيث وصف شعراؤها كل ما في هذه الحياة من ترف ولهو وغناء . ساعدهم على ذلك عدم اهتمام السلطة الأموية بتتبع الغزلين كما كان يفعل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - إذ انشغلت بما هو أهم بالنسبة إليها و هو تعقب معارضتها ، حيث لا يهمها هذا الشباب اللاهي ما دام بعيدا عن المساس بنظام حكيمها ، ولا يستثنى من ذلك إلا ما يروى عن عمر بن عبد العزيز حينا نفى الأحوص إلى قرية من قرى اليمن . [٩٩] و هو أمر يعود إلى شخصية عمر المتفردة بين الأمويين بالتزامها الديني . [١٠٠]

---

[٩٩] . الأغانى، ج٩،ص ٦٤.
[١٠٠] . محمد علي ،الأحوص بن محمد الأنصارى حياته، ص ١٦٨ .

Dhaka University Institutional Repository

و مما لا شك فيه أن موجة الغناء التي انتشرت في المدن الحجازية في ظل واقع الترف الذي تعيشه ، والذي ساهمت فيها العناصر الأجنبية بدور فعال بحثا عن كمانة لها في هذا المجتمع ، ساهمت بدور كبير في شيوع الغزل وانتشاره ، لكونه الموضوع الأول المحبب عند المغنين فليس من الطبيعي أن يتقنوا بالمديح أو الفخر أو الهجاء في جويسوده المرح ، و بين أناس يبحثون عن المتعة . و هو أمر نشاهده في مواقعنا المعاصر ، فالغزل و ما فيه من حديث عن أوصاف المرأة هو الموضوع السائد في الغناء ، أما القصائد الدينية أو الوطنية أو الصوفية فهي تمثل نسبة ضئيلة جدا ، و لما كان الشعر الغزلي الذي خلفه العصر الجاهلي أقل من حاجة المغنين ، و جزء كبير منه كانوا يعنون فيه "بمكان الديار ووصف أثر ارتحال المرآة مع قومها"[١٠١] و هو مالا يستقيم مع طبيعة أهل المدن المستقرين ، و لما كان المغنى دائما بحاجة إلى التجديد في أغنمه بين فترة و فترة ، فقد كان ذلك يستوجب أن يجد بين يديه شرا جديدا يغنيه ، و هذا ما كان يحققه له الشعراء الغزلين من أمثال عمر بن أبى ربيعة ، والأحوص ، والعرجى ، و هذا ما يمكن إن تؤكده تلك العلاقة الوطيدة التي كانت تربط بين المغنين والشعراء كما أنه يفسر تلك السهولة التي اتسمت بها أبيات الغزل الجديد[١٠٢] .

و لعل سمى الغزل الصريح الذي يطلق على هذا اللون الشعري يجعل السامع يعتقد بأنه مفرق في الحسبة والتي تتنافى كليا مع تعاليم الإسلام وقيمه التي تدعو إلى العفة ، و تجعله يقف على حد المساواة مع ذلك الغزل الفاحش الذي نجده عند شعراء الجاهلية ، و هذا ما لا يمت إلى الحقيقة بصلة . فهذا الغزل و إن كان في غالبه غير ملتزم فإن الدارس لدواوين شعرائه كعمر بن أبى ربيعة ، والأحوص - على سبيل المثال - لا يعدم أن يجد بعض القصائد الشعرية التي تنم عن روح عذرية تضاهي ما قاله العذريون أنفسهم . كما ترددت في قصائد هم بعض العناصر الدينية التي لا تختلف عما لسناء لدى شعراء المدرسة العذرية ، بل إنها تتطابق معها كثيرا .

---

١٠١. الشعر والغناء في المدينة ، ص ٨١.
١٠٢. الأغاني، ج١،ص ٢٥٨.

Dhaka University Institutional Repository

فلم يكن الإسلام بعيدا عن نفوسهم ، بل تأثروا به بحكم انتمائهم الديني إليه ، يفضل نشأتهم في بيئة إسلامية ، و إدراكهم لمفاهيم الإسلام و تعاليمه . فقد عبروا عن إيمانهم بقضاء الله و قدره باعتباره أصلا من أصول الإيمان التي يلزم المسلم اعتناقها في حياته .

فعمر بن أبى ربيعه يعلن خضوعه للحب لإيمانه بأنه قضاء من الله و قدر ، و يتقبله بنفس راضية رغم كل ما يعانيه في سبيل ذلك ، يقول عمر[١٠٣] :

قضى منشر الموتى علىّ قضية بحبك لم أمْلِكْ و لم آتها عمداً

فليس لقرب بعد قربك لذةٌ و لست أرى نأياً سوى نأيكم بعداً

و يقول من قصيدة أخرى معبرا عن نفس المضمون السابق[١٠٤] :

ما كنت أحسب أن حباً قاتلى حتى بُليتُ بما بَرى جسمي

أورثتني داء أخامره أساءُ بزّ اللحم عن عَظْمى

لو كنتِ أنتِ قسمتِ ذاك له مُنِىَّ عليه لجزت في القسم

لكن ربى كان قدرهُ فقضاءُ ربّى أفضلُ الحكم

و يعبر العرجى في إحدى قصائده عن إيمانه بقضاء الله وقدره الذي ساقه إلى المرأة التي أحبها دون أن يملك في ذلك شيئا ، فيقول[١٠٥] :

لم يقاربْ جمالها حُسنَ شئ غير شمس الضُحى عليها النهارُ

فلو أني خشيت أو خفت قتلا غير أن ليس تُدْفعُ الإقدار

(و) الفخر

الفخر كما عرفه أحد النقاد القدامى "هو المدح نفسه" إلا أن الشاعر يخص به نفسه و قومه[١٠٦] . و على الرغم مما فيه من التباهي والغرور السقوط ، فإنه مقبول في الشعر كما يذكر ابن رشيق حين يقول "ليس لأحد من الناس أن يطرى نفسه و يمدحها ، في غير مفاخرة ، إلا أن يكون شاعرا ، فإن ذلك جائز له في الشعر ، غير

---

١٠٣ عمر بن ابي ربيعة ،الديوان ، ص ٣١٧.
١٠٤ المصدر نفسه ، ص ٢٥٥.
١٠٥ العرجي ، الديوان ، ص ٥٩.
١٠٦ . العمدة ١٤٣/٢.

Dhaka University Institutional Repository

معيب عليه [١٠٧]. و يحاول أحد الدارسين المحدثين تفسير ذلك بقوله "إن القارئ للشعر يتعاطف مع الشاعر و يشاركه مشاعره حين تغنى بالمثل العليا، فيكون قد عبر عن خواطر أمنيات القاري" [١٠٨]. و يرتبط الفخر ارتباطا شديدا بالهجاء ، فهما يمثلان محور شعر العصبيات القبلية . فكما يهجو الشاعر القبائل الأخرى ، ويحاول الغض من مكانتها ، يندفع في مدح قبيلته إظهار ما هي عليه من مكانة و إبراز ما لديها من قدرات حربية و فضائل إنسانية . و قد كان الفخر الجاهلي - كما تعبر عنه النصوص الشعرية القديمة - يعتمد على التغنى بالفضائل الخلقية التي يمتلكها الشاعر أو قبيلته ، والتي كانت محل اعتزاز الفرد في الجاهلية ، و كانت تدور حول الشجاعة ، والكرم والنخوة ، و حسن الجوار ، وإطعام الفقراء - إلى جانب الافتخار بالنسب، و يذكر الوقائع والأيام الطائرة التي خاضتها القبيلة و كانت مل اعتزازها ، مما جعل الفخر سجلا حافلا للقبائل العربية قبل الإسلام .

و هذا النمط من الفخر استمر عند شعراء صدر الإسلام ، حيث استندوا عليه في مفاخرتهم للمشركين . و هو أمر يفرضه الواقع الشخصي والتاريخي للشعراء ، فهم ممن اكتملت مواهبهم الشعرية في العصر الجاهلي ، و كان النموذج الجاهلي يحكم تجربتهم الشعرية لتعودهم عليه . كما أنهم كانوا يفاخرون بشعرهم المشركين ، و ليس طبيعيا أن يفاخروهم بمفاهيم الإسلام و هم لم يؤمنوا به ، و إنما بما هو مفهوم لديهم . و يستثنى من ذلك بعض الأبيات الشعرية التي تتناثر هنا و هناك و خاصة في شعر الفتوح الإسلامية ، والتي تنم عن روح إسلامية صرفا [١٠٩].

و قد شهد العصر الأموي عودة العصبيات القبلية ، والتي انطلقت شرارتها الأولى بعد الفتنة التي انتهت بمقتل عثمان ، و ما تلا ذلك من أحداث و معارك انتهت بقيام الدولة الأموية . و قد حرص الأمويون على عود العصبيات القبلية فحرضوا بين القبائل ، و استخدموا في ذلك شتى الوسائل والطرق ، و عملوا جاهدين على زورع بذور الفتنة والشقاق فيما بينها ، و لهذا قربوا بعض القبائل

---

١٠٧. نفسه ٢٥/١.
١٠٨. الشعر الجاهلي خصائصه و فنونه ص ٣٠١.
١٠٩. الفتوح الإسلامية ، ص ٢٥٠ ، ٢٦٧

Dhaka University Institutional Repository

وأغدقوا لها العطاء ، وأبعدوا أخرى و حرموها منه . و قد ساعد ذلك على عودة شعر العصبيات بما يمثله من فخر و هجاء .

و قد كان الفخر في هذه الفترة لا يختلف كثيرا عن نظيره في العصر الجاهلي ، لأن المحرك الأساسي له هو العصبية القبلية التي عمل الإسلام على الغائها . فقد اعتمد الشعراء على ذكر الوقائع والأيام التي كانت لقبائلهم في الجاهلية ، أو التي حدثت في الإسلام و كان يحركها التعصب القبلي . إلى جانب إشادتهم بالفضائل الخلقية التي كانوا متمسكين بها ، والتي ظلت لها قيمتها الملموسة في ظل الإسلام كالكرم ، و الشجاعة ، والنخوة و ما إليها .

غير أن هذا لا يعنى أبدا أن الفخر الأموي كان جاهليا خالصا . فقد ظهرت عليه بعض الملامح الجديدة التي ترجع إلى تأثير الإسلام شعرائه، و التي يمكن أن نسميها بالفخر الديني . وقد كان هذا اللون من الفخر يتحرك في القصيدة الأموية عبر اتجاهات ثلاثة هي :

١- الفخر بالإسلام والانتماء إليه . وهو اتجاه نادر ، وهذا يرجع إلى كون العصبية القبيلة التي يحاربها الإسلام كانت هي المحرك الأساسي لشعر .

وتمثل هذا اتجاه في تلك الأبيات التي تنسب إلى عيسى بن فاتك الخطي وإلى نهارك بن توسعة وهي إلى روح الخوارج أقرب ، ويعبر فيها شعرها عن رفضه لكل انتهاء غير انتهائه العقدي إلى الإسلام الذي هو مصدر في الفاضلة بين الناس ، لأن التقوى هي المعيار الوحيد للتفاضل:

يقول الشاعر[١١٠]:

أبى الإسلام لا أب لـــــى سواه إذا فخروا ببكر أو تـــميـــم

كلا الحيين ينصر مـــــدعيه ليلحقه بذي الحسب الصميـــم

وما حسب ولو كرمت عـــروق ولكن التقى هـــو الكـــريم

وهذا المعنى الجديد في الفخر نسلمه عند عمران بن حطان ، الذي يؤكد على انتمائه الإسلامي فيقول[١١١] :

فنحن بنو الإسلام والله ربـــنا وأولى عباد الله بالله مـــن شكر

---

[١١٠] شعر الخوارج ، ص ٧٢.
[١١١] الصدر نفسه.

Dhaka University Institutional Repository

وقد يعمد الشاعر إلى الفخر بالشاعر الدينية الإسلامية ، إذا كان فخره موجها إلى غير المسلمين. وهذا ما فعله جرير في مفاخرته للأخطل النصرانى ، فهو يظهر اعتزازه بأداء الصلاة ، وبالأذان ، وبالمساجد وهي عناصر دينية ترتبط بالإسلام ووجدت معه. يقول جرير[١١٢]:

الله فضلنا وأخرى تـــــغلبـــــــا لن تستطيع لما قضى تغيـــــيرا

فينا المساجد والإمام ولا تـــــــرى في آل تغلب مسجدا معمـــــورا

ويقول أيضا[١١٣] :

أن الذي حرم المكارم تغلبـــــا جعل النبوة والخلافة فيـــــــنا

هل تملكون من المشاعر مشعرا أو تشهدون مع الأذان أذينـــــا

بل ويفخر عليه بالمصير الذي سيؤول إليه يوم القيامة ، فجرير وقومه يغلضلون تغلب، النصرانية يومئذ.

يقول جرير[١١٤]:

لنا الفضل في الدنيا وأنفك راغم ونحن لكم يوم القيامة أفضـــــــل

٢- عمد الشعراء إلى تاريخ قبائلهم في ظل الإسلام ليستلهموا منه موقفا تاريخا ، أو دورا هاما قامت به القبيلة ، أو قام به أحد أفرادها في خدمة هذا الدين ، وذلك لكي يجعلوا منه مدار فخرهم.

فالفرز دق يفخر بالدور الهام الذي قام به اياس بن قتادة السعدي وعبد الله بن حكيم الجاشعى ، في إخماد الفتنة التي حدثه في البصرة سنة ٦٤ هـ مما سهم في حقن دما ء المسلمين ، فهو يقول[١١٥]:

حقنا دماء المسلمين فأصبحت لنا نعمة يثنى بها فـــــــــي المواسم

عشية أعطتنا عمان أمورها وقد معد عنوة بالـــــــــــــخزائم

ومنا الذين أعطى يديه رهينة لغارى معد يوم ضرب الجماجـــــــم

عشية سال المربدان كلاهما عجاجة موت بالسيوف الصـــــــوارم

---

١١٢ جرير ،الديوان ، ج١،ص ٢٢٩.
١١٣ المصدر نفسه ، ص٣٨٧.
١١٤ المصدر نفسه ، ص١٤٣.
١١٥ الفرزدق ، الديوان ،ج٢،ص٣١٨.

Dhaka University Institutional Repository

ويفخر في القصيدة ذاتها بما قام به الأقرع بن حابس عند ما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحاب الحجرات ، وهم من بنى عمرو بن جندب ابن العنبر بن عمرو بن تميم . فقال له[١١٦] : يا رسول الله أردد سباياس قومي وأنا أحمل الأقرع الدماء عن قومه. يقول الفرز دق[١١٧]:

وعند رسول الله قام ابن حابس　　بخطة سوار إلى المجد حـــازم

له أطلق الأسرى التي في حباله　　مغلغلة أعناقها فـــي الأداهـــم

كفي أمهات الخائفين عـــليهم　　علاء المغادى أو سهام المساهم

ويلح الفرز دق على ذلك فيقول من قصيدة أخرى[١١٨] :

ومنا أعطى الرسول عطـــــية　　إساري تميم والعيون دوامـــــع

وافتخر الأحوص يده عاصم بن ثابت الذي حمت الدبر يوم الرجيع بعد استشهاده ، كما افتخر بخاله حنظلة أبى عامر غسيل الملائكة يوم أحد ، قائلا :

فخرت وانتمت فقلت ذريتـــي　　ليس جهل اتيته ببديـــــع

فأنا ابن الذي حمت لحمه الدبـر　　فتيل اللحيان يوم الرجـــيع

غسلت خالى الملائكة الأبـــرار　　ميتا طوبى له من صريـــع[١١٩].

ويفتخر جرير بما قام به الخوارج – ومعظميهم من تميم – عند ما استجابوا لاستجارة عبد الله بن الزبير لما حصره أهل الشام في مكة فد افعوا معه عن المسجد الحرام ، فيقول[١٢٠] :

عن المنير الشرقى ذادت رما حنا　　وعن حرمة الأركان يرمى حطيمها

وأصبحت الغزوات الإسلامية التي خاضها الأوس والخزرج إلى جانب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما تلاها من قتال للمرتدين ، مصدر فخر واعتزاز لعبد الرحمن بن حسان . حيث يعمد في قصيدة طويلة يرد بها على مسكين الدارمي إلى التغنى بنصرتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، وإيمانهم بما جاء به من الصدق عند كذب به قومه وآذوه . فيفتخر بوقوفهم على مصائبهم الجليلة لكون رسول الله فيهم ، ثم يفتخر بقتالهم للمريدين في براحة ، وفي اليمامة.

---

١١٦ النقائض،ج٢،ص٧٤٧.
١١٧ الفرزدق ،الديوان، ج٢،ص٣٢٠.
١١٨ المصدر نفسه ، ج١،ص٤١٨.
١١٩ الأحوص ، الديوان ص ١٥٧.
١٢٠ جرير ،الديوان ، ج٢ ،ص٩٨٦.

Dhaka University Institutional Repository

فنحن أولو موازة ونصـــــــــر نـــكا نفه ونمنع مـــــــن يوالى

فسل عنا القبائل حـــــين ردّتْ عـــن الإسلام كالبقر اليمـــــال

فوافينا بزاخة غيـــر مـــــيل ولا خـــرقٍ بمعتزل النـــــزال

وقد نا لليمامة كل طـــــرف اقب مقلص نهدٍ طـــــــــؤال

يريد لقاء كذّابٍ لئـــــــــيم سيلمة المصرُّ على الضـــــلال

ويفاخر الطرماح بن حكيم الفرزدق بدور القحطانين في نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيقول[١٢١] :

قحطان تضرب رأس كل مـــتوج وعلى بصائرها وإذ لا تبصـــــر

في عزنا انتصر النبى محمـــــد وبنا تثبت في دمشق المنـــــــبر

والى جانب فخره بنصرتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، يفتخر بقتالهم للمرتد ين بعد وفاة الرسول ، قائلا[١٢٢]:

ويغتق جانينا ونرتق فتقـــــه إذا ما عظيمات الأمور استـــــــجلت

بجيش من الانصار لو قذفوا به شماريخ رضوا الشامـــــــخات لخرت

إذا المنبر الغربى زعزع متنه وطدنا له أركانه فاســــــــــتقرت

بهم بيض الله الخلافة كلـــما رأوا نعل صنديد عـــــن الحق زلت

بهم نصر الله النبـــي وأثبتت عرى الحق في الإسلام حتى استـمرت

وهم دمغوا بالحق أيـــام خالدٍ شياطين أهل الشرك حتـــى اطمأنت

ويفتخر من قيس وحندف غرها من الله ما كانت سجاح تمنـــــــت

ويفتخر بيوم بزاخة ، قائلا[١٢٣]:

ونحن ضربنا يوم نعفي بزاخةٍ معدا على الإسلام حتى توّلت

---

[١٢١] الطرماح ، الديوان ، ص٢٥١.
[١٢٢] المصدر نفسه ، ص ٥٣.
[١٢٣] المصدر نفسه ، ص ٦١.

Dhaka University Institutional Repository

وقد يستلهم الشاعرمن سيرته الشخصية موفقا اتسم فيه بالالتزام الدينى لفخربه ، كما فعل ذو الرمة عند ما افتخر ببعده عن قذف المحصنات المؤمنات ، قائلا[١٢٤]:

فلم أقذف لمؤمنة حصان بحمد الله موجبة عضالا

وهذا ما نجده عند مسكين الدارمي الذي يقول[١٢٥] :

وانى سألقى الله لم أرم حـــــرّة ولم تتمنّ يوم سر فخنـــــــئُها

ولا قاذ فنفسى ونفسى بريئـــــة وكيف اعتدارى بعد ما قد قذفتُها

وافتخر عرووة بن إذينة الليثى الكنانى بقريش – أيضا – ذاكر الدور الذي أطلع به الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغ رسالة ربه ، وهداية الناس بعد ضلالهم ، فيقول[١٢٦]:

منا الرسول نخير الناس كلـهم ولانحاشى من الأقوام إنسانـــا

وذاك نور هدى الله العباد بـــه من بعد خبطهم صمـــا وعميانا

فابصروا فاستبان الرشد مشعرة بعد الضلال قلوب الناس إيمانا .

ويتكرر هذا الفخر بالنبي في قصيدة أخرى حيث يقول[١٢٧] :

منا الرسول وأهل الفضل فضلهم منا وصاحبه الصديق في الغار

من عد خيرا عددنا فوق عـــدته من طيّبين نسمّيهم وابـــــرار

ويقول الفضل بن العباس اللهبى داعيا عمر بن أبى ربيعة المخزومى للفخر بالنبي صلى الله عليه وسلم[١٢٨]:

قل يا بن مخزوم لكل مفاخر منا المبارك ذو الرسالة أحمد

ماذا يقول ذو الفخار هنا لكم هيهات ذلك هل ينال الغر قد

ويفاخر عبد الرحمن بن الحكم عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بقر يشه ، فيقول[١٢٩]:

لن يسلب الله أهل الدين دينهم ولن تعود فروع الناس أذنان

---

١٢٤ ذو الرمة ،الديوان، ص٥٢٧.
١٢٥ مسكين الدارمي ، الديوان ، ص٢٧
١٢٦ عروة بن اذينة ،الديوان ، ص١٣٤.
١٢٧ المصدر نفسه ، ص ٢٠٦.
١٢٨ الأغاني ، ج٦،ص١٨٩.
١٢٩ الأخبار الموقفيات ، ص٢٥٤.

Dhaka University Institutional Repository

منا الرسول ومنا من يلاذ به ولن نزال لهذا الدين أربـــابا

ويفخر ذوالرمة بمضر التي تتمنى إليها الرسول صلى الله عليه وسلم ويظهر اعتزاز بأنه خليل الله إبراهيم الذي عمر الكعبة المشرفة ، والتي جعل الله ولايتها في مضر ، فيقول[١٣٠]:

إذا مضر الحمراء عب عبابها فمن يتصدى موجها حين تطحر

أنا ابن النهيين الكرام ومن دعا أبا غير هم لابد عن سوف يقهر

الم تعلموا انى سموت لمن دعا له الشيخ ابراهيم والشيخ يـذكر

ليالى تحتل الأباطح جـــرهم وإذ بأبينا كعبة الله تـــــــعمر

نبي الهدى منا وكل خـــليفة فهل مثل هذا في البرية مـــفخر

لنا الناس أعطانا هم الله عنوة ونـــــــحن له والله أعلى وأكبر

أنا ابن معد وابن عدنان انتمى إلى من له في العز ورد ومصدر

لنا موقف الداعين شعثا عشية وحيث الهدايا بالمشاعر تتـــحـــر

وجمع وبطحاء البطاح التي بها لنا سجدا الله الحرام المطـــــــهر

وهذه المعاني في الفخر تتردد كثيرا عند شعراء مضر في العصر الأموي : يقول الفرزدق[١٣١]:

عرف القبائل إننا أربابها وأحقها بناسك التكـــبير

جعل الخلافة والنبوة ربنا فينا وحرمة بيته المعمور

منا النبي محمد يجلـــى به عنا العمى بمصدق مأمور

إن النبوة والخلافة والهدى فينا وأول من دعا بطهور

ويقول أيضا يفخر بخندق[١٣٢]:

منا الخلائف والنبي محمدا واليهم ملك العباد يصير

وإذا رفعت لواء خندق فصرت عنه العيون وفطرفها مقصور

أبناء خندق إن نسيت وجدتهم رهط النبي لواؤهم منصور

---

١٣٠ ذو الرمة ،الديوان ،ص٣٢٣.
١٣١ النقائض ، ج٢،ص٩١٢.
١٣٢ الديوان ، ج١،ص٢٩٧.

Dhaka University Institutional Repository

ويقول جير بن عرادة يفاخر الزعل الجرمى[١٣٣] :

ومنا رسول الله أرسل بالهدى وأنت مع الجحاد سحار بابل

ولم يجعل سالله النبوة فيكم ولا كنتم أهل لتلك الرسائل

ويقول جرير يفاخر الأخطل التغلبى[١٣٤]:

كذلك أعطى الله قيسا وخندقا خزائن لم يفتح لتغلب بابها

ومنا رسول الله حقا ولم يزل لنا بطن بطحاوى منى وقبابها

ويتضح من كل ما سبق أن شعر الفخر في العصر الأموي قد ظهرت عليه بعض الملامح الجديدة التي اكتسبها من تأثير الإسلام على شعرائه . أما قلتها فهو أمر حتمى ، حيث إن دواعى الفخر هذا العصر لم تختلف عنها في العصر الجاهلي ، إن العصبيات القبلية كانت هي المحرك لهذا اللون الشعرى ، مما كان سببا اعتماد الشعراء على المثل القديمة في فخرهم.

(ز) الوصف

الوصف كما عرفه أحد النقاد القدامى " هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات [١٣٥]. و هو أحد الموضوعات الشعرية أغراضها التي أشعلت حيزا كبيرا من النتاج الشعري عبر عصور الشمر العربي المختلفة . على الرغم من أنه لا يعد في كثير من الأوقات موضوعا منفردا بذاته ، و إنما يتخلل الموضوعات الشعرية على اختلافها ، فقد تجده في مقدمة القصيدة أو بين ثناياها . و قد توقف الشاعر العربي القديم أمام الطبيعة من حوله ، فراح يصف أغلب ما تقع عليه عيناه . من إنسان ، و حيوان ، و نبات ، و أرض ، و سماء ، وأطلال ، و رياح ، و أمطار . فكان هناك من الشعراء من تفوق في وصف الخيل أو الإبل ، أو الصيد والطرد و غير ذلك [١٣٦].

و من خلال قراءة نتاج العصر الأموي في هذا اللون الشعري ، لا يعدم الباحث أن يجد بعض الأبيات التي تحمل شيئا من الملامح الجديدة التي تعطى انطباعا جيدا عن تأثر شعرائه بالإسلام . فقد كان من عادة الشاعر العربي القديم في العصر الجاهلي

---

١٣٣ النقائض،ج١،ص٣٧٠.
١٣٤ الديوان ، ج٢،ص٦٧٦.
١٣٥ . نقد الشعر، ص ١١٨.
١٣٦ . العمدة ، ج٢، ص ٢٩٦.

Dhaka University Institutional Repository

أن يقف على أطلال الديار ليصف ما بقى من أثار أهلها ، و قد صار الشعراء الأمويون على نهج سابقيهم في الوقوف على الأطلال ، و يسترعى الباحث أن يجد بعض الشعراء قد عنوا بإضافة معلم جديد جاء مع الإسلام . هذا المعلم مرتبط بحياة الإنسان المسلم ارتباطا وثيقا ، و ليس هناك ديار إسلامية تخلو منه . إنه المسجد مركز العبادة الدينية ، فهم يشيرون إليه و يذكرونه باسمه عند حديثهم عن مشاهدهم الطللية .

فهذا الراعي النميرى يقف إمام منازل حي من أحياء العرب ، فلا يلمح من آثارهم إلا المسجد ، و مربط الدواب .

يقول الراعي النميرى[١٣٧] :

ظللنا سراةَ اليوم من حب أهلها نسائل آناءً لها و أثافيا

بذى الرِّضم سار الحي منها فما ترى بها العين إلا مسجدا وأواريا

و يقول في وقفة طللية أخرى[١٣٨] :

تثير و تبدى عن ديار بنجوة أضربها من ذى البطاح خليج

علامتها أعضاد نؤدى و مسجدٌ يباب و مضروب القدال شجيج

و يبدأ طريح بن يسار قصيدته التي يمدح بها الوليد بن يزيد بمقدمة طللية فيصف ديار حبيبته التي خلت، فلم يبق فيها من المعالم إلا الرماد ، والوتد والمسجد ، و مجلس القوم ، قائلا :

أقفر ممن يحله السند فالمنحنى فالعقيق فالجسد

لم يبق فيها من المعارف بعد الحي إلا الرماد والوتد

و عرصة نرت مما لسها الربح بها مسجد و منتضد[١٣٩]

وهذا المشهد الطللى يتكرر عند أمية بن أبى عائف الذي يقول في إحدى قصائده:

لا تستبين العين من آياتها إلا سطور مساحد و عراص

---

١٣٧ الراعي النميري ،الديوان، ص١٠٩.
١٣٨ المصدر نفسه، ص١٢٣.
١٣٩ . شعراء أمويون ٢٩٧/٣.

Dhaka University Institutional Repository

فالمسجد الذي لا تخلو منه المناتزل الإسلامية صار عند هؤلاء الشعراء جزأ لا يتجزأ من المشهد الطللى لديهم .

و في وصفه للصحراء تستوقف الطرماح بن حكيم الصور الإسلامية الجديدة .

فهو في أحد أبياته يذكر من الآثار التي رآها ضربة تيمم صاحبها بتراب الصحراء لفقدانه الماء ، فهو يقول[١٤٠] :

و ضبثة كف باشرت ببناتها صعيدا كفاها فقد ماء المصافن

و في بيت آخر يصف آثار رجل يصلى ، فقد ارتسم على التراب موضع ركبتيه واثر سجوده ، قائلا [١٤١]:

و موضع مثنى ركبتين و سجدة توخى بها ركن الحطيم المياسن

و قد تجلى التأثير الإسلامي على شعر الوصف في صورة أخرى أكثر أهمية ، و تمثل ذلك في تلك الصور الغنيمة التي استمدها الشعراء من الحياة الإسلامية الجديدة . و معلوم أن الصورة الفنية تمثل ركيزة أساسية في هذا اللون الشعري ،

فالطرماح بن حكيم يصف الآثار في أحد المواضع ، فيشبهها بخط المصحف الدقيق ، فيقول[١٤٢] :

أهاجك بالملا دين عوانى كخط الكف بالآي العجاف

و في قصيدة أخرى يشبه الثور الوحضى و هو يسرع عاربا من الكلاب بالنجم الذي يرجم به الشيطان ، قائلا [١٤٣]:

و ولى كنجم الرجم بعد عداده يضيف وأشفي النفر نفر المعاين

و هو يستوحى الصورة من قوله تعالى "و جعلناها رجوما للشياطين"[١٤٤].

---

١٤٠ الطرماح ، الديوان، ص٤٩٥.
١٤١ المصدر نفسه ، ص٤٩٦.
١٤٢ المصدر نفسه،ص٣١٩.
١٤٣ المصدر نفسه، ص٥٠٨.
١٤٤ . القرآن ٦٧: ٥ .

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الثالث: الثقافة الإسلامية و عناصرها في الشعر الأموي

أعنى بموضوعات الشعر الشعر السياسي و ذلك اللون "الذي يتعاطى شئون الحكم تأييدا أو تفنيدا ، أو يتناول علاقة الأمة بغيرها في حرب أو سلم"[١٤٥].

و من المعلوم أن هذا اللون الشعري ليس غرضا بحد ذاته ، و إنما هو أغراض متعددة ، فقد يكون مديحا أو هجاء أو فخرا أو غزلا أو رثاء . غير أن هذه الأغراض تصب جميعها في نبع واحد هو انتماء شعرها السياسي بغض النظر عن حقيقة هذا الانتماء و صدقه . و معظم الباحثين[١٤٦] يعتقدون بأن الشعر السياسي ليس وليد العصر الأموي ، و إنما وجد هذا الفن الشعري قبل ذلك العصر الجاهلي ، إذ كانت كل قبيلة عربية تمثل كيانا مستقلا له نظامه السياسي والاقتصادي و الاجتماعي الخاص به . فهي أشبه ما تكون بالدولة الصغيرة . و قد كانت لهذه الدولة مصالحها التي تصطدم أحيانا بمعارضة من القبائل الأخرى قد تصل إلى الصدام الحربي . و قد كان الشعر يسهم خلالها بدوره المرسوم له في ذلك المجتمع القبلي ، و ذلك بتأييد القبيلة و مهاجمة خصومها . و هو ما يمكن أن نسميه شعرا سياسيا .

و لما جاء الإسلام وحد بين القبائل العربية ، و جعلها كيانا واحدا يخضع لنظام معين هو الخلافة الإسلامية ، و قد كان ذلك سببا في حدوث نقلة كبرى للشعر السياسي في ظل حكم الدولة الأموية ، إذ نشأ صراع حاد بين الأمويين و أحزاب المعارضة السياسية أسهم فيه الشعر بدور واضح . و قد كان الباعث لهذا الصراع هو الخلافة الإسلامية ، التي هي منصب وجد في ظل الإسلام يخضع لضوابط دينية .

يقول ابن خلدون : "الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين و سياسة الدنيا "[١٤٧].

و لما كان هذا المنصب ـ كما ذكر ابن خلدون ـ يخضع للدين ، فقد كان حتميا على شعراء الأحزاب المختلفة ـ بما فيها الحزب الحاكم ـ أن يعمدوا إلى إعطاء

---

١٤٥ . أدب السياسة في العصر الأموي، ص ٨.
١٤٦ . المصدر نفسه، ص ٨ .
١٤٧ . المقدمة، ص ١٥١.

Dhaka University Institutional Repository

مضامينهم الشعرية التي يعبرون من خلالها عن فكرهم الحربي بعدا دينيا يتناسب مع حقيقة القضية التي يعالجونها . و هذا ما يتضح للباحث من خلال دراسة الشعر الذي خلفه لنا هذا الصراع السياسي . فقد استلهم الشعراء الأفكار والمثل الإسلامية الجديدة ، و جعلوها ركيزة أساسية يتحركون في إطارها لتأييد أحزابهم و مهاجمة خصومها . و هذا ما سنعرض له في الصفحات الآتية .

١- شعر الأمويين

كانت السلطة الأموية تواجه منذ بداية حكمها معارضة شديدة لها ، و قد زاد من حدة هذه المعارضة تغيير معاوية بن أبى سفيان لنظام الحكم الإسلامي بجعله الخلافة أمرا و راثيا في أسرته ، بعد أن كانت تقوم على الشورى الإسلامية أثناء الخلافة الراشدة . و قد كانت المعارضة بأحزابها الكبرى من شيعة ، وزبيرية ، و خوارج تتهم الأمويين باغتصاب الخلافة دون أدنى حق لهم فيها ، و كان شعراؤها ينالون من سلوك خلفائهم ، و يظهرونهم في صورة لا تتناسب مع مركزهم الديني . و من هنا فقد كان خلفاء بنى أمية حريصين على توجيه الشعراء الذين يمدحونهم عن رغبة أو رهبة إلى استخدام العناصر الإسلامية في مدائحهم لهم ، و ذلك لتحسين صورتهم في عيون الرعية ، و إظهارهم في صورة من المثالية الدينية تتفق مع منصبهم ، و لتبرير وصولهم إلى سدة الحكم ، و تفنيد ما يدعيه خصومهم . و قد عبر عن ذلك عبد الملك بن مروان ، و عاتب الشعراء الذين اعتمدوا على المثل الجاهلية عند مديحهم للأمويين، و دعاهم إلى التعامل مع المثل الإسلامية الجديدة التي تتناسب مع مكانة الأمويين الدينية .

جاء في الأغاني عن عبد الملك بن مروان أنه قال : "يا معشر الشعراء تشبهوننا مرة بالأسد الأبحر ، و مرة بالجبل الأزعر ، و مرة بالبحر الأجاج . ألا قلتم فينا كما قال أيمن بن خريم في بنى هاشم[١٤٨] .

نهاركم مكابدة وصوم و ليلكم صلاة واقتراءُ
و ليتم بالقرآن و بالتزكى فأسرع فيكم ذاك البلاءُ
بكى نجدٌ غداةَ غد عليكم و مكة والمدينةُ والجواءُ

---

[١٤٨] الأغاني، ج٢٠،ص٣١٠.

Dhaka University Institutional Repository

و حق لكل أرضٍ فارقوها　　عليكم لا أبالكم البكاءُ

و لم يتردد الشعراء - والمحترفون منهم خاصة - في الاستجابة لذلك إرضاء لنزعة معد و حيهم طمعا في أعطياهم . فكان مديحهم بجانب ترديده لبعض العناصر التقليدية القديمة كالإشادة بكرم الممدوح ، و شجاعته ، و وفائه و ما إلى ذلك من مثل كانت تتردد عند شعراء العصر الجاهلي ؛ يحمل صبغة دينية ساعد الشعراء على تمثلها نشأتهم الإسلامية الأولى ، و معرفتهم بالقرآن الكريم ، واستيعابهم لمعانيه ، بالإضافة إلى تأثير المجتمع الإسلامي المحيط بهم . فهم تارة يصورون الخلافة حقا للأمويين - دون غيرهم - لأن الله اختارهم لها ، و فضلهم على الناس في ذلك . قال جرير[١٤٩] :

زُورُوا يزيد فإن الله فضّله　　واستبشروا بمريع النيت مخْبور

و قال الأخطل [١٥٠]:

تمّتْ جدود هم والله فضّلهم　　و جدّ قومٍ سواهم خاملُ نكـــــدُ

هم الذين أجاب الله دعوتَهم　　لما تلاقتْ نواصي الخيل فاجْتلدوا

و قال الأحوص الأنصاري[١٥١]:

إمامٌ أتاهُ الملكُ عَفواً و لم يُثبْ　　عَلى مُلكه ما لا حراماً و لا دماً

تغيرهُ ربّ العبادِ لـــــــخلقهِ　　ولياً و كان الله بالناس أعـــلما

فلمّا قضاهُ اللهُ لم يدعُ مُسلماً　　لبيعته إلا أجاب و ســـــــلما .

و تارة أخرى يصورون الحكم الأموي و كأنه أمر محتوم قدره الله فلا بد من نفاذه . و هم يتأثرون في ذلك بالنزعة الجبرية التي انتشرت بين فرق المتكلمين آنذك . و ليس من المستبعد أن الدولة الأموية كانت تدعمها و تساعد على انتشارها ، لأنها تفضي بالناس إلى الاعتقاد بأن الحكم الأموي قدر مقدور أراده الله لهذه الأمة ، فلا مناص من التسليم به والإذعان له ، و ليس هناك داع للتعرد عليه و الثورة ضده ، مهما اتصف حكامه بالجور والظلم ، لأن ذلك يعد اعتراضاً على الإدارة

---

١٤٩ جرير ، الديوان، ج١ ص١٤٧.
١٥٠ الأخطل ،الأخطل،ج٢،ص٤٤٢.
١٥١ الأحوص ،الديوان ،ص١٩٦.

Dhaka University Institutional Repository

الالهية التي قدرت لهم ذلك . و تردد هذه الفكرة كثيراً عند جرير ، فهو يقول مادحاً عبد الملك بن مروان[١٥٢] :

الله طوّقكَ الخلافة و الهُدى و الله ليس لِما قضى تبديلُ

إن الخلافة بالذي أبـــليتمُ فيكم فليس لِملكها تحويلُ .

و يقول أيضاً من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك[١٥٣] :

إن الوليدَ هو الإمامُ المصطفي بالنصر لزّ لواؤه والمغنم

ذو العرش قدر أنْ تكون خليفة مُلكت فأعلُ على المنابر واسْلم .

و قد أضفى الشعراء على خلفاء بني أمية كثيراً من الصفات الإسلامية التي تظهرهم في صورة من المثالية و الالتزام الديني تتطلبها مكانتهم . و هم يصفونها على جميع الخلفاء ، دون تفريق بينهم فالصفات التي يصفونها على عمر بن عبد العزيز تتردد -أيضاً- في مديح يزيد بن عبد الملك على الرغم مما في سيرتها من اختلاف لا يخفي على الدارسين . و تمثل ذلك في حديثهم عن عدل الخلفاء باعتبار العدل من ابرز القيم الإسلامية المرتبطة بالحكم ، و التي ينبغي للحاكم المسلم أن يكون متصفا بها . يقول الفرز دق من قصيدة يمدح بها سليمان بن عبد الملك[١٥٤] :

كشفتَ عن الأبصار كلَّ عشابـــها و كلُّ قضاءٍ جائر أنت عـــادلهُ

وقد علم الظلمُ الذي سلّ ســـيفه على النّاس بالعدوان أنك قـــاتلهُ

إلى الله منْ حمل الأمانة بعْدمـــا أُضيعتْ و غال الدّينَ عنا غـــوايلهُ

حملت، مكان الجور في الأرض مثله من العدْل إذ صارت إليك محاصلهُ .

و يقول جرير مادحاً هشام بن عبد الملك[١٥٥] :

أمير المؤمنين قضى بعدل أحل الحِلّ و اجتنب الحرامـا

أتم الله نِعمته عـــليكم و زاد الله مُلككم تمامـــا

عطاءُ اللهِ ملكك النصارى منْ صلى لقبلته و صامـــا .

---

١٥٢ جرير، الديوان، ج١ ،ص٩٤.
١٥٣ المصدر نفسه ، ص٧٠.
١٥٤ الفرزدق ،الديوان، ج٢، ص٩٠.
١٥٥ جرير ، الديوان ، ج١ ص٢٢٤.

Dhaka University Institutional Repository

كما أشادوا بتنفيذ الخلفاء لأحكام الله سبحانه ، و إقامتهم للفرائض الشرعية و تحدثوا عن ورع الخلفاء و تقواهم ، وأثنوا على حرصهم على أداء الواجبات الدينية . يقول جرير من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان :

لو لا الخليفة و القرآن نـقرؤه ما قام للناس أحكام و لا جـُمعُ

أنت الأمين أمينُ الله لا سرفٌ فيما وليـــت ولا هيابةٌ ورعُ

أنت المبارك يهدى الله شيعته إذا تـــــفرقت الأهواءُ الشّيعُ

يا آل مروان إن الله فـضّلكم فضلاً عظيما على مَن دينه البدعُ[١٥٦].

شعر الزبيريين

يتميز شعر الزبيريين بقلته فهو لا يكاد يذكر قياسا بشعر الأحزاب السياسية الأخرى - و هو أمر يعود - كما أشرنا من قبل - إلى قصر الفترة التي عاشها هذا الحرب أولا ، و إلى عدم اهتمام زعيمه عبد الله بن الزبير بالشعر والشعراء ثانيا .

و ديوان شاعر هم الأول عبيد الله بن قيس الرقيبات ليس مقصورا على السياسة . فهو يتضمن عدداً كبيراً من قصائد الغزل الذي يعد ابن الرقيات أحد أعلامه المرموقين في العصر الأموي ، كما أنه يضم - أيضا - قصائد قالها الشعر في مدح الأمويين بعد نهاية الزبيين في محاولة لا سترضاء خلفاء بنى أمية - و تعد همزية عبيد الله بن قيس الرقيات في هجاء الأمويين و ناصرة الزبيريين و ثيقة تاريخية لهذا الحرب بما تضمنته من أفكار سياسية ، و هي أول ما يجب الوقوف عنده في شعره .

إن الشاعر بعد مقدمته الطللية التي يظهر فيها حسرته المريرة لاختلاف قريش و تناحر أبنائها وصراعهم حول الحكم - الأبيات ١-١٧ - ، يعمد إلى محاولة إثبات أحقيتها بالخلافة ضد كل من يحاول أن يسلبها هذا الحق أو يتمنى زوالها - و في مقدمتهم الخوارج - و لهذا فهو يشير إلى دورها الإسلامي .فإليها ينتسب النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الرسالة السماوية التي انتشرت شرقا و غربا ، إليها ينتمي الصفوة المختارة من أصحابه الذين جاهدوا في سبيل الدين بأموالهم و

---

١٥٦ . المصدر نفسه ، ص.٢٩٥

Dhaka University Institutional Repository

أنفسهم ، بدأ بأبي بكر الصديق ، و حمزة أسد الله ، و على وجعفر ابن أبى طالب ، وانته بالزبير بن العوام الذي ينتسب إليه هذا الحزب الذي يدعو إليه ابن الرقيات ، فهذه الصفوة المختارة تجعل قريشا جديرة بالسيادة على العرب والمسلمين .يقول ابن الرقيات كما قدمنا.

و يقول ابن الرقيات مصعب بن الزبير بهذه الصفوة المباركة . فهو امتداد لهم واستمرار لنهجهم في اتباع الحق و محاربة الباطل - و هو بذلك ينتقل من مديح قريش إلى مديح ممثليها الأكفاء - في نظره - و هم الزبيريون - و مصعب يعد الرجل الثاني في الحزب . يقول عبيد الله[١٥٧] :

والذي نغص ابن دومة مـــــاتو حى الشاطين والسيوف ظماءُ
فأباح العراق يضربهم بالسيف، صلتا و في الضراب غـــــلاءُ
غيبوا عن مواطن مـــفظعات ليس فيها إلا السيوف رخـــاءُ

و يتخذ مديحه لمصعب بعدا دينيا . فالله قد فضله على جميع حاسديه ، و نصره عليهم ، و هو شهاب من الله أنار به الظلماء التي غطت على المسلمين ، كما أنه ملتزم بكل ما يجب أن يكون عليه الحاكم المسلم من تواضع لله ، و يعد عن الجبروت ، واعتصام بالتقوى في جميع الأمور - فهو يقول[١٥٨] :

حسدا إذ رأوك فضلك اللـــــــ ـــه بما فضلتْ به النجـــــباء
فعلى هديهم خرجتَ و ما طبـــ ـــك في الله إذ خرجت الريـــاء
إن تعش لا نزل بخير و إن تهـــ لك نزل مثل ما يزول العمـــاء
إنما مصعب شهاب من اللـــــ ـــه تجلت من جيه الظلمـــاء
ملكه ملك قوه ليس فيـــــه جبروتا ولا به كبريـــــاء
يتقى الله في الأمور و قد أفـــ لح من كان همه الاتقـــــاء
إن لله در قو يريـــــــزيد و نك بالنقص والشقاء شقـــاء
بعد ما أحرز الإ له بك الرتـــ ق و هرت كلابك الأعـــداء

---

١٥٧ ابن الرقيات ، الديوان ، ص٩٠.
١٥٨ المصدر نفسه ، ص٩١.

Dhaka University Institutional Repository

و يعود بعد ذلك إلى الافتخار بقريش ففي كنفها يوجد البيت الحرام الذي يقصده الحجيج من كل فج ، وأهلها هم حجابه الذين يعتنون به . و ينطلق من ذك للهجوم على القبائل اليمنية التي قامت على أكتافها الدولة الأموية ـ فهي لم ترع حرمة هذا البيت بل حرقته . و يشيد بالزبيريين الذين أعاوا بناءه بعد ذلك .يقول ابن الرقيات[١٥٩]:

ليس لله حرمة مثل بيـــت نحن حجابه عليه المـــــلاء
خصه الله بالكرامة فالبـــا دون والعاكفون فيه ســـــواء
حرقته رجال لحم وعـــــكٌ وجذام و حمير وصـــــــداء
فبنيناه بعد ما حرقـــــوه فاستوى السمك واستقل البناء

شعر الشيعة :

يعتبر ديوان الهاشميات للكميت بن زيد الأسدى أنموذجا فريدا للشعر السياسي في العصر الأموي ، و صورة معبرة عن الفكر الشيعى في تلك الفترة. فقد نظم الكميت قصائد هذا الديوان و مقطوعاته التي يصل عدد أبياتها إلى ما يزيد عن ستين وأربعمائة بيت ، ليعبر من خلالها عن ولائه القوى لبنى هاشم ، و ليقرر فيها أحقية البيت الهاشمي بالخلافة ، و ليظهر الأمويين في صورة المغتصبين الجائرين ، وداعيا للثورة ضدهم لإعادة الحق إلى أهله . مما جعله في نظر أحد الدارسين شاعر الشيعة الأكبر في العصر الأموي [١٦٠]. و هذا ما يجعل من الهاشميات أنموذ جا حيا نستطيع من خلاله أن ندرس أثر الإسلام وعناصره في شعر الشيعة في ذلك العصر .

و الكميت يصدر في هاشمياته عن وعي عميق بقحوى القضية السياسية التي يعالجها . و هي قضية الخلافة (الإمامة) التي هي منصب دينى وجد بعد الإسلام . و من هنا فقد كان الدين يتمثل بوضوح عبر كل الموضوعات الشعرية التي كان الشاعر يتحرك من خلالها للتعبير عن مبادئه السياسية . فإذا ما مدح بنى هاشم ـ و مديحه لهم يستغرق جزأ كبيرا من ديوانه ـ فإنه يعمد إلى أضافا هالة دينية عليهم ليس في الإشارة إلى قرابتهم من الرسول صلى الله عليه وسلم فقط ، و إنما

---

[١٥٩] المصدر نفسه ، ص ٩٥.
[١٦٠] . حياة الشعر في الكوفة، ص ٧٢٥.

Dhaka University Institutional Repository

في التغني بالصفات الإسلامية الرفيعة التي يتحلون بها ، والتي تجعلهم جديرين بالإمامة أكثر من غيرهم . فهم موصوفون بالعدل ، والزهد ، والتقوى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبعد عن الفحش ، والسلامة من النميمة ، إلى جانب بعض الصفات التقليدية التي ظل لها دورها بعد الإسلام .

يقول الكميت[١٦١] :

بل هواي الذي أجن وأبدى لبني هاشم فروع الأنام

للقريبين من ندى والبعيد دين من الجور في عرى الأحكام

والمصيبين باب ما أخطأ الناس و مرسى قواعد الإسلام

راجحي الوزن كأملي العدل في السيرة طيبين بامور العظام

و هم الآخذون من ثقة الأمر بتقواهم عرى لا انفصام

والمصيبون والمجيبون للد عوة المحرزون خصال الترامي

و محلون محرمون مقرون لحل قراره و حرام

ساسة لا كمن يرى رعية الن اس سواء و رعية الأغنام

لا كعبد الملك أو كوليد أو كسليمان بعد أوكهشام

رأيه فيهم كرأى ذوى الثلة في الثائجات جنح الظلام

والكميت في البيتين الأخيرين يعمد إلى الموازنة بين عدل بني هاشم و جور بني أمية الذين يعاملون المسلمين معاملة الأغنام . و هذا الرأى في الأمويين ليس مقصورا على خليفة معين ، و إنما هو عام يشمل الحكام الأمويين جميعا .

شعر الخوارج :

يمثل الدين عنصرا أساسيا في تجربة الخوارج الشعرية . فليس هناك شاعر منهم لم يتأثر به ، و يستعد من عناصره في مضامين شعره . و هذا ما جعله ينعكس عندهم بشكل لا يوجد له مثيل في شعر العصر الأموي . كما ظهر واضحا تأثرهم الشديد بالقرآن الكريم حيث أكثروا الاقتباس من ألفاظه و معانيه وصوره . و

---

[١٦١] الهاشميات الكميت ، ص٨.

Dhaka University Institutional Repository

أجد نى أوافق سهير القلماوى فيما ذهبت إليه حول تأثير فئة القراء المتدينين على أدب الخوارج "إن هذه الفئة المتعبدة المتقشفة لم تكن كل الخوارج ، و لكنها كانت الفئة المستازة و كانت مثلا حيا أما مهم إن لم يقلدوه فلابد أنهم يتأثرون به أقوى أثر لقربة منهم و تشابهه معهم فيما يؤمنون به"[١٦٢].

والشعر الخارجي لا يستلهم النظرية السياسية التي آمن بها هذا الحزب ، و إنما يستمد عناصره من تصويره لحياتهم و جهادهم في سبيل مبادئهم التي نذروا أنفسهم لتحقيقها في مجتمعهم الإسلامي ، نتيجة قناعتهم الذاتية بصحتها وعد التها . فقد عبر الخوارج من رفضهم لجميع ألوان العصبية القبلية والعرقية ، وأسقطوا فيما بينهم كل الفوارق الاجتماعية . و هو أمر طبيعي يتماشى مع نظريتهم السياسية التي تنظر إلى المسلمين من منظور واحد . فلا سبيل للتفاضل فيما بينهم إلا من خلال معيار جديد عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"[١٦٣] و هو معيار التقوى الإسلامي . و هذا المفهوم عبر عنه شاعر هم عمران بن حطان بقوله :

فنحن بنو الإسلام والله ربنا وأولى عباد الله بالله من شكر[١٦٤]

والإسلام هو انتماؤهم الحقيقي ، و مصدر فخرهم . فهم يرفضون القبيلة بكل ما تمثله من حسب عريق .

يقول عيسى بن فاتك الخطى :

أبى الإسلام أب لى سواه إذا فخروا ببكر أو تميم
كلا الحيين ينصر مدعيه ليلحقه بذى الحسب الصميم
و ما حسب ولو كرمت عروق و لكن التقى هو الكريم[١٦٥]

والله سبحانه هو الذي يقرب بينهم لا القرابة النسب . فهم يمنحون ود هم لكل منة للعقيدة التي يؤمنون بها . يقول مرداس بن أدية[١٦٦] :

من كان من أهل هذا الدين كان له ودىٌّ و شاركته في تالد المال
الله يعلم انى لا أحبهم إلا لوجهك دون العم والخال

---

١٦٢ . أدب الخوارج ، ص ٤١.
١٦٣ . القرآن ٤٩: ٣١.
١٦٤ . شعر الخوار، ص ١٨٣.
١٦٥ . نفسه ، ص ٧٣.
١٦٦ المصدر نفسه ص٦٤.

Dhaka University Institutional Repository

و شعراء الخوارج يرسمون لرفاقهم - باختلاف الغرض الذي يتعاملون معه فخرا كان أم مديحا أم رثاء و هو الأغلب - صورة مثالية للإنسان الخارجي يستمدونها من المثل الإسلامية الجديدة التي جاء بها هذا الدين و دعا الإنسان المسلم إلى الالتزام بها . و أبرز سماتها الواقعية الشديدة في بعيدة كل البعد عن المبالغة والغلو ، لأنها صورة صادقة عن واقع حياتهم كما صورتها المصادر القديمة .[١٦٧]

شعر الصعاليك

الصعلوك في اللغة هو "الفقير الذي لا مال له ، زاد الأزهري ولا اعتماد و قد تصعلك الرجل إذا كان كذلك ، قال حاتم الطائي :

غنينا زمانا بالتصعلك والغنى فكلا سقاناه بكأسيهما الدهر

أما في مفهوم الدارسين فهو كل من يتخذ من السطو والنهب و قطع الطريق وسيلة يحقق بها عيشه . والتصعلك ظاهرة قديمة عرفها العصر الجاهلي ، واشتهر من شعرائها عروة بن الورد ، و تأبط شرا ، والسليك بن السلكة ، و عمرو بن براقة لهمداني والشنفرى و غيرهم [١٦٨].

و قد كان خلف هذه الظاهرة بعض العوامل الاقتصادية والاجتماعية السائدة آنذاك . إذ كانت الحالة الاقتصادية السيئة لبعض أفراد القبائل تدفعهم إلى اتخاذ التصعلك منهجا لحياتهم ، و ذلك في سبيل الوصول إلى حياة أفضل في ظل فقد ان التكافل الاجتماعي بين أفراد القبيلة الواحدة . كما ان بعض القبائل العربية كانت تخلو عن بعض أبنائها ، فيصبحون من طائفة الخلفاء والشذاذ ، مما يجعلهم يتخذون من القوة سبيلا لتحقيق حياة جديدة لهم بعيدا عن قبائلهم [١٦٩].

و في عصر صدر الإسلام هدأت حركة الصعلكة ، و كان للحياة الدينية الجديدة أثر في ذلك . فلقد ألزم الإسلام أتباعه بفروض و واجبات دينية و حارب الظلم والعدوان ، و دعا إلى إزالة الفوارق الاجتماعية التي كانت تثير النزاع والخصومة بين الأفراد والجماعات ، و أرسى بدلها قواعد اجتماعية تقوم على الإخاء والمحبة .

---

١٦٧ . الكامل ، ج٣،ص١٦٣.
١٦٨ . لسان العرب مادة صعلك .
١٦٩ . الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ،ص ٦٣ .

Dhaka University Institutional Repository

والصعلكة - كما عرفنا - كان من أحد دوافعها في العصر الجاهلي هو الظلم الاجتماعي الذي وقع على بعض أفراد المجتمع ، دون أن يكونوا قادرين على حماية أنفسهم والدفاع عنها . لذا فعند ما جاء الإسلام قضى على مثل هذه المشكلة من جذورها بأن جعل الزكاة ركنا من أركان الإسلام الخمسة ، و فرضها و جعلها حقا معلوم في أموال الأغنياء ، ولم يكتف الإسلام بذلك ، بل دعا المسلمين و حثهم على الإنفاق في أكثر من موضع و مناسبة في القرآن الكريم [١٧٠].

و بذلك أوجد الإسلام تكافلا اجتماعيا ، و دعا إلى إقامة عدالة اجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم لم يعرفه العصر الجاهلي من قبل . كما وضع العقوبات التي تردع كل من تسول له نفسه نهج طريق الإجرام لإرضاء رغباته . فأمر بقطع يد السارق "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم" [١٧١]، كما شرع القصاص في القتلى - يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ... [١٧٢]. و قد كان الخلفاء الراشدون حريصين على تنفيذ هذه العقوبات فيمن يستحقها .

يضاف إلى ذلك أن المسلمين انشغلوا بحركة الفتوح التي أتاحت لكل من يرى في نفسه روح الفروسية أن ينطلق مع الفاتحين ليرضى رغباته . خاصة و إن هذه الفتوح كانت تعود عليهم بالغنائم الوفيرة التي تكفل لهم حياة سعيدة. و قد عاد الصعاليك إلى الظهور بشكل واضح في العصر الأموي ، و قد كان وراء ذلك - كما يرى د. حسين عطوان [١٧٣]. عدد من العوامل يكن تلخيصها فيما يلى :

أ- العامل الاقتصادى : فقد تكانت الدولة الأموية تفدق الأموال والعطايا على القبائل العربية التي كانت تناصرها ، أما القبائل التي لا تفعل ذلك فهي تحرم من هذه العطايا ، بل و كان عمال بنى أمية يعاملون أفراد ها بقسوة ، و يفرضون عليهم الضرائب الباهظة . فكان بعضهم يلجأ إلى الشكوى للخلفاء

---

[١٧٠] . القرآن، البقرة : ١٠.
[١٧١] . القرآن ٥: ٣٨.
[١٧٢] . القرآن ٢: ١٧٩.
[١٧٣] . الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ص ٣٢.

Dhaka University Institutional Repository

كما فعل الراعى النميرى[١٧٤] و غيره ، و كان آخرون يتخذون من القوة والتمرد سبيلا لنيل حقوقهم .

ب- العامل الاجتماعى : فقد عادت إلى الحياة العربية في العصر الأموي بعض النزعات القديم التي أخذت بها القبائل من جديد - و كان من ذلك عادة الخلع التي كانت القبائل تلجا غليها في سبيل التخلص من المجرمين من ابنائها ، فكان هؤلاء يهيون بعيدا عن قبائلهم ، و زاد من شقائهم أن الدولة أخذت تطاردهم ، فاتخذوا طريق التصعلك و سيلة يعيشون عليها .

ج- العامل السياسى : فقد علمنا في التمهيد لهذا البحث أن العصر الأموي لم يكن فترة هادئة من الناحية السياسية ، وأنما كان عصر قلاقل واضطرابات أحدثها تفيير الأمويين لنظام الحكم ، حيث وجدت بعض الأحراب المعارضة للدولة ، والتي دخلت معها في صراع شديد أدى إلى ظهور بعض الصفاليك السياسيين ، الذين رفضوا الانتماء إلى احد من الفريقين ، و قرروا تكوين دولة الصعاليك الخاصة بهم .

و قد شهد العصر الأموي عددا غير قليل من الأسماء الشعرية التي انتمت إلى الصعاليك كمالك بن الريب [١٧٥]، و عبيد بن أيوب العنبرى [١٧٦]، وطهمان بن عمرو الكلابى [١٧٧]، والأحيمر السعدى [١٧٨]، والقتال الكلابى [١٧٩]، وأبو النشناش [١٨٠]، و يعلى الأحول الأزدى [١٨١]، و غيرهم . و الباحث العلم بحياة الصعاليك واللصوص ، والمتفهم لطبيعتها التي تتنافي في مسارها مع تعاليم الإسلام وقيمه التي ترفض اتخاذ السرقة و قطع الطرق و سيلة للعيش ، بل وتوجب إقامة الحد على كل من يفعل ذلك ، قد يستبعد أن يتأثر شعراوهم بالإسلام ، غير أن الواقع يخالف ذلك . فالنتاج الشعرى لهذه الفئة لا يخلو من بعض الومضات الدينية التي تعطو مدلولا على تأثرهم بمفاهيم هذا الدين . و هو أمر يفرضه واقع انتمائهم له .

---

١٧٤. الراعي النميرى ، الديوان ص ٦١.
١٧٥. الشعر والشعراء ١/٣٦٠.
١٧٦. المصدر نفسه ، ج٢،ص٧٨٨.
١٧٧. سمط اللالى، ج١، ص٤٧٣.
١٧٨. المؤتلف والمختلف، ص ٣٦، الشعر والشعراء ٢/٧٩١.
١٧٩. الشعر والشعراء ، ج٢، ص٧٩١.
١٨٠. الأغانى ١٢/١٧١.
١٨١. نفسه ، ج١٢، ص ١٤٧.

Dhaka University Institutional Repository

إن شعر الصعاليك ينبى عن علاقتهم القوية بالله ، فهم لا يترددون عن اللجوء إليه في متلف أحوالهم . أثناء تصعلكهم ، أو وهم في السجون ، او عند إعلانهم توبتهم . فهذا أبو حردبة المازنى يرجو من الله أن يشيعه بزمرة من الفوارس أمثاله ، يواصل بهم سبيل التصعلك ، قائلا[١٨٢] :

فهل الإله يشيعنى بفوارس لبنى أمية في سرار جمير

و يلجأ جحدر بن معاوية إلى الله بالشكوى و هو يصور الأهوال التي يلقاها في سجن الكوفة ، فكأنما سقر التي أعدها الله لتعذيب العصاة قطعة منه ، فيقول[١٨٣] :

يا رب أبفض بيت عند خالقه بيد بكوفان منه أشعت سقر

متوى تجمع فيه الناس كلهم شتى الأمور فلا ورد ولا صدر

دار عليها عفاء الدهر موحشة من كل أنس وفيها البدو والحضر

و يدعو الله أن يخلصه من سجن دوار ، فيرسل عليه صاعقة تد مره ، و أن يهي لبنانيه من يقتله ، قائلا[١٨٤] :

يا رب دوار انقذ اهله عجلا وانقض مرائره من بعد إبرام

رب ارمه بخراب والرم بانيه بصولة من ابى شبلين ضرغام

و قد يتوقف الصعلوك عن حياة التصعلك واللصوصية ، و يعلن توبته عن ذلك غير أن نفسه تظل تحدثه بالعودة إلى ذلك فيمنعها.

فهذا الأحيمر السعدى في ظل مجاهدته نفسه يشكو إلى الله من صبره عن حياة التصعلك ، فيقول[١٨٥] :

اشكو إلى الله صبرى عن روا حلهم و ما الا قى إذا مروا من الحزن

قل للصوصبنى الخناء يحتسبوا مز العراف و ينسوا طرفة اليمن

فرب ثوب كريم كنت آخذه من التجاربلا نقد ولا ثمن

---

١٨٢ الحيوان، ج٥،ص١٢٨.
١٨٣ شعراء الأمويين ، ج١،ص١٧٣.
١٨٤ المصدر نفسه،ص١٨١.
١٨٥ المواتلف و المختلف، ص٣٧.

Dhaka University Institutional Repository

و تزداد علاقة الصعلوك بالله قوة بعد أن يعلن توبته ، و ذلك من واقع شعوره و إدراكه بأن حياته السابقة لم تكن على جانب من الا لتزام الدينى ، بكونها تتخذ طريقا يرفضه الدين ، و ذلك بقيامها على السلب والنهب .

فشعراء الامويين باعتبارهم محترفين هدفهم الحصول على أكبر قدر من الحظوة و الهبات ، كانوا لا يترددون عن المبالغة في إضفاء الصفات الدينية على ممجدوحيهم دون أن يردهم عن ذلك منافاة الواقع لما يقولونه . على عكس شعراء الأحزاب السياسية الأخرى- و خاصة الخوارج- والذين كن بصويرهم الديني لرجالات حزبهم يتسم بالواقعية الشديدة التي ترفض المبالغة ؛ بسبب ايمانهم بعقيدتهم الحزبية .

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الرابع : العناصر الإسلامية في العقيدة و العبادات و الأخلاق الإسلامية في العصرالاموي

أولا : العقيدة

تقوم العقيدة الإسلامية على بعض المفاهيم الأساسية التي تتمثل في أصول الإيمان الستة الوارد ذكرها في قوله تعالى "ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب و لكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين. [١٨٦] ، و قوله تعالى:" إنا كل شيء خلقناه بقدر. [١٨٧] ، و كما جاء في الحديث الصحيح" "أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسوله واليوم الآخر و بالقدر خيره و شره"[١٨٨].

و في الشعر الأموى تطالعنا العديد من الشواهد الشعرية الدالة على معرفة بأصول الإيمان ، والتي تنبىء عن عقيدة سليمة كانت تستقر في صدورهم ، و يرى الدكتور مصطفي عبد الواحد " أن الشعر الأموى قد برىء من التفلسف والتزندق ، الذى عرف في بعض شعراء العصر العباسى ، الشعوبيين والماجنين ، الذين أصابتهم الفتنة باتصالهم بأصحاب المذاهب الفاسدة ، و جاهليات المضارات الواندة ، و كانوا يتظرفون بذلك ، ، ، ، "[١٨٩].

١- توحيد الله

أساس العقيدة الإسلامية هو توحيد الله عز و جل بإفراده بالعبادة . قال تعالى "قل إن صلاتى و نسكى و محياى و مماتى لله رب العالمين ، لا شريك له و بذلك أمرت و أنا أول المسلمين"[١٩٠] .

و قد عبر أكثر من شاعر أموى عن فكرة التوحيد فى شعره .

---

١٨٦ القرآن ، البقرة : ١٧٧.
١٨٧ القرآن ، القمر :٤٩.
١٨٨ . صحيح مسلم، ج١، ص٣٧.
١٨٩ . أثر الإسلام في شعر الفرزدق، ص ١٥.
١٩٠ القرآن ، الأنعام : ١٦٢-٦٣.

Dhaka University Institutional Repository

يقول جرير مخاطبا زوجه :

تقى بالله ليس له شريك و من عند الخليفة بالنجاح[١٩١]

و يقول عبد الله بن الحجاج :

نجانى الله فردا لا شريك له بالقريتن و نفس صلبة العودِ[١٩٢]

و يقول ثابت قطنة :

فلولا الله ليس له شريك ضربى قونس الملك الهام

إذا لسعت نساه بنى دثار أمام الترك بادية الخدام[١٩٣]

و يقول نابغة بنى شيبان :

فلو لا الله ليس له شريك إله الناس ذو ملك و عرش[١٩٤]

و من تمام الإيمان بالله التوكل عليه في جميع الأمور ، و هو أمر حث القرآن المؤمنين على الا لتزام به ، قال تعالى "والله و ليها و على الله فليتوكل المؤمنون".[١٩٥] و يعبر الفرزدق عن هذه الفكرة فى قوله :

و إن الذى يغتر بالله ضائع و لكن سينجى الله من يتوكل[١٩٦]

و يعبر عنها جميل بن معمر ، قائلا :

كلُوا اليوم من رزق الإ له وابشروا فإن على الرحمن رزقكم غدا[١٩٧]

و يقول جحدر بن معاوية :

إذا انقطعت نفس الفتى وأخبه من الأرض رمس ذوتراب و جندل

رأى إنما الدنيا غرور و إنما ثواب الفتى في صبره و التوكل[١٩٨]

---

١٩١ . جرير ،الديوان ٨٩/١.
١٩٢ . الأغانى ١٧٤/١٣.
١٩٣ . تاريخ الطبرى ، ج٦، ص٦١١.
١٩٤ . نابغة ،الديوان، ص ٢٢.
١٩٥ القرآن، آل عمران: ١٢٢.
١٩٦ . الفرزدق ، الديوان ، ج٢، ص٧٩.
١٩٧ . جتميل بثينة ، الديوان ، ص ٧٨.
١٩٨ . شعراء أمويون، ج١، ص١٨١.

Dhaka University Institutional Repository

و وصف الشاعر للدنيا بالغرور اقتبسه من قوله تعالى "و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور".[١٩٩]

و يقول ابو الأسود الدؤلى يدعو إلى التوكل على الله :

إذا كنت معنيا بأمر تريده فما للمضاء والتوكل من مثل

توكل و حمل أمرك الله إن ما يراد له آتيك أنت له مخل

فلا تحسبن السير أقرب للردى مـ الخفض في دار المقامة والثمل[٢٠٠]

و امتد ادا لإيمانهم بالله و تحوحيده ، فقد عبر الشعراء عن تمجيد هم و تعظيمهم له ، و ذلك بإثبات الصفات التي تليق بجلال الله و عظمته ، والتي أشبتها لنفسه في كتابه العزيز .

٢- الإيمان بالملائكة

المراد بالإيمان بالملائكة هو "التصديق بوجودهم ، و أنهم كما وصفهم الله تعالى عباد مكرمون"[٢٠١] ، قال تعالى "الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا" فاطرا .

و في قصيدته التي يرثى بها زوجه يدعو جرير لها بالصلوات من الملائكة ، دالا على إيمانه بهم ، قائلا :

صلى الملائكة الذين تخيّروا والصالحون عليك ولابرار

و عليك من صلوات ربك كلما نصب الحجيج ملبدين و غاروا[٢٠٢]

و هو يستوحى ذلك من قوله تعالى "إ الله و ملائكته يصلون على النبى ما أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما".[٢٠٣]

و يقول أيوب بن خولى البجلى يرثى :

كفي حزنا أنى تذكرت جابرا على جابر صلت خيار الملائك[٢٠٤]

---

١٩٩ القرآن، الحديد: ٢٠.
٢٠٠ . ابو الأسود الدوئلى ،الديوان ،ص ٣٥.
٢٠١ . فتح البارى في شرح البخارى ، ج١ ، ص٢٥.
٢٠٢ . جرير ،الديوان ، ج٢،ص ٨٦٥.
٢٠٣ القرآن، الأحزاب : ٥٦.

Dhaka University Institutional Repository

ملائكة من يجعل الله نصرهم له يك أعلى في القتال وأصبرا

رأوا جبرئيل فيهم إذ لقولهم و أمثاله من ذى جناحين أظهر[٢٠٥]

٣- الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب السماوية يقتضى الاعتقاد بأنها من كلام الله عز و جل و أن ماورد فيها حق .

و في الشعر الأموى هناك ما يدل على معرفة الشعراء بالكتب السماوية السابقة للقرآن .

يقول الفرزدق يمدح سليمان بن عبد الملك :

أنت الذى نعت الكتاب لنا في ناطق التوراة والزبر

كم كان من قس يخبرنا بخلافة المهدى أو حبر

جعل الإله لنا خلافته برء القروح وعصمة الجبر[٢٠٦]

و يقول جرير يمدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك :

الله أعطاكم من علمه بكم حكما و ما بعد حكم الله تعقيب

أنت الخليفة للرحمن يعرفه أهل الزبور و في التوراة مكتوب[٢٠٧]

٤- الإيمان بالرسل :

المراد من الإيمان بالرسل "التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله"[٢٠٨].

والشعر الأموى حافل بالشواهد الشعرية التي تدل على إيمان شعراء العصر بالرسالة المحمدية .

---

٢٠٤. وليد بن يزيد ، الديوان ، ص ٢٩.
٢٠٥. المصدر نفسه ،٢٤٢/١.
٢٠٦. الفرزدق ،الديوان، ج١، ص٢٦٥.
٢٠٧. جرير ،الديوان ، ج١، ص ٣٤٩.
٢٠٨. فتح البارى، ج١ ، ص ٢٦.

Dhaka University Institutional Repository

فهذا جرير يهجو بني تغلب ، فيعيرهم بتكذيبهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، و يدعو الخليفة إلى أخذ الجزية منهم عقوبة لهم ، قائلا :

فعليك جزية معشر لم يشهدوا لله أن محمداً لرسول[٢٠٩]

و يقول أيضا من قصيدة أخرى :

أتصدقون بما رسرجس وابنه و تكذبون محمد الفرقان[٢١٠]

والإيمان بالرسالة المحمدية يعبر عنه عبيد الله بن قيس الرقيات في قصيدته الهمزية ، حيث يقول مفتخرا بقريش :

نحن منا النبى الأمى والصد يق منا التقى والخلفاء[٢١١]

٥- الإيمان باليوم الآخر

المراد من الإيمان باليوم الآخر هو "التصديق بما يقع فيه من الحساب والميزان والجنة والنار" [٢١٢]، و هو أصل من أصول الإيمان التي يلزم الإنسان المسلم الاعتقاد بها ، فعند البعث يلقى جزاءه إن خيرا فخيرا و إن شرا فشرا . قال تعالى: "زعم الذين كفوا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبون بما عملتم و ذلك على الله يسير".[٢١٣]

و قد عبر شعراء العصر الاموى عن رسوخ هذه العقيدة الدينية في نفوسهم ، فتحدثوا عن البعث في الآخرة ، و صوروا ما يحدث عقب البعث من حساب ، و ذلك في مختلف الأغراض الشعرية .

يقول أبو بلال الخارجى :

أنى امرؤ باعثى ربى لموعده إذا القلوب هوت من خوف أهوال

و ادت الأرض منى مثل ما أخذت و قربت لحساب القسط أعمالى[٢١٤]

---

٢٠٩. جرير ، الديوان، ج١،ص٩٥.
٢١٠. نفسه، ج٢، ص١٠١٥.
٢١١. ابن الرقيات ،الديوان، ص ٨٩.
٢١٢ فتح البارى، ج١، ص٢٦.
٢١٣ القرآن، التغابن:٧.
٢١٤. شعر الخوارج ص ٦٤.

Dhaka University Institutional Repository

و يقول قطرى بن الفجاءة :

ألم تر أن الموت لا شك نازل و لا بعث إلا للالى في المقابر

حفاة عراة الثواب لربهم فمن بين ذى ربح وآخر خاسر[٢١٥]

٦- الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة التي يجب على الإنسان المسلم أن يلتزم بها ، و ذلك بأن يكون على يقين بأن كل ما أصابه قد خط في اللوح المحفوظ ، و أن ليس هناك مناص من وقوعه . قال تعالى "سنة الله في الذين خلوا من قبل و كان أمر الله قدرا مقدورا".[٢١٦]

و في الشعر الأموى تقابلنا شواهد شعرية تدل على إيمان شعرائه بالقدر.

يقول عبيد الله بن الحر الجعفي :

و ما لأمرى إلا الذى الله سائق إليه و ما قد خط في الزير كاتبه[٢١٧]

و يقول الأحوص الأنصارى :

ليس امرؤ كان في عيش يسر به يوما بأخلد من عاد و من إرم

يهوى الخلود و قد خطت منيته ولا مردّ لأمر خُطّ بالقلم[٢١٨]

و يقول ثابت فطنه :

و ما قضى الله من أمر فليس له رد و ما يقض من أمريكن رشدا[٢١٩]

و يقول طريح بن إسماعيل الثقفي :

يا صلت إن أباك رهن منية مكتوبة لا بد أن يلقاها[٢٢٠]

---

٢١٥. المصدر نفسه ، ص ١٣٤.
٢١٦. القرآن، الأحزاب: ٣٨.
٢١٧. شعراء أمويون، ج١، ص٩٥.
٢١٨. الأحوص الأنصارى ، الديوان، ص ٢٠٠ .
٢١٩. الأغانى ، ج١٤،ص٢٧٠.
٢٢٠. شعراء أمويون ، ج٣، ص٣١٤.

Dhaka University Institutional Repository

و الإيمان بقضاء الله و قدره يقتضى الصبر على المصائب ابتغاء الأجر والثواب من عند الله عز و جل . قال تعالى "والصابرين في الباساء والضراء و حين البأس اولئك الذين صدقوا و أولئك هم المتقون".[٢٢١]

و هذا وضاح اليمن يقول حين ورد عليه نعى أبيه و أخيه يرثيهما :

ساصبر للقضاء فكل حى سيلقى سكرة الموت المذوق
فما الدنيا بقائمة و فيها من الأحياء ذو عين رموق
و للأحياء أيام يقضى تلف ختامها سوقا بسوق[٢٢٢]

ثانيا : العبادات

تمثل العبادات الجانب العملى للإيمان ، فهي الدليل على حقيقة إيمان صاحبها و صدقه . و لأهمية العبادات في حياة الإنسان المسلم فإن الشعر الأموى يحفل بالكثير من الشواهد الشعرية التي تشير إلى العبادات الإسلامية و هو ما يتضح فيما يلى :

١ـ الصلاة

عمود الدين ، والركن الثانى من أركان الإسلام ، حث القرآن المسلمين على أدائها لما تمثله من قيمة روحية في حياتهم ، و حذرهم من التهاون فيها . قال تعالى "قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة .[٢٢٣]

والفرزدق يشير إلى قيمة الصلاة في حياة الإنسان المسلم في قوله :

لقد دلهتنى عن صلاتى و إنه ليدعو إلى الخير الكثير إقامها[٢٢٤]

و كأنه يستوحى في بيته قوله تعالى: "و أقم الصلاة إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر".[٢٢٥]

---

٢٢١ القرآن، البقرة:١٧٧.
٢٢٢ . الأغانى ، ج٦، ص ٢٢٩.
٢٢٣ القرآن، ابراهيم:٣١.
٢٢٤ . الفرزدق ، الديوان، ج٢، ص٧٨٣.
٢٢٥ القرآن، العنكبوت:٤٥.

Dhaka University Institutional Repository

و يهجو جرير الفرزدق بعد م أدائه الصلاة مع المسلمين ، قائلا :

ما كان يشهد في المجامع مشهدا فيه صلاة ذوى التقى مشهود[٢٢٦]

٢- الزكاة

أحد أركان الإسلام ، وضعها الخالق لتحقيق التكافل الاجتماعى بين المسلمين يقول جل و عز:"والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنوتيهم أجرا عظيما" .[٢٢٧] والراعى النميرى في قصيدته التي يمدح بها عبد الملك بن مروان ، و يشكو فيها السعاة ، يعلن عن اعترافه و قومه بحق الزكاة في أموالهم ، قائلا :

أولىً أمر الله إنا معشر حنفاء نسجد بكرة و أصيلا

عربٌ نرى لله في أموالنا حق الزكاة منزلا تنزيلا

قوم على الإسلام لمّا يمنعوا ما عونهم و يضيعوا التهليلا[٢٢٨]

و يقول الفرزدق :

فلم يبق إلا من يؤدى زكاته إلينا و معط جزية حين حلت[٢٢٩]

٣- الصوم

أحد أركان الإسلام الخمسة ، قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون". [٢٣٠] و في الشعر الأموى نجد بعض الشواهد الشعرية التي تذكر الصوم .

فهذا عمرو بن القنا التميمى يمدح رفاقه من الخوارج ، فيصفهم بكثرة الصوم ، حتى إن ذلك ظهر على جسومهم ، قائلا :

معى كل أواه برى الصوم جسمه ففي الجسم منه نهكة و شحوب[٢٣١]

---

٢٢٦. الفرزدق ،الديوان ، ج١، ص٣٤٠.
٢٢٧. القرآن، النساء:١٦٢.
٢٢٨. الراعى النميزى ،الديوان ، ص ٥٦.
٢٢٩. الفرزدق ،الديوان، ج١، ص ١٨٦.
٢٣٠. القرآن، البقرة:١٨٣.

Dhaka University Institutional Repository

و يقول العرجى هاجيا :

يظل يرائى بالصيام نهاره و يلبس في الظلماء سمطى قرنفل[٢٣٢]

و يقول خلف بن خليفة :

فيارب أخرجها فإنك مخـــــرج من الميت حيا مفصحا بكلام

فتعلم ما شكرى إذا ما قبضتـــها و كيف صلاتى عند ها وصيامى[٢٣٣]

٤- الحج

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام ، قال تعالى :"و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا و من كفر فإن الله غنى عن العالمين ".[٢٣٤] و قال صلى الله عليه وسلم" إن الإسلام بنى على خمس شهادة أن لا اله الا الله ، و إقام الصلاة، و إيتاء الزكاة و صيام رمضان ، و حج البيت"[٢٣٥].

و في الشعر الأموى يتردد ذكر الحج و مناسكه في شعر الغزل بوجه خاص ، حيث عمد الغزلون في الحجاز إلى الركض خلف الحاجات والمعتمرات في كل مشاعر الحج ، استلها ما لقصائدهم الغزلية .

يقول محمد الميرى :

أعان الذى فوق السماوات عرشه مواشى بالبطحاء موتجرات

مررن بفخ ثم رحن عشيـــــة يلبين للرحمن معتمـــرات

يخبئن أطراف البنان من التقى و يقتلن بالألحاظ مقتدارات

وليست كأخرى أوسعت جنب درعها و أبدت بنا الكف للجمـرات

و غالت ببان المسك و حفا مرجلا على مثل بدر لاح بالظلمات

و قامت ترأى بين جمع فافتنـت برؤيتها من راح من عرفات[٢٣٦]

---

٢٣١ . شعر الخوارج، ص ١٠٣.
٢٣٢ . العرجى ،الديوان، ص ١٨٩.
٢٣٣ . الشعر والشعراء، ج٢،ص٧١٩.
٢٣٤ القرآن، آل عمران: ٩٧.
٢٣٥ . صحيح مسلم ،ج١، ص٤٥.
٢٣٦ . شعراء أمويون، ج٣، ص١٢٤.

Dhaka University Institutional Repository

ثالثا : المثل والأخلاق الإسلامية

جاء الإسلام يحمل معه مجموعة من المثل والأخلاق الإسلامية التي أراد لها أن تحكم حياة المجتمع الإسلامى و علاقات أفراده فيما بينهم . و قد تعرضنا في دراستنا لأثر الإسلام في موضوعات الشعر الأموى ، إلى كثير من هذه المثل كالعدل والتقى الصلاح والزهد و العفة و غيرها . و سنعرض هنا لبعض المثل التي لم نتعرض لها من قبل .

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ميز الله الإنسان المسلم و فضله على غيره بهذه الصفة التي أراد لها أن ترتبط بحياته ، و هو ما يدل عليه قوله تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله . . . ".[٢٣٧] و مليكة الشيبانية في رثائها لعمها تجعل الأمر بالمعروف أحد مآثره ، فتقول :

أصبرت عن عمى الذى قد كان بالمعروف آمر[٢٣٨]

كما تضفي هذه الصفة المثالية على الضحاك بن قيس الخارجى فى قولها ترثيه :

ذهب الذى قد كان يأمرنا بالخوف والمعروف والذكر[٢٣٩]

٢- برالوالدين

دعا الإسلام في محكم التنزيل إلى بر الوالدين والإحسان إليهما قال تعالى : "و وصينا الإنسان بوالدين إحسانا".[٢٤٠] و هذا المعنى يعبر عنه أعشى همدان في قوله:

نحن ولدناك فلا تجفنا والله قد وصاك بالولد[٢٤١]

---

٢٣٧ القرآن، آل عمران: ٦٥.
٢٣٨ . شعر الخوارج، ص ٢٣٩.
٢٣٩ . نفسه ، ص ٢٣٨.
٢٤٠ القرآن، الاحقاف:١٥.
٢٤١ . اعشى ،الديوان ،ص ١١٠.

Dhaka University Institutional Repository

٣- صلة الأرحام

من الأمور التي حث الإسلام عليها و حذر من قطعها صلة الأرحام ، قال تعالى: "فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض و تقطعوا أرحامكم". [٢٤٢] و قال الرسول صلى الله عليه وسلم" من قع رحما ، أو حلف على يمين فاجرة رأى و باله قبل أن يموت" [٢٤٣]. و الفرزدق يجد في أبياته من قطع الأرحام وما تجره من الذنوب قائلاً: [٢٤٤]

فلا تقطعوا الأرحام منا فإنها ذنوب من الأعمال يخشى إثامها.

---

[٢٤٢] القرآن، محمد:٢٢.
[٢٤٣] . سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ج٣،ص ١١٤.
[٢٤٤] الفرزدق ،الديوان، ج٢،ص٣٤١.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الخامس: العناصر الإسلامية في الأحكام الفقهية و الحدود الشرعية و القصص القرآني في العصر الأموي

الشعر ـ كما هو معلوم ـ تعبير عن العواطف، الأحاسيس التي تختلج داخل قلب الشاعر في لحظات انفعاله ، و من هنا فهو ليس مجالا لذكر الأحكام الفقهية أو الحدود الشرعية ، و إلا تحول في حقيقته إلى نظم ، و فرق بين الشعر والنظم ، إذ أن الأخير لا يلتقى مع الشعر إلا في الوزن و القافية ، و ما كل موزون مقفي يعد شعرا . غير أننا لا نعدم من خلال استعراض الشعر الأموى أن نجد خلاله بعض الشواهد الشعرية التي تشير إلى بعض الأحكام الفقهية ، أو بعض الحدود الشرعية التي تدل على معروف الشعراء بها . و هي في الغالب تجيء من خلال هجاء الشاعر لخصومة بمخالفة الشريعة الإسلامية . و لعل من البديهي القول بقلة أو ندرة أمثال هذه الشواهد بأعتبار ما ذكرناه عن حقيقة الشعر .

١ـ الأحكام الفقهية

لقد مربنا في مواضع مختلفة من هذا البحث، ذكر بعض الشواهد الشعرية التى تدل على بعض الأحكام الفقنيه كتحريم الزنا ، والخمر ، و كجواز التيمم عند عدم وجود الماء ، وجواز قصر الصلاة في السفر ، و فرض الجزية على النصارى و غير ذلك و سنورد هنا بعض الإضافات الجديدة القليلة التي لم يتيسر لنا ذكرها من قبل

فالعرجى يظهر معرفته بأحكام القضاء في الإسلام ، فهو يذكر وجوب وجود الشهود أواداء اليمين للفصل في القضايا ، فيقول في إحدى غزلياته :

فاجعلى بيننا و بينك عدلا لا تحيفي ولا يحيف علينا
و أعلمى أن في القضاء شهودا أو يمينا فاحضرى شاهدينا[٢٤٥]

و يذكر جميل بن معمر وجوب كون الشاهد عدلا ، فيقول :

فما لك لما خبر الناس إننى أسأت بهر الغيب لم تسلينى
فأبلى عذرا أو أجيء بشاهد من الناس عدل أنهم ظلمونى[٢٤٦]

---

[٢٤٥] . العرجي ،الديوان ، ص ١٩٤.

Dhaka University Institutional Repository

و يشير عمر بن أبى ربيعة إلى وجوب أن يدلى الإنسان بشهادته ، فيقول :

صدقت و من يعلم فيكتم شهادة على نفسه أو غيره فهو أظلم[٢٤٧]

و في قصيدته التي يمدح بها الوليد بن عبد الملك ، و يشكو فيها من العمال ، يشير الفرزدق -ضمنا- إلى تحريم الربا ، و ذلك بذكر العصير الذى ينتظر المرايين ، قائلا :

إذا وضع السياط لنا نهارا أخذنا بالربا سرق الحرير

فأدخلنا جهنم ما أخذنا من الإرباء من دون الظهور[٢٤٨]

و يستفيد ذو الرمة من أحكام الدية في الفقه الإسلامى ، مما يقرره الفقهاء من أن حوار الناقة لا يعد فيها ، فيقول ساخرا من بنى أمرىء القيس :

يعد الناسبون إلى تميم بيوت العز أربعة كبارا

يعدون الرباب لهم و عمرا و سعدا ثم حنظلة الخيارا

و يهلك بينها المرئى لغوا كما ألغيت في الدية الحوارا[٢٤٩]

و يعانى وضاح اليمن من بخل حبيبته بالقبلة أو ما شابهها ، فيذكرلها فتوى الترخيص في اللمم ، و كأنه يستوحى قوله تعالى: "ولله ما في السموات و ما في الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا و يجزى الذين احسنوا بالحسنى ، الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم . . . ".[٢٥٠]

يقول وضاح اليمن :

إذا قلت يوما نولينى تبسمت و قالت معاذ الله من فعل ما حرم

فما نولت حتى تضرعت عندها و أعلمتها ما رخص الله في اللهم[٢٥١]

---

٢٤٦. جميل بن معمر ،الديوان،ص ٢٨٤.
٢٤٧. عمر بن أبى ربيعة ،الديوان، ص ٢١٥.
٢٤٨. الفرزدق ،الديوان ، ج١، ص٢٨٥.
٢٤٩. الديوان، ص ٢٧٦.
٢٥٠. القرآن، النجم:٣١-٣٢.
٢٥١. الأغانى، ج٦، ص٢٢٨.

Dhaka University Institutional Repository

و يحرم ابن شيخان مولى المغيرة بن شعبة على نفسه ود بنى مطيع ، و يستمد للتعبير عن ذلك صورة فقهية تتمثل في تحريم الدهن للرجل المحرم، قائلا :

حرام كنتى منى بسوء و أذكر صاحبى أبدا بذام
لقد أحرمت ود بنى مطيع حرام الدهن للرجل الحرام[٢٥٢]

و يعير جرير قوم تغلب بإتيان النساء في المحيض ، و هو ما يحرمه الشرع، فيقول :

فإن البرية لوجمعت لألفيت تغلب أشرارها
فما يتقون محيض النساء ولا يستحينون أطهارها[٢٥٣]

كما يعير نساء بنى تيم بعد م الغسل من الجنابة ، فيقول :

فما اغتسلت تميمة من جنابة ولا غسلت ميتا بماء ولا سدر[٢٥٤]

و قد حرم الله عز و جل قتل النفس بغير الحق ، و قد نص على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: "ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم و صاكم به لعلكم تعقلون" .[٢٥٥]

و قد ترددت هذه الفكرة كثيرا في شعر الغزل في العصر الأموى ، فمن ذلك قول جرير :

عوجى علينا و أربعى ربة البغل ولا تقتلينى لا يحل لكم قتلى[٢٥٦]

و يقول عمر بن أبى ربيعة :

لا تقتلينى ياعثيم فإننى أخشى عليك عقاب ربك في دمى
إن لم يكن لك رحمة و تعطف فتحرجى من قتلنا أن تأثمى[٢٥٧]

و يقول يزيد بن الطثرية :

سلى هل أحل الله من قتل مسلم بغير دم أو هل على قتيل[٢٥٨]

---

٢٥٢ . ديوان أشعار الموالى، ج٢، ص ١٩٤.
٢٥٣ . جرير ،الديوان ، ج١، ص٢٦٣.
٢٥٤ . نفسه، ٥٩٨/٣.
٢٥٥ القرآن، الانعام:١٥١.
٢٥٦ . جرير ،الديوان ، ص ٢٢٩.
٢٥٧ . عمر بن ابى ربيعة ،الديوان، ص ٢٢٩ .

Dhaka University Institutional Repository

و يقول الفرزدق :

يا ويح أخت بنى كنانة إنهـــا لبخيلة بشفاء من لم يجزم

فلئن سفكت دما بغير جريـــرة لتخلدن مع المذاب الآلم[٢٥٩]

٢- الحدود الشرعية

ليس في الشعر الأموى في هذا المجال إلا الشواهد الشعرية القليلة التي تتناثر هنا وهناك ، و جرير يمتاز في شعره - من بين الشعراء الأمويين - بإلمائه بالحدود الشرعية الإسلامية .

فهو يدعو إلى تنفيذ حد الرجم في الفرزدق ، و هو الحد الذى وضعه الشارع للزانى المحصن .

يقول جرير :

فإن ترجم فقد وجبت حدود و حل عليك ما لقيت ثمود[٢٦٠]

و يطالب بتنفيذ هذا الحد الشرعى في إحدى النساء ، قائلا :

قاد الفرزدق يا حميد اليكم حوطا و كان حدود الأحجارا[٢٦١]

و يقول - أيضا - يهجو المرار بن منقذ البرجمى و قومه :

بنى منقذ ما شأن منحة جاركـــم تدفن أظلاف لها و قرون

و لو نزلوا بالبيت ما بات آمنـــا حمام لدى البيت الحرام قطون

و لو يعلم السلطان ما تفعلونـــه لبانت يمين منكم و يمين[٢٦٢]

و في غزل جرير نجده يشير إلى الحكم الشرعى في القتل و هو القود أو الدية ، فهو يقول :

فلا دية - سقيت - و ديت أهلى ولا قودا بقتلى مستفادا[٢٦٣]

---

٢٥٨. يزيد بن الطثرية ،الديوان ،ص ٩٨.
٢٥٩. الفرزدق ،الديوان ، ج٢،ص٢٢٧.
٢٦٠. جرير ،الديوان ، ج١، ص٣١٩.
٢٦١. المصدر نفسه ، ج٢، ص٥٢٩.
٢٦٢. المصدر نفسه،ص٥٦٣.
٢٦٣. المصدر نفسه، ج١، ص١١٧.

Dhaka University Institutional Repository

و يقول أيضا :

هل في الغواني لمن قتلن من قود أو من ديات لقتلى الأعين الحور[٢٦٤]

القصص القرآني

ساق القرآن الكريم بين آياته كثيرا من القصص التي تدور حول الأنبياء ولأمم القديمة ، و كان الهدف، منها أخذ العظة والاعتبار بها ، و هو ما يدل عليه قوله تعالى "لقد كان في قصص عبرة لأولى الألباب[٢٦٥] كما كانت تهدف إلى تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم حيث تبين له أن ما يلقاه من عناء في سبيل الدعوة الإسلامية قد لقيه قبله الأنبياء فلا بيأس ولا يحزن .

و قد استفاد الشعر الاموى من هذه القصص استفادة كبيرة ، حيث عمد الشعراء إلى توظيف بعض شخصياتها ، أوجانب من جوانبها في تكوين الصور الفنية التي تخدم أفكارهم الشعرية ، و هو ما يتضح فيما يلى :

قصة آدم

أشار القرآن الكريم في عدة مواضع منه إلى قصة آدم و خروجه و زوجه من الجنة بعد أن أغواهما إبليس فأطاعاه ، و من ذلك قوله تعالى: "و قلنا يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة و كلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه و قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر و متاع إلى حين".[٢٦٦]

والفرزدق الذى يعد واحدا من أكثر شعراء العصر تأثرا بالقرآن يربط في أبياته - التي قالها بعد طلاقه للنوار زوجته - بين حالته بعد الطلاق ، و حالة آدم بعد خروجه من الجنة ، ليصور الحالة النفسية التي يعيشها ، فهو يقول :

ندمت ندامة الكسعيّ لمّا غدت منى مطلقة نوارُ

و كانت جنتى فخرجت منها كآدم حين لجّ به الضرار[٢٦٧]

---

٢٦٤ . المصدر نفسه ، ج١،ص١٤٥.
٢٦٥ . القرآن ،يوسف: ١١١.
٢٦٦ القرآن، البقرة: ٣٥-٣٦.
٢٦٧ . الفرزدق ،الديوان ، ج١، ص٢٩٥.

Dhaka University Institutional Repository

و في قصيدة التي يهجو بها ابليس يشير الفرزدق ايضا إلى قصة خروج آدم ، و ذلك حين أخذ يستعرض مخازى إبليس مع من أغواهم .

يقول الفرزدق :

و آدم قد أخرجته و هو ساكن و زوجته من خير دار مقام

واقسمت يا إبليس انك ناصح له ولها إقسام غير اثام

فظلا يخيطان الوراق عليهما بأيد يهما من أكل شرطعام[٢٦٨]

إبليس

أن شخصية إبليس التي تعد إحدى شخصيات قصة آدم القرآنية هي أنموذج للإغواء و الضلال ، و قد اقترنت بهذه الصفة عند شعراء العصر الأموى .

يقول العرجى يهجو امرأة :

و زير لها إبليس في كل حاجة لها عند ما تهوى له يتمثل[٢٦٩]

و يقول جرير مفتخرا :

نحن الذين ضربنا الناس عن عُرُضٍ حتى استقاموا و هم أتباع إبليس[٢٧٠]

و يقول الفرزدق ما دحا :

لقد ضرب الحجاج ضربة حازمٍ كما جند إبليس لها و تضعضعوا[٢٧١]

و يهجو شاعر من شعراء الأنصار زيد بن على بقوله :

ألا يا ناقض الميثاق أبشر بالذى ساكا

نقضت العهد والميثاق قدما كان قد ما كا

لقد أخلف إبلس الذى قد كان منا كا[٢٧٢]

---

٢٦٨ . المصدر نفسه ،الديوان، ج٢، ص٢١٤.
٢٦٩ . العرجى ، الديوان ،ص ١٥٢.
٢٧٠ . جرير ،الديوان، ج١، ص١٢٩.
٢٧١ . الفرزدق ، الديوان ، ج١ ، ص ٤١٧.
٢٧٢ . تاريخ الطبرى، ج٧، ص١٩٠.

Dhaka University Institutional Repository

قصة يوسف

يعد يوسف عليه السلام أنموذجا للإنسان المؤمن الصابر المتمسك بقيمه الدينية رغم كل الصعوبات التي يلقاها ، والتي تحاول زحزحته عن مبادئه ، كما أنه يعد أنموذ جا للإنسان المتسامح الذى يقابل الإساءة بالإحسان ، إذ يعفو عن أخوته رغم كل ما لقيه من إساءة منهم .

و هذه الجزئية من قصة يوسف القرآنية و التي جاءت في قوله تعالى "قالوا تالله لقد أثرك الله علينا و إن كنا لخاطئين ، قال لا تثتريب عليكم اليوم يغفر الله لكم و هو أرحم الراحمين". [٢٧٣] يشير إليها جرير في قصيدته التي يمدح بها سليمان بن عبد الملك و ذلك حين يقول :

كونوا كيوسف لما جاء إخوته واستعرفوا قال ما في اليوم تثريب

الله فضله والله و فقه توفيق يوسف إذ وصاه يعقوب[٢٧٤]

و يشير الفرزدق إلى ذلك في قوله يخاطب، يزيد بن عبد الملك :

كن مثل يوسف لما كاد إخوته سل الضغائن حتى ماتت الحقد[٢٧٥]

قوم لوط

كان قوم لوط كما ذكر القرآن يأتون الذكر دون الأناث ، يصرون على إتيان هذه الفاحشة ، و لم يرتدعوا عن ذلك عند ما نهاهم الله عن ذلك على لسان نبيه لوط ، فحل عليهم العذاب . قال تعالى: "و لوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة و أنتم تبصرون ، ائنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون". [٢٧٦] و في هجائه لعرادة النميرى راوية الراعى يقرنه جرير بقوم لوط ، قائلا :

عرادة من بقية قوم الوط ألا تبا لما عملوا تبابا[٢٧٧]

---

٢٧٣ القرآن، يوسف:٩١-٩٢.

٢٧٤ . جرير ، الديوان، ج١، ص٣٤٩.

٢٧٥ . الفرزدق ، الديوان ، ج١، ص١٩٣.

٢٧٦ القرآن،النمل:٥٤-٥٥.

٢٧٧ . جرير ،الديوان، ج٢، ص ٨١٩.

Dhaka University Institutional Repository

قصة يونس

أشار القرآن الكريم إلى قصة يونس مع الحوت في قول تعالى: "فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى و هو مكظوم ، لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء و هومذ موم".[٢٧٨] و إلى ذلك يشير الفرزدق في قوله :

لما رأيت الأرض قد سد ظهرها ... و لم تر إلا بطنها لك مخرجا

دعوت الذى ناداه يونس بعد ما ... ثوى في ثلاث مظلمات ففرجا[٢٧٩]

و في قوله أيضا :

و لكن ربى رب يونس إذا دعا ... من الحوت في موت من البحرسائل

دعا ربه والله أرحم من دعا ... واد ناه من داع دعا متضائل [٢٨٠]

قصة نوح

لقد وردت قصة نوح في كتاب الله في أكثر من موضع ، و منه قوله تعالى: "و نادى نوح ابنه و كان في معزل يا بنى أركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم و حال بينهما الموج فكان من المغرقين" .[٢٨١]

و في قصيدته التي يمدح بها سليمان بن عبد الملك و يهجو الحجاج يقول الفرزدق مصورا طغيان الحجاج و مصيره :

فلما عتا الحجاد حين ظغى به ... غنى قال إنى مرتق في السلالم

فكان كما قال ابن نوح سأرتقى ... إلى جبل من خشية الماء عاصم

رمى الله في جثمانة مثلما رمى ... عن القبلة البيضاء ذات المحارم

جنودا تسوق الغيل حتى أعادها ... هباء و كانوا مطرخمى الطراخم

نصرت كنصر البيت إذ ساق فيله ... إليه عظيم المشركين الأعاجم[٢٨٢]

---

٢٧٨ القرآن، القلم:٤٨-٤٩.
٢٧٩ . الفرزدق ، الديوان، ج١ ، ص ١١٧.
٢٨٠ . نفسه ١٣٩/٢.
٢٨١ القرآن، هود:٤٣.
٢٨٢ . الفرزدق ،الديوان ، ج٢،ص٣٠٩.

Dhaka University Institutional Repository

والأبيات الثلاثة الأخيرة تشير إلى قصة أصحاب الفيل الذين أرادوا هدم الكعبة ، والتي أوردها القرآن في سورة الفيل .

و يشير الفرزدق إلى غرق قوم نوح بالطوفان حين يقول :

و كم عصى الله من قوم فأهلكهم بالريح أو غرقا بالماء طوفانا[٢٨٣]

و البيت يشير - أيضا - إلى قصة عاد التي أهلكها الله بالريح العاتية .

كما يشير جرير إلى دعاء نوح ، واستجابة الله له في مديحه للحجاج ، و ذلك حين يقول :

دعا الحجاج مثل دعاه نوح فاسمع ذا المعارج فاستجابا[٢٨٤]

و عند ما مدح مسلمة بن عبد الملك ، أشاد جرير بقيادته للجيوش و شبهه بنوح في قيادته للسفينة ، فقال :

مسلم جرار الجيوش إلى العدا كما قاد أصحاب السفينة نوح[٢٨٥]

و القرآن يذكر أن نوحا عاش في قومه خمسين سنة و تسعمائة قال تعالى "و لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان و هم ظالمون"[٢٨٦] . فهو بذلك أنموذج للإنسان المعصر . و من هنا نجد القحيف العجلى عند ما تغزل بامرأة تدعى خرقا" ، رأى أنها تزداد ملاحة في عينيه حتى ولو تجاوزت عمر نوح المديد ، فهو يقول :

و خرقاء لا تزداد إلا ملاحة و لو عمرت تعمير نوح و جلت[٢٨٧]

و عمر بن أبى ربيعه يرضى بالصمت عمر نوح ، إذا كان ذلك مطلب محبوبته، فيقول :

و لو أقسمت لا يكلم حتى عمر نوح بعيشه ما عصاكا[٢٨٨]

---

٢٨٣ . نفسه ،ص٣٢٨.
٢٨٤ . جرير ،الديوان، ج١، ص٢٤٤.
٢٨٥ . نفسه ، ج٢، ص٧٨٨.
٢٨٦ القرآن، العنكبوت:١٤.
٢٨٧ . الأغانى، ٨٥/٢٤.
٢٨٨ . عمر بن أبى ربيعة ، الديوان ، ص ٤٠٠.

Dhaka University Institutional Repository

قصة سليمان

ذكر القرآن أن الله سخر لسليمان الريح ، و هو يدل عليه قوله تعالى :"فسخر نا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب".[٢٨٩]

والفرزدق يشير إلى ذلك في قوله :

و من سمك السماء له فقامت و سخر لا بن داود الشمالا[٢٩٠]

و يشبه يزيد بن الحكم سليمان بن عبد الملك بسليمان بن داود في عدله و فضله ، فيقول :

سمّيت باسم امرىء أشبهت شيمته عدلا و فضلا سليمان بن داودا

أحمد به في الورى الماضين من ملكٍ وأنت أصبحت في الباقين محمود[٢٩١]

و في قصيدته التي يمدح بها الوليد بن عبد الملك ، و يشيد بتحويله الكنيسة إلى مسجد ، يستفيد الفروزدق من جانب من جوانب قصة سليمان و ذلك في قوله :

فُهمت تحويلها عنهم كما فهما إذ يحكمان لها في الحرث و الغنم

داود والملك المهدى اذ حكما أولادها واجتزاز الصوف بالجلم

فهمك الله تحويلا لبيعتهم عن مسجد فيه يتلى طيب الكلم[٢٩٢]

و قد اقتبس ذلك من قوله تعالى: "و داود و سليمان إذ يحكمان في الحرث إذ تغشت فيه غنم القوم و كنا لحكمهم شاهدين ، ففهمنا ها سليمان و كلا أتينا حكما و علما و سخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير و كنا فعلين".[٢٩٣]

قصة موسى

أشار الشعر الأموى إلى عدد من الجوانب التي تعرض لها القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام .

---

٢٨٩ القرآن، ص:٣٦.
٢٩٠ . الفرزدق ،الديوان ، ج٢، ص٧٠.
٢٩١ . شعراء أمويون، ج٣، ص ٢٨٥.
٢٩٢ . الفرزدق ، الديوان ، ج٢، ص٢١٠.
٢٩٣ القرآن، الأنتياء:٧٨-٧٩.

Dhaka University Institutional Repository

فإلى غرق فرعون الذي أشار إليه القرآن في أكثر من موضع و من ذلك قوله تعالى :"و في موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين ، فتولى بركنه و قال ساحر أو مجنون ، فأخذ ناه و جنوده فنبذ ناهم في اليم و هو مليم". [٢٩٤] و يشير الفرزدق في قصيدته التي يهجو بها إبليس

إذ يقول :

فقلت له هلا أخيك أخرجتْ يعينك من خضر البحور طوامى
رميت به في اليم لما رأيته كفرقة طودى يذبل و شمام
فلما تلاقى فوقه الموج طاميا نكصت، و لم تحتل له بمرام[٢٩٥]

و يشبه كل من جرير والفرزدق الآخر بأنه الساموى .

فيقول جرير هاجياً الفرزدق :

و لما دعوت العنبرى ببلدة إلى غير ماء لا قريب ولا أهل
ضللت ضلال السامرى و قومه دعاهم فظلوا عاكفين على عجل
فلما رأى أن الصحارى دونه و معتلج الأنقاء من ثمج الرمل
بلعت نسىء العنبرى كأنما ترى بنسىء العنبرى جنى النحل[٢٩٦]

و يقول الفرزدق هاجيا جرير :

و لقد ضلت أباك تطلب دار ما كضلال ملتمس طريق و بار
لا يهتدى أبدا و لو نُعتتْ له بسبيل واردة ولا إصدار
قالوا عليك الشمس فاقصد نحوها والشمس نائية عن السفار
لما تكسع في الرمال هدت له عرفاء هادية بكل وجار
كالسامرى يقول إن حركته دعنى فليس على غير إزارى[٢٩٧]

و يشبه جرير سراقة البارقى بالساموى فيقول :

يا آل بارق لو تقدم ناصح للبارقى فإنه مغرور
كالسامرى غداة ضل بقومه والعجل يعكف حوله و يخور[٢٩٨]

يأجوج و مأجوج

ضمن قصة ذى القرنين يشير القرآن إلى قصة يأجوج و ما جوج في قوله تعالى: "قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج و مأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا و بينهم سدا". [٢٩٩] كما أشار إليهم في قوله عز و جل" حتى إذا فتحت يأجوج و مأجوج و هم من كل حدب ينسلون". [٣٠٠]

---

٢٩٤ القرآن، الذاريات:٣٨-٤٠.
٢٩٥ . الفرزدق ،الديوان، ج٢، ص٢١٣.
٢٩٦ . جرير ، الديوان ، ج٢، ص٩٥٢.
٢٩٧ . الفرزدق ، الديوان، ج١ ، ص٣٦٠.
٢٩٨ . جرير ،الديوان ، ج١، ص٣٦٦.
٢٩٩ القرآن، الكهف: ٩٤.
٣٠٠ القرآن، الانبياء:٩٦.

Dhaka University Institutional Repository

و الفرزدق يستوحى كثرة هذه الجماعة ، فيقول في قصيدته التي يمدح بها العذافر بن يزيد التيمى :

و لو ضافه الدجال يلتمس القرى و حل على خبازه بالعساكر
بعدة يأجوج و ما جوج جوعا لأشبعهم شهرا غذاء العذافر[٣٠١]

عاد و ثمود

عاد و ثمود من الأمم الضالة التي كذبت بأنبيائها فأنزل بها الله عذابه جزاء ما عملت ، و قد ذكر القرآن قصتهم في عدة مواضع منه .

فأما عاد ، فقد أهلكهم الله بالريح العاتية ، قال تعالى: "فأما عاد فأهكوا بريح صرصر عاتيه ، سخرها عليهم سبع ليال و ثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية".[٣٠٢] و يصور جرير جيوش أمير المؤمنين و كونها و بالا على عباد الجحافي - أحد خوارج اليمن - بالريح التي كانت نحسا على قوم عاد ، فيقول :

لا قوا بعوث أمير المؤمنين لهم كالريح إذ بُعثتْ نحسا على عاد[٣٠٣]

و يشبه جرير - ذاته - بنى تغلب بقوم عاد . و ذلك في قوله :

كانت بنو تغلب لا يعل جدهم كالمهلكين بذى الأحقاف إذ دمروا
صبت، عليهم عقيم ما تناظرهم حتى أصابهم بالحاصب القدر[٣٠٤]

و يشير الفرزدق إلى مصرع عاد بالريح في قوله :

و كم عصى الله من قوم فأهلكهم بالريح أو غرقا بالماء طوفانا[٣٠٥]

---

٣٠١ . الفرزدق ، الديوان، ج١، ص٣١٨.
٣٠٢ القرآن، الحاقه:٦-٨.
٣٠٣ . جرير ،الديوان ، ج٢، ص٧٤٣.
٣٠٤ . المصدر نفسه ، ج١،ص١٥٨.
٣٠٥ . الفرزدق ، الديوان، ج٢، ص٣٢٨.

Dhaka University Institutional Repository

الباب الرابع

العناصر الإسلامية في النثر العربي للعصر العباسي ٧٥٠-١٢٥٨م

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الأول : العناصر الإسلامية في الخطابة في العصر العباسي الأول

كان للخطابة في صدر هذا العصر مكانة في النفوس وسلطان على القلوب ، لاعتماد القوم عليها في توطيد الملك ، وتحميس الجند ، واستقبال الوفود . وكان للخلفاء الأولين ودعائهم فيها الشان الرفيع والشأو البعيد ، كالمنصور والمهدي والرشيد والمأمون وداود بن على وخالد بن صفوان وشبيب بن شبيبة

فلما استوثق الأمر لبنى العباس وقام الموالى بسياسة الدولة وقيادة الجيش ، وقل النضال بالسنان واللسان ، ضعفت الخطابة لضعف القدرة عليها، وقلة الدواعي إليها، وحلت الرسائل والمنشورات محلها في دفع العظائم وسل السخائم. وقصرت على خطب الجمع والعيدين والزواج. على أن الخلفاء أنفسهم ما برحوا يخطبون الناس ويؤمونهم إلى عهد الخليفة الراضي. فلما غل بنو بويه أيديهم و حصروهم في دورهم عهدوا بالخطابة والإمامة إلى الكفاة من العلماء، فنبغ في آخر هذا العصر طائفة من الأدباء شهروا بهذا النوع من الخطابة : كالخطيب البغدادي والخطيب، التبريزي. ولما استعجم المسلمون وملك العيّ ألسنة الوعّاظ فلم يستطيعوا إنشاء الخطب في الموضوعات المختلفة ، فعمدوا إلى استظهار خطب أسلافهم كابن نباتة المصري ، وأخذوا يرددونها فوق المنابر من غير فهم لمعناها، ولا علم بمغزاها . ودرجوا على هذه الحال المخزية تلك القرون الطويلة حتى أدركتها عوامل النهضة المضرية الحديثة فرقاها قسم الوعظ والإرشاد بالجامعة الأزهرية[١].

بعض النموذج من خطب هذا العص

خطب المنصور بعد قتل أبى مسلم قال:

أيها الناس: لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ، ولاتسروا غش الأئمة ، فإنه لم يسر أحد قط منكرة إلا ظهرت في آثار يده ، أو فلتات لسانه ، وأبداها الله لإمامه ، لإعزاز دينه وإعلاء حقه . إنا لن نبخسكم حقوقكم ، ولن نبخس الذين حقه ، إن من نازعنا عروة هذه القميص أجززناه خبئ هذا الغمد. إن أيا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا على أن من نكث فقد أباح دمه ، ثم نكث بنا فحكمنا عليه حكمه على غيره ، ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه.

ومن خطبه لعبد الملك بن صالح الهاشمي بعد أن خرج من السجن يذكر فيها ظلم الرشيد أباه:

والله إن الملك لشيء ما نويته ولا تمنيته ، ولا قصدت إليه ولا ابتغيته ولو أردته لكان أسرع إلى من السيل الحدور ، ومن النار إلى يابس العرفج . وإني لمأخوذ بما لم أجن ،ومسئول عما لا أعرف ..... الخ.

---

[١] أحمد حسن زيات، تاريخ الأدب العربي (بيروت: دار المعرفة ١٩٩٥م)ص١٥٨.

Dhaka University Institutional Repository

وخطب داود بن على يوم بيعة أبى العباس على منبر الكوفة قال:
شكرا شكرا ! إنا والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهرا ، ولا لنبني فيكم قصرا. أظن عدو الله أن لن نقدر عليه أن روحي له من حطامه ، حتى عثر في فضل زمامه ؟ فالآن حيث أخذ القوس باريها ، وعاد القوس إلى النزعة ، ورجع الملك إلى نصابه في أهل بيت النبوة والرحمة ، أمن الأسود والأحمر . ولكم ذمة الله . لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . لكم ذمة العباس لا ورب هذه البنية – وأوما بيده إلى الكعبة – لا نهيج منكم أحد.

وخطب شبيب بن شيبة يعزى المهدى يوم توفيت أبنته قال :
أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجرا، وأعقبك صبرا ، ولا أجهد الله بلاءك بنعمة و لا نزع منك نعمة ثواب الله خير لك منها ورحمة الله خير لها منك و أحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى رده !.

(أ) الخطابة السياسية

نشطت الخطابة السياسية في مطالع هذا العصر ، إذ اتخذتها الثورة العباسية أداتها في بيان حق العباسيين في الحكم، وكانوا يحسون منذ أول الأمر بأن أبناء عمهم العلويين يضطغنون عليهم استئثارهم بالخلافة من دونهم، فمضوا يؤكدون في خطابتهم أنهم أصحاب هذا الحق ، فهم الذين أدالوا للشعب من بنى أمية وهم الذين قوضوا حكمهم وحطموه حطما ، وقد انهالوا عليهم بالتجريح والطعن العنيف ، على نحو ما يتضح في خطبة[٢] . أبى العباس السفاح حين بويع بالخلافة في الكوفة ، وفيها نراه يتحدث عن رحمهم وقرابتهم للرسول صلى الله عليه وسلم تاليا من القرآن الحكيم بعض الآيات الخاصة بيت النبوة من مثل قوله تعالي: " إنما يريد ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا"[٣] وما يلبث أن يعرض للسبئية من الشيعة الغالبة قائلا: "وزعمت السبئية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والخلافة منا ، فشاهت وجوههم ، بم ولم أيها الناس ، وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم وأنقذهم بعد هلكتهم. وجمع الفرقة حتى عادنا الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبر. ويتحدث عن الأمويين وظلمهم للرعية وكيف تداركها الله بهم ورد عليها حقوقها المسلوبة . وخطب عمه داود بن على بنفس اللحن ، ويشيد الجاحظ ببيانه وفصاحته قائلا إنه (كان أنطق الناس و أجودهم ارتجالا واقتضابا للقول . وله كلام كثير معروف محفوظ) ويروى من ذلك خطبة في أهل مكة حين وليها لابن أخيه ، وهى تمضى على هذا النمط[٤] :

---

[٢] الطبري، ج٦،ص٨١.
[٣] القرآن، ٣٣:٣٣.
[٤] البيان و التبيين ،ج١،ص ٣٣١.

Dhaka University Institutional Repository

"شكرا شكرا. أما والله ما خرجنا لنحتفر فيكم نهرا ولا لنبنى قصرا ، أظن عدو الله أن لن نظفر به إذ أرخى له في ذمامه ، حتى عثر في فضل خطامه ، فالآن عاد الأمر في نصابه ، وطلعت الشمس من مطلعها ، والآن أخذ القوس باريها ، وعادت النبل إلى النزعة. ورجع الحق إلى مستقره في أهل البيت نبيكم : أهل بيت الرأفة الرحمة".

ويموت السفاح سريعا ، ويخلفه أبو جعفر المنصور ، ولم يكن في العباسيين أبين منه ولا أخطب ، وفي عهده تندلع ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي الملقب بالنفس الزكية بالمدينة ، لسنة ١٤٥ للهجرة ، ويتكاتبان وكل منهما يؤكد حقه في الخلافة وإرثها عن الرسول الكريم . ويشهر كل منهما السلاح في وجه صاحبه ، كما يشهران الخطب ويرسلان سهام القول ، وكان محمد بن عبد الله لا يقل عنه لسنا وفصاحة ، ومن قوله في بعض خطبه[٥]:

"إن أحق الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين . اللهم إنهم قد أحلوا حرامك وحرموا حلالك وعملوا بغير كتابك وغيروا عهد نبيك صلى الله عليه وسلم وآمنوا من أخفت وأخافوا من آمنت ، فأحصهم عددا، واقتلهم بددا ، و لاتُسبق على الأرض منهم أحدا".

ولم يلبث المنصور أن قضى على هذه الثورة قضاء مبرما ، ولم يعد العلويون يحاولون الثورة جهارا على أبناء عمهم ، بل عمدوا إلى السرية خوفا من بطشهم وما عودوه الناس من إقناعهم بالسيف دون اللسان. و تضائلت حينئذ حركات الخوارج ، فلم يكن هناك إلا السيف أو الإذعان . وبذلك كممت الأفواه ، وضعفت الخطابة السياسية في هذا العصر ضعفا شديدا.

(ب) الخطابة الحفلية

ضعفت الخطابة الحفلية التي كنا نعدها في عصر بنى أمية لسبب طبيعي ، وهو أن وفود العرب لم تعد تفد على قصور الخلفاء، وبالتالي لم يعد خطباؤها يفدون عليهم ، فقد أسدلت الحجب بين الخليفة والرعية ، ولم يعد يلقى وفودها ولا خطباءها المفوهين. واقتصرت الخطابة الحفلية حينئذ على بعض مناسبات كأن يموت للخليفة ابن أو بنت فيقف بعض الخطباء لتعزيته ، وكأن يموت خليفة ويتولى خليفة جديد فيجمع بعض الخطباء بين التعزية والتهنئة ، من مثل قول ابن عتبة المهدى يهنئه بالخلافة ويعزيه في أبيه المنصور[٦].

"آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبارك لأمير المؤمنين فيما خلفه له أمير المؤمنين بعده ، فلا مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين ، ولا عقبى أفضل من وراثة مقام أمير المؤمنين ، فأقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية ، وأحتسب عنده أعظم الرزية".

---

[٥] ذيل الأمالى للقالى ، ص ١٢١.
[٦] البيان والتبيين ، ج٢، ص ١٩٣.

Dhaka University Institutional Repository

وكان يُعقدُ لبيعة الحليفة حفل عام يحضره القواد وكبار رجال الدولة ، وعادة يقف بعض الكتاب النابهين خطيبا بين يدي الخليفة الجديد منوها بجلال الخلافة وإرث الحليفة لها وما له على القواد ورجال الدولة والناس من الطاعة علويين وغير علويين. على نحو ما يلقانا عند يوسف، بن القاسم بن صبيح الكاتب في خطبته بين يدي الرشيد حين جلس بين القواد والأمراء والوزراء لأخذ البيعة له ، وهو يستهلها على هذا النمط بعد حمد الله والصلاة على رسوله[٧] :

"إن الله بمنّه ولطفه من عليكم معاشر أهل بيت نبيه ، بيت الخلافة ومعدن الرسالة ، وإياكم أهل الطاعة من أنصار الدولة وأعوان الدعوة من نعمه التي لا تحصى بالعدد، ولا تنقضي مدى الأبد . وأياديه التامة أن جمع ألفتكم وأعلى أمركم ، وشد عضدكم وأوهن عدوكم وأظهر كلمة الحق وكنتم أولى بها وأهلها ، فاعز كم الله وكان الله قويا عزيزا ، فكنتم أنصار دين الله المرتضى والذابين بسيفه المنتضي عن أهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبكم استنقذهم من أيدى الظلمة أئمة الجور والناقضين عهد الله والسافكين الدم الحرام والآكلين الفيئ والمستأثرين به ".

وعلى هذا النحو أصبحت الخطابة الحفلية شيئا نادرا يقال في الحين الطويل بعد الحين ، وبذلك تضاءلت كما تضاءلت الخطابة السياسية ولم يعد لها شأن يذكر.

(ج) الخطابة الدينية

وقد ظل للخطابة الدينية وما اتصل بها من وعظ ازدهارها في هذا العصر ، وعلى نحو ما كان الخلفاء والولاة يشاركون فيها لعصر بنى أمية كانوا يشاركون فيها أيضا لهذا العهد ، إذ نجد للمهدى خطبة بارعة مأثورة[٨] ، كما نجد للرشيد خطبة أخرى رائعة ، وفيها يقول[٩] :

"عباد الله إنكم لم تُخلقوا عبثا ولن تتركوا سدًى ، حصّنوا إيمانكم بالأمانة ودينكم بالورع وصلاتكم بالزكاة ،فقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ولا صلاة لمن لا زكاة له . إنكم سفر مجتازون وأنتم عن قريب تنتقلون من دار فناء إلى دار بقاء ، فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة وإلى الرحمة بالتقوى وإلى الهدى بالإنابة فإن الله تعالى ذكره ، أوجب رحمته للمتقين و مغفرة له للتائبين وهداه للمنيبين .

على أننا نجد الرشيد يستن سنة كانت سببا في أن تضعف هذه الخطابة على ألسنة الخلفاء ، إذ طلب إلى الأصمعي أن يعد لابنه الأمين خطبة يخطب بها يوم الجمعة ، كما طلب

---

٧ تاريخ الطبري، ج٦، ص٤٤٢.
٨ العقد الفريد ، ج٤، ص ١٠١.
٩ المصدر نفسه ، ص١٠٢.

Dhaka University Institutional Repository

إلى إسماعيل اليزيدى وابن أخيه أحمد أن يعدا خطبة مماثلة يخطب بها المأمون[١٠] ، وبذلك سن للخلفاء أن يخطبوا بكلام غيرهم ، وكان المأمون معروفا بالفصاحة و الجهارة وحلاوة اللفظ وجودة اللهجة والطلاوة[١١] ، وقد روى له ابن قتيبة ثلاث خطب[١٢] : أولاها في يوم جمعة وثانيها في يوم الأضحى وثالثها في عيد الفطر وفيها يقول :

"اتقوا الله عباد الله وبادروا الأمر الذي اعتدل فيه يقينكم ولم يحتضر الشك فيه أحدا منكم، وهو الموت المكتوب عليكم ، فإنه لا تستقال بعده عشرة ولا تحظر قبله توبة ، واعملوا أنه لا شيء قبله إلا دونه ، ولا شيء بعده إلا فوقه ، ولا يعين على القبر وظلمته وضيقة ووحشته وهول مطلعه ومسألة ملائكة إلا العمل الصالح الذي أمر الله به فمن زلت عند الموت قدمه فقد ظهرت ندامته وفاتته استقالته ودعا من الرجعة إلى ما لا يجاب إليه وبذل من الفدية مالا يقبل منه ".

ومعروف أن الولاة كانوا يجمعون بين الولاية والصلاة ، ويظهر أنهم أخذوا مع مر الزمن يخبطون بكلام غيرهم ، وقد يندبون من يقوم مقامهم في الصلاة والخطابة ، ويذكر الجاحظ عن محمد بن سليمان العباسي والى البصرة والكوفة لعهد المنصور والمهدى أنه كانت له خطبة يوم الجمعة لا يغيرها ، وهى خطبة قصيرة[١٣].

ولكن إذا كانت الخطابة الدينية أخذت تضعف على لسان الولاة والخلفاء فإنها أينعت في بيئة الوعاظ والنساك ممن كانت، تزخر بهم مساجد بغداد والبصرة والكوفة ، وكانوا أخلاطا من الزهاد و الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ، وكان بعضهم يلم بمجالس الخلفاء لوعظهم ، وأحيانا كانوا يستقدمونهم حتى يبكوهم، بما يوقعون في نفوسهم من خشية عقاب الله وبما يصورون لهم من زفير جهنم، وهم في تضاعيف ذلك يزجرونهم عن ظلم الرعية واقتراف المعاصي والسيئات ، ومن كبارهم الذين عرفوا بمقاماتهم المحمودة بين أيد الخلفاء ثلاثة هم عمرو بن عبيد المعتزلى الزاهد المشهور واعظ المنصور وصالح بن عبد الجليل واعظ المهدى وابن السماك واعظ الرشيد وغيرهم من الوعاظ[١٤].

و كان هولاء الوعاظ يستمدون دائما من الذكر الحكيم و أحاديث الرسول الكريم وأقوال أصحابه و من سبقوهم إلى الوعظ في العصر الأموي من مثل الحسن البصري، و دائما تبهرنا مواعظهم لما أشاعوا فيها من أيمان شديد بالدين وثقة وطيدة بأن ما عند الله خير و أبقى مما في أيدي الناس من متاع الحياة الزائل.

---

١٠ الأغاني ، ج١٨ ،ص ٨٢.
١١ البيان والتبيين، ج١، ص ٩١ -١١٥.
١٢ عيون الأخبار ، ج٢ ، ص ٢٣٥.
١٣ البيان والتبيين ، ج٢ ، ص١٢٩.
١٤ عيون الأخبار، ج٢ ، ص ٢٣٧.

Dhaka University Institutional Repository

وواضح مما روينا من كلام صالح المرى وغيره أنهم ارتقوا بصناعة النثر في المعاني التي كانوا يرددونها رقيا بعيدا، إذ شعبوا وفرعوا في تلك المعاني طويلا ، واستنبطوا فيها كثيرا من الدقائق التي تمس القلوب والعقول. وأضافوا إلى ذلك عناية واسعة بأساليبهم ، وهى عناية تقوم على الدقة في اختيار اللفظ والإحساس المرهف بجمال السبك والصياغة. وأداهم ذلك بعض الأحيان إلى استخدام السجع، بل كان منهم من أكثر من استخدامه مثل الفضل ابن عيسى الرقاشئ وفيه يقول الجاحظ كان سجاعا في قصصه [١٥]، وكان من أخطب الناس وكان متكلما قاصا مجيدا[١٦] ، ويروى من وعظه : "سل الأرض فقل من شق أنهارك وغرس أشجارك فإن لم تجبك حوارا، أجاتك اعتبارا[١٧].

ويقول الجاحظ: كان يتلو الآية التي فيها ذكر الجنة والنار والموت الحشر[١٨] . ثم ينفض في الوعظ . وكان ابنه عبد الصمد قاصا مثله ، وكان أغزر منه وأبين وأعجب وأخطب[١٩] ، وقيل له :لم تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافي (آي روى الأسجاع) وإقامة الوزن ؟ قال : إن كلامي لو كنت لا آمل فيه إلا سماع المشاهد لقل خلافي عليك ، ولكنى أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ، وهو أحق بالتقييد وبقلة التفلت[٢٠].

---

١٥ البيان والتبيين ، ج١ ، ص٢٩٠.
١٦ المصدر نفسه ، ص ٣٠٦.
١٧ المصدر نفسه ، ص ٣٠٨ .
١٨ المصدر نفسه ، ص ٢٩١.
١٩ المصدر نفسه ، ص ٣٠٨.
٢٠ المصدر نفسه ، ص ٢٨٧.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الثاني : العناصر الإسلامية في الخطابة في العصر العباسي الثاني

ضعفت الخطابة السياسية في هذا العصر ، كما ضعفت الخطابة الحفلية ، فكلاهما أصبح شيئا نادرا ، وحتى ما بقى منهما إنما هو شظايا قليلة كتلك الشظايا التي حكاها الطبري عن صاحب الزنج ، بل لقد أجمل رواه من خطبه[٢١] بحيث لا نكاد نتبينها في وضوح . وضعت الخطابة الدينية على ألسنة الخلفاء وإن ظلت مزدهرة في المساجد وفي خطب الجمع والعيدين ، فقد أصبح من المعتاد ألا يخطب الخليفة يوم الجمعة إلا ما كان من الخليفة المهتدى الورع الذي ظل في الحكم نحو عام ، فإنه كان يذهب إلى المسجد الجامع بسامرّاء في كل جمعة وخطب الناس ويؤمهم[٢٢] ، ويروى أن الخليفة المعتضد حاول أن يخطب في بعض الأعياد ، فارتج عليه ولم تسمع خطبته[٢٣]، ولم يخطب خليفة بعده في العصر سوى الراضى ، ولم تؤثر خطبه .

ولكن الخطابة الدينية إن كانت قد ضعفت على ألسنة الخلفاء فإنها نشطت نشاطا عظيما في المساجد فقد كانت تعقد حلقات للوعاظ والقصاص وكان الناس يتحلقون من حولهم فيما يشبه احتفالات الأعياد ، وكان منهم الرسميون الذين تعينهم الدولة للخطابة في أيام الجمع ومنهم غير الرسميين ، وهم الجمهور الأكبر . وكانوا يستمدون في وعظهم وقصصهم من القرآن الكريم ويفسره ، وكانوا يعنون بعون الضعفاء والمساكين واليتامى وبالجهاد وحرب الأعداء مستعينين في ذلك بأعمال البر . وكثير منهم كان يذهب مع الجيوش المجاهدة للوعظ في الحرب وبث روح الحماسة الدينية في نفوس المجاهدين من مثل أبى العباس الطبري الذي كان يعظ ويقص على المجاهدين في طرسوس . ولم يكن يخلو يوم من أيام رمضان من واعظ أو قاص بعد الصلاة . وكانت العامة تشغف بهم شغفا شديدا ، حتى ليحكى عن الطبري أنه تعرض لقاص ببغداد ينكر عليه بعض ما يقوله ، فصاحت به العامة ورموا باب داره بالحجارة . ولا بد أن نفرق بين هؤلاء القصاص الوعاظ وبين قصاص الوعاظ وبين قصاص آخرين كانوا يجلسون للشباب والغلمان في الطرقات ببغداد ويقصون عليهم نوادر الأخبار والحكايات الهزلية ، وكانوا يسلكون في المشعوذين ، ويضطرب بعض المستشرقين فيخلط بينهم وبين القصاص الوعاظ ، ولا صلة بين الطرفين إلا في الاسم ، وهؤلاء الذين كانت الدولة تطاردهم أحيانا كما مر بنا في غير هذا الموضع ، أما قصاص المساجد الوعاظ فكانوا موضع رعاية الدولة منذ عصر بنى أمية ، وظل ذلك بعدهم ، حتى لنجد بعض من يسند إليهم القصص في المساجد يسند إليهم القضاء. أما الوعاظ

---

٢١ الطبري ، ج٩، ص ٤١٤.
٢٢ مروج الذهب ، ج٤،ص ٩٦.
٢٣ الطبري ، ج١٠، ص ٣١.

Dhaka University Institutional Repository

فكان منهم دائما خطباء المساجد في الجمع و الأعياد وأئمتها في الصلاة ، وكان منهم كثيرون فصحاء بلغاء ، فكان الناس يحتشدون حولهم ، مكبرين لهم إكبارا عظيما.

وكانت المساجد دائما مفتوحة ليلا ونهارا ، ودائما يوجد فيها الناس للصلاة وتوجد فيها حلقات التدريس ، فكان الواعظ يختار أي وقت يشاء لموعظته ، وإن كان عادة يجعلها تالية لبعض الصلوات . ومن كبار الوعاظ الذين شاهدتهم بغداد في العصر أبو الحسن على بن محمد الواعظ المصري سنة ٣٣٨ هـ وكان يحضر مجلس وعظه الرجال والنساء.

وأخذت تنشأ منذ أوائل العصر طبقة جديدة من الوعاظ ، كانوا يسمون بالمذكرين ، ويسمى مجلسهم باسم مجلس الذكر أي ذكر الله وتسبيحه ، وكانوا من الصوفية ، بل كانوا خطبائهم و وعاظهم الممتلئين صلاحا وتقوى وورعا، وكانوا يعظون الناس في المساجد وفي الزويا ، خالطين الخوف بالرجاء ، مستشهدين ببعض آى القرآن وبعض الحديث ، وقد يفسرونهما ويعلقون عليهما ، مضيفين من حين إلى حين عباراتهم الصوفية التي تأسر العقول والقلوب. ومن وعاظهم في العصر يحيى بن معاذ الرازى (ت ٢٥٨هـ) ويروى أنه جاء إلى شيراز ، فصعد المنبر ، واجتمع إليه الناس فأول ما بدأ به قوله :

مواعظ الواعظ لن تقبلا حتى يعيها قلبه أولا

وانهال الناس عليه بعد ذلك انهيلا .

ومن أكبر وعاظهم و خطابهم في العصر أبو حمزة الصوفي (ت ٢٦٩هـ) وهو أول من تكلم على رءوس المنابر ببغداد خالطا مواعظه باصطلاحات الصوفية وأفكارهم من صفات الذكر وجمع الهم والمحبة والعشق والأنس . وكان هؤلاء الوعاظ يجذبون إليهم الناس بأكثر مما يجذبهم الوعاظ العاديون القيام حياتهم على الزهد والتقشف ورفض كل متاع.

وهذه الحكايات الصوفية أخذت تكون ضربا من ضروب الآداب الشعبية العربية ، إذ كان الناس يتداولونها رجالا ونساء وشيبا وشبّانا ، وكأن التصوف كان عاملا قويا في ظهور تلك الآداب وطبعها بطوابع الشعب وألفاظه. وتتصل بها الحكايات التي أخذت تؤثر عن كرامات المتصوفة ، بحيث أن الحكيم الترمذى (ت ٣٢٠ هـ) صنف في تلك الكرامات كتابا سماه "ختم الولاية " يريد ولاية الصوفية وأنهم أولياء الله في أرضه ، ولذلك تظهر على أيديهم كرامات كثيرة . وممن تكثر إضافة الكرامات إليه في هذا العصر بنان الحمال المصري (ت ٣١٦هـ) فقد قيل إن خما روية أمر يطرح بين يدي سبع ، فطرح وبقى ليته ، وجعل السبع نشمه ولا يضره ، فلما أصبحوا وجدوه قاعدا مستقبل القبلة والسبع بين يديه . وعجب خما روية ، فأطلقه واعتذر

Dhaka University Institutional Repository

إليه[٢٤]. وحكى أنه كان لرجل على آخر دين : مائة دينار، بوثيقة ، فطلب الرجل الوثيقة فلم يجدها ، فجاء إلى بنان ليدعو له ، لعله يجد الوثيقة الضائعة ، فقال له بنان : أنا رجل قد كبرت وأحب الحلواء ، أذهب إلى قرح (حلوانى) فاشتر رطل حلوا وائتني به ، أعولك ، ففعل الرجل ، وجاءه . فقال له بنان : افتح ورقة الحلواء ، ففتحها ، فإذا هي الوثيقة ، فقال : هذه وثيقتي ، فقال بنان : خذها ، وأطعم الحلواء صبيانك . ولم يكن يؤمن بمثل هاتين الكرامتين إلا عوام المتصوفة ، وهو ما يعنينا ، إذ دارت حكايات هذه الكرامات على ألسنة العامة ، وبذلك كان التصوف عاملا قويما في العصر على ذيوع لون شعبي جديد من الأدب ، وهو لون قصصي ، وقد أخذت تؤلف فيه المصنفات مثل كتاب "ختم الولاية" الآلف ذكره وكانت بدوها شعبية فتداولها كثرة من الأيدي . ولعله من المهم أن نعرف أن خاصة المتصوفة و كبارهم في العصر كانوا ينكرون هذه الكرامات إنكار باتا ، فيحكى عن أبى يزيد البسطامى (ت ٢٦١ هـ) أنه قيل له إن فلانا يمشى في ليلة إلى مكة ، فقال : الشيطان يمشى في ساعة من المشرق إلى المغرب في لعنة الله . وقيل له : فلا يمشى على الماء ويطير في الهواء ، فقال : الطير يطير في الهواء والسمك يمر على الماء[٢٥].

وجاء رجل إلى سهل التسترى (ت ٢٧٣هـ) فقال له : إن الناس يقولون إنك تمشى على الماء، فقال له : سل مؤذن المحلة ، فإنه رجل صالح لا يكذب ، قال : فسألته ، فقال المؤذن لا أدرى هذا ، ولكنه نزل حوض الماء في بعض الأيام ليتطهر ، فوقع في الماء ، فلو لم أكن أنا لبقى فيه[٢٦].

ويروى عن بعض الصوفية أنه قال : كان في نفسي شيء من هذه الكرامات فأخذت قصبة من الصبيان وقمت بين زورقين ، ثم قلت : وعزتك لئن لم تخرج لي سمكة قدرها ثلاثة أرطال لأغرقن نفسي ، قال: فخرجت لي سمكة قدرها ثلاثة أرطال ، فبلغ كلامه الجنيد ، فقال: كان حقه أن تخرج له أفعى تلدغه. والمهم أن التصوف نشر بهذه الحكايات المتصلة باحتمال المتصوفة لأثقال الشظف وما اعتقدته العامة فيما جرى على أيديهم من الكرامات أدبا شعبيا قصيدا كان يدور بين الناس . ولون ثالث من هذه الحكايات كان يقص أخبار المتصوفة لعل خير ما يصوره كتاب أخبار الحلاج ، وهو أخبار وحكايات عنه بألسنة تلامذة. تحمل أحواله وآراءه ومعتقده ، فمن ذلك ما رواه تلميذه إبراهيم الحلواني . قال[٢٧]:

"دخلت على الحلاج بين المغرب والعشاء ، فوجدته يصلى . فجلست في زاوية البيت . كأنه لم يحس بى لاشتغاله بالصلاة ، فقرأ سورة البقرة في الركعة الأولى ، وفي الركعة الثانية آل

---

٢٤ الزاهرة ، ج٣ ، ص ٢٢١.
٢٥ القشيري ، ص ١٦٣.
٢٦ المصدر نفسه ، ص ١٦٤.
٢٧ أخبار الحلاج ، ص ٢٠.

Dhaka University Institutional Repository

عمران ، فلما سلم سجد وتكلم بأشياء لم أسمع بمثلها ، فلما خاض في الدعاء رفع صوته كأنه مأخوذ عن نفسه ، ثم قال : يا إله الآلهة ويا رب الأرباب ويا من (لا تأخذه سنة ولا نوم) رد إلى نفسي لئلا يفتن بي عبادك . يا هو أنا ، وأنا هو ، لا فرق بين إنسيى (وجودي) وهويتك إلا الحدوث والقدم . ثم رفع رأسه ونظر إلى وضحك وجهي ضحكات ، ثم قال : يا أبا اسحق إما ترى أن ربى ضرب قدمه في حدوثي حتى استهلك حدوثى في قدمه ، فلم يبق لي في صفة إلا صفة القديم ، ونطقي في تلك الصفة . والخلق كلهم أحداث ينطقون عن حدوث. ثم إذا نطقت عن القدم ينكرون على ويشهدون بكفري ويسعون إلى قتلى . وهم بذلك معذورون ، وبكل ما يفعلون بي مأجورون".

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الثالث : العناصر الإسلامية في الرسائل في العصر العباسي الأول

(أ) الرسائل الديوانية

نشطت الرسائل الديوانيه في هذا العصر نشاطا واسعا ، فقد توفر عليها منات من أصحاب الأقلام يحدوهم في ذلك ما كانت تدره عليهم من أرزاق واسعة. و كان من يظهر منهم مهارة في دواوين الخلافة سرعان ما يرقى إلى رياسة الديوان الذي يعمل فيه . و قد تقبل عليه الدنيا فيصبح رئيسا لمجموعة من الدواوين ، و قد يصبح وزيرا للخليفة يسوس الدولة و يدبر أمورها و شؤونها ، فإن لم يصبح و زيرا أصبح واليا لإقليم من الأقاليم مثل الحسن بن البحباح البلخى الذي كتب للمهدى و الهادي والبرامكة. و قد ولى مصر في عصر الهادي والأمين، و مثل الحسن بن رجاء كاتب المأمون الذي ولى فارس و مثل عمر بن مهران كاتب الحيزران أم الرشيد و قد ولاه مصر في بعض السنين . و كثير من الولاة والقواد كانوا يحسنون الكتابة إلى أبعد غاية مثل جعفر بن محمد بن الأشعث والى خرا سان للرشيد و مثل طاهر بن الحسين قائد المأمون و واليه على خرا سان و ابنه عبد الله بن طاهر والى مصر والشام والجزيرة ثم والى خرا سان و مثل أبى دلف العجلى قائد المأمون المشهور .

و على هذا النحو كانت الرسائل في هذا العصر الجسر الذي يصل الشخص إلى أرفع المناصب ، و كان من يتقنها من الوزراء والقواد والولاة يلقى الإكبار والإعجاب في كل مكان ، و قد أخذ يسيل لها لعاب كل من أحس في نفسه قدرة عليها ، حتى يحظى بما يكفل له العيش فضلا عما قد يصيب من رغد و نعيم ، و من أجل ذلك كثر الوافدون على أبواب الدواوين و خاصة من الناشئة ذوى المطامح البعيدة ، و كانوا يعرضون أنفسهم ، فيمتحنون امتحانا عسيرا ، تبحث فيه مهارتهم الأدبية والعقلية ، و من جاز الامتحان أمرهم رؤساء الدواوين بملازمتهم ، ثم ضموهم إلى دواوينهم و ترقوا بهم من حال إلى حال ، على قدر مهاراتهم حتى بلغوا بهم المنزلة التي يستحقونها ، و ربما ألحقوهم ببعض الولاة والقواد أو جعلوا لهم التصرف في بعض الأعمال أو في بعض دواوين الخراج .

و لم يكن نجاح الكاتب الناشئ هينا ، فقد كان لا بد له من إحسان صناعة الكتابة ، و هو إحسان جعله يتوفر على مادتها اللغوية والأسلوبية ، حتى يتقنها الإتقان

Dhaka University Institutional Repository

المنشود من حيث الوضوح والجمال الفني ، أما الوضوح فلأنه كان يكتب غالبا إلى الرعية ولا بد للرغية أن تفهم عنه ، و أما من حيث الجمال الفني فلأنه كان يكتب عن الخلفاء والوزراء والولاة والقواد ، ولا بد أن يروعهم ببيانه و بلاغته ، و قد توقف الجاحظ مرارا في كتاباته يشيد ببراعتهم في القول و عذوبة أدائهم و طلاوة صياغتهم من مثل قوله : "إنهم لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة و على المخارج السهلة والديباجة الكريمة و على الطبع المتمكن و على السبك الجيد و على كل كلام له ماء و رونق و على المعاني التي إذا صارت في الصدور عمرتها و أصلحتها من الفساد القديم و فتحت للسان باب البلاغة ودلت الأقلام على مدافن الألفاظ و أشارت إلى حسان المعاني"[٢٨].

و كان لا بد لهم بجانب هذه القدرة البلاغية من أن يتقنوا طائفة من المعارف و في مقدمتها علوم اللسان العربي و علم الفقه ، و كان العلم الأخير ضروريا لهم ، لأنهم كانوا يكتبون في شئون الخراج و فيما يجب على أهل الذمة أن يؤدوه من أموال ، و كذلك كان علم الحساب من الضرورة لهم بمكان . و كانوا يلمون بكل علم مثل الكيمياء والطب والنجوم ، وأكبوا على الفلسفة والمنطق ليدعموا عقولهم . و لم يكن ذلك كل ثقافة الكاتب ، فقد مضى يقرأ كل ما ترجم من الحكمة اليونانية و مأثور ما تبادله الإسكندر المقدونى و أرسطو من رسائل و ما نقل عن الفلاسفة اليونانيين من أقوال و كذلك ما نقل عن الهنود من حكم و قصص يتصل بتدبير الملك و خاصة كتاب كليلة و دمنة . و مر بنا مدى إعجاب يحيى البرمكى بهذا الكتاب مما جعله يطلب إلى أبان بن عبد الحميد أن ينقله شعرا حتى يسهل حفظه، و كان قد نقله ابن المقفع قبل ذلك نثرا ، و مر بنا في غير هذا الموضع أنه نقل كثيرا من سير ملوك الفرس وأنظمتهم في الملك و تدبيرهم في السياسة والحكم و أن مما نقله "خداى نامه" في أنظمتهم و "التاج" في سيرة كسرى أنوشروان و "الأدب الكبير" و "اليتيمة" و "الصحابة" . و أكب الكاتب العباسي على هذه الكتب و غيرها مما عرضنا في موضع اخر كأمثال بزرجمهر و كتاب "جاويدان خرد" في الآداب والأخلاق و "عهد أردشير بن بابك إلى ابنه سابور".

---

٢٨ البيان والتبيين، ج٤، ص ٢٤.

Dhaka University Institutional Repository

و لعلنا لا نبالغ إذ قلنا إن المادة الفارسية السياسية والأخلاقية المترجمة كانت من أهم المؤثرات في رقى الكتابة الديوانية و تطورها . و حقا أن هذا التأثير بدأ منذ عبد الحميد الكاتب و لكنه لم يبلغ أشده إلا في هذا العصر إذ اتسع نقل الآداب الفارسية و كل ما أثر عن ملوك الفرس و وزرائهم من عهود ووصايا و رسائل إلى العمال والولاة، مما سالت مادته الغزيرة في كتابات الكاتب العباسي ، و لعل ذلك ما جعل الجهشيارى يقدم لكتابه الوزراء والكتاب بتمهيد واسع عرض فيه لتدوين الفرس للدواوين و نظمها المختلفة ، متحدثا في ثنايا ذلك عن كتب الأكاسرة إلى عمالهم و مقتبسا فصولا عن سابور إلى ابنه و من كلام أردشير و كلام أبرويز إلى وزرائه و وصيته لابنه شيرويه و وصية اردشير لوزرائه واستشارة سابو لوزيرين نابهين . و عرض الجهشيارى لبعض رسائل أرسطو للإسكندر ، وبعض وصايا الهند و حكمهم . وفي ذلك كله الدلالة الواضحة على مدى ما كان يأخذ به الكاتب العباسي نفسه من ثقافة سياسية ، و خاصة ما كتبه الفرس في وصاياهم و عهودهم . و كان لا بد له من إلمام واسع بأخبار العرب و أشعارهم كل ما يتصل بهم و بخلفائهم ، و كان أحيانا يحسن نظم الشعر و رصفه ، و يستشهد به في رسائله و كلامه ، و كذلك كان يحفظ القرآن الكريم و يقتبس منه أحيانا ، و أحيانا يحاول مجاراة أساليبه و ما يجرى فيها من حسن التأليف والتئام الكلم و جودة المقاطع و حلاوة البيان و عذوبته . و حيّ الخط كان لا بد للكاتب العباسي من إجادته .

و من ينظر نظرة عامة في موضوعات الرسائل الديوانية لهذا العصر يلاحظ أنها كانت تتناول تصريف أعمال الدولة و ما يتصل بها من تولية الولاة ، وأخذ البيعة للخلفاء و ولاة العهود ، و من الفتوح والجهاد و مواسم الحج والأعياد والأمان وأخبار الولايات وأحوالها في المطر والخصب والجدب ، و عهود الخلفاء لأبنائهم ، و وصاياهم و وصايا الوزراء والحكام في تدبير السياسة و الحكم . و أيضا فإنها أخذت تتناول بعض الأغراض التي كان يتناولها الشعر من تهنئات و تعزيات و شكر مما سنعرض له التحميدات التي تصدر بها الرسائل ، و تنسب إلى الرشيد أنه أول من أمر أن تبتدئ مكاتباته بعد البسملة بالصلاة على النبي صلى الله عليه

Dhaka University Institutional Repository

وسلم [٢٩]. و في رواية ثانية أن يحيى البرمكى و زيره أول من زاد في الرسائل : "و أساله أن يصل على محمد عبده رسوله" و أنه أنشأ في ذلك كتابا ذكر فيه فضل الأنبياء عليهم السلام [٣٠].

و نحن نقف على طائفة من الكتاب النابهين مرتبين لهم على عهود الخلفاء و أول كاتب لمع اسمه في مطالع العصر عمارة بن حمزة كاتب السفاح والمنصور و قد ولاه الأخير في سنة ١٥٦هـ على كور دجلة والأهواز و فارس ثم ولاه المهدى خراج البصرة ، و عاش حى سنة ١٩٩ للهجرة [٣١]، و كان المهدى يجله ، وكان جوادا غير أنه كان فيه تيه شديد حى ضرب المثل بتيهه ، فقيل أتيه من عمارة ، و تروى له في التيه و الكرم حكايات كثيرة . و هو أحد الكتاب البلغاء و قد اشتهر بتدبيجه لأول رسالة من رسائل الحميس ، و هي رسالة كانت تكتب في عهد كل خليفة عباسي ، و كان موضوعها تأييد الدعوة العباسية و تأييد الخليفة الحاضر و تعداد مناقبه و بيان ما ثره و أنه أحق أهل بيته بالخلافة . و اشتهر أيضا برسالة لقبت باسم الماهنية و فيها يقول ابن النديم : "الكتب المجمع على حودتها عهد أردشير ، كليلة و دمنة ، رسالة عمارة بن حمزة المأهانية ، اليتيمة لابن المقفع ، رسالة الحميس لأحمد بن يوسف" . و يظهر أنها كتبت لعامل كى يستشير عيس بن ماهان في كل ما يأخذ من الأمر و يدع ، و فيها يقول له على لسان الخليفة [٣٢]:

"أمير المؤمنين لا ينكر قرب الطاعة من المعصية قرب بعض الأمور من بعض ، لسرعة تقلب القلوب واختلاف الحالات عند ميل الهوى ولا ينكر جرى المقادير بغيب ذلك عن العباد واستئثار الله يعلم ما لم يأتهم إلا بغتة . بل قد علم أمير المؤمنين أن أقواما في قلوبهم ضغائن ، دونها الغدر ، يظهر أسرارهم و يخرج أضغانهم ، ثم يبلغ بغضبه منهم ما لم يكن في ذلك عنده عزيزا ، و لم يكن بهم امتناع . غير أنه قد أنكر أن تعجل إلى ابن ما هان و إن كان محلا بارزا - بامر دون مؤامرته (مشاورته) و يكره لك العُجْلة فإنها موكل بها الندم و إنه كان يقال :

---

٢٩. ابن نديم ، الفهرست ، ص ١٧١.
٣٠. الجهشيارى ، ص ٩١ ، ١٣٣.
٣١. النجوم الزاهرة ، ج٢، ص ١٦٤.
٣٢. الرسالة بتمامها في جمهرة رسائل العرب .

Dhaka University Institutional Repository

أصاب متأمل أو كاد . و قالت العرب : فإما ترين أمرا رشادا فتبين ثم ارعو أو اقدم و أحكم . و لحقٌ ما أمر الله عز و جل به من التبين و ما حذر أن يصاب قوم بجهالة و ما خوف على ذلك من الندامة ، فليس يبرح المرء بخير ما فرغ لقول الله عز و جل واتعظ واستيقظ" .

و واضح حرص عمارة على التمثل بكلام العرب واستعارة ألفاظ القرآن و معانيه ، فقد حل في آخر كلامه قوله جل شأنه :"يا أيها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلم نادمين[٣٣]" .

و من كتّاب المنصور مسعدة بن سعد بن صول أحد ملوك جرجان فيما يقال، وكان يكتب أولاً لخالد بن برمك وزير المنصور ثم لواليه على فارسى و لما اتخذ المنصور أبا أيوب المورياني و زيرًا و قلده الدواو ين أقام مسعدة على ديوان الرسائل ، و يروى ياقوت في ترجمته لابنه عمر و أن المنصور قال يوما لكتابه : اكتبوا لى تعظيم الإسلام ، فبدر مسعدة فكتب [٣٤]: "الحمد لله الذي عظم الإسلام واختاره و أوضحه و أناره و أعزه و أنافه (أعلاه) و شرّفه ، و أكمله ، و تممه ، و فضله ، وأعزه ، و رفعه ، و جعله دينه الذي أحبه واجْتباه (اختاره) واستخلصه وارتضاه ، واختاره واصطفاه ، وجعله الدين الذي تعتد به ملائكته و أرسل بالدعاء إليه أنبياءه و هدى له من أراد إكرامه و إسعاده من خلقه فقال جلّ من قائل : "إن الدين عند الله الإسلام[٣٥]" و قال جلّ و علا : "و من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه[٣٦]" و قال : "ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين[٣٧] " . فبهذا الإسلام و الدخول فيه و العلم به و أداء شرائعه والقيام بمفروضاته وصلت ملائكته و رسله إلى رضوان الله و رحمته ، و جواره في جنته ، و به تحرّزوا من غضبه و عقوبته ، و أمنوا نكال عذابه و سطونه" .

---

٣٣ القرآن، الحجرات : ٦.
٣٤ معجم الأدباء ،ص ١٢٨.
٣٥ القرآن ، آل عمران : ١٩.
٣٦ القرآن ، آل عمران : ٨٥.
٣٧ القرآن ، الحج :٧٨.

Dhaka University Institutional Repository

فقال المنصور : حسبك يا مسعدة ، اجعل هذا صدر الكتاب إلى أهل الجزيرة بالأعذار والإنذار . و في جوانب من التحميد أسجاع مما يدل على القصد إلى العناية الفنية و أن الكاتب يريد أن يأمر الأسماع بجمال الجرس والأداء.

و من كتّاب المنصور أيضا يوسف[٣٨] بن صبيح ، و كان يكتب ، في ديوان الكوفة لبنى أمية ، ثم كتب لعبد الله بن على عم المنصور في مطلع الدولة العباسية ، حتى إذا أخفقت ثورته على ابن أخيه واستتر بالبصرة عند اخوته لجأ يوسف إلى أصحابه من الكتاب في ديوان المنصور ، فألحقوه به . و يظهر أنه ظل يعمل في ديوان الخلافة ، حتى إذا كان البرامكة قرّبوه ، فكان يختلف بين دواوينهم و دواوين الرشيد ، من مأثور ما يروى له رسالة قصيرة كتبها عن عبد الله بن على إلى ابن أخيه السفاح يعزيه عن ابنٍ له على هذا النمط [٣٩]:

"أما بعد فإن أحق الناس بالرضا والتسليم لأمر الله جل و عز من كان إماما لخلق الله و خليفة الرسول الله صلى الله عليه وسلم فتعزّ أمير المؤمنين بفهمك ، وارجع في وعد الله جلّ و عزّ من الصابرين إلى علمك".

و من الكتاب لعصر المنصور جبل بن يزيد كاتب عمارة بن حمزة و فيه يقول صاحب الفهرست : "كان مترجما و كان من معدودى البلغاء والبرعاء"[٤٠] و قد احتفظ له ابن طيفور في كتابه "اختيار المنظوم والمنثور" بطائفة بديعة من رسائله" منها رسالة كتب بها إلى المهدى يعزيه عن أبيه و يهنئه بالخلافة ، و يظهر أنه كتبها عن عمارة بن حمزة و فيها يقول [٤١]:

"أعظم بالمصيبة مصيبة نزلت ، وأعظم بالنعمة نعمة حدثت ، و إن أحق من انتصح لله في قضائه و اعترف بوجود حسن بلائه من علم أن الفجائع أمر جرت به سنين الله بين عباده تذكيرا و تحذيرا . . ولولا ذلك لم يكن لمعز أن يروم تعزية أمير المؤمنين ... فعظمّ الله على الحادث النازل أجره ، و أحسن على الخلافة

---

٣٨ الجهشيارى، ص ١٣١، ١٧٥.
٣٩ الفهرست، ص ١٧١.
٤٠ المصدر نفسه .
٤١ جمهرة رسائل العرب ، ج٣، ص ١٤٨.

Dhaka University Institutional Repository

عونه ، ثم لا و كله الله في شئ من الأمور إلى نفسه ، وألهمه العمل بما يرضيه و يبلغ به تأدية حقه ، فما استرعاه وستحفظه وجعله أهله و أحق به" .

و من الكتاب أيضا لعصر المنصور غسّان بن عبد الحميد كاتب[٤٢] عمه سليمان بن على واليه على البصرة سنة ١٣٣ للهجرة ، و في الفهرست أنه كتب لابنه جعفر بن سليمان على المدينة سنة ١٤٦ للهجرة و يقول : "كان بليغا حلو الكلام لطيف المعاني"[٤٣] واحتفظ له أيضا ابن طيفور بطائفة جيدة من رسائله ، و أكثرها يدور في التعزية ، و يظهر أنه كان يتقنها إتقانا بعيدا على نحو ما نرى في هذه القطعة من رسالة يعزى بها المهدى عن أبيه[٤٤] :

"أما بعد فإن الله تبارك و تعالى جعل المقادير علما ثابتا عنده و كتابا سابقا منه ، فجرت عليه ومضت به الأمور في قدرته ، والعباد في قبضته . و ليس عبد من عبيده إلا وقد كان عمره في الدنيا موظوفا قبل خلقه ، كان ما يصيبه منها مكتوبا عليه قبل أن ينزل به ، ثم جعل أهل عبادته أهل حظوظ متكاملة في السعادة و أهل فضائل متظاهرة في الكرامة ، فاصطفي منهم أنبياءه ، وانتجب منهم خلفاءه ، و ألزمهم على ذلك الموت الذي لا بد منه وجعله الحياة لهم فيما عنده ، فكانت وفاة من توفي منهم له سعادة فيما يصيرهم إليه و حياة من أحيا منهم له كرامة فيما يصطنعهم له ، فيمضى الأول منهم سعيداً و يبقى الباقى منهم مصطنعا فلا تنقطع الدنيا بماضيهم إلا إلى خير منها ولا يبقى باقيهم إلا ليزداد خيرا فيها . والماضي مفقود مستخلف، منه ، و الباقي محمود مرضىّ به ، و أمر الرعية قائم معدول فيه".

و ننتقل إلى عصر المهدى فنلتفي بأبى عبيد الله معاوية[٤٥] بن عبيد الله بن يسار و كان المنصور ضمّه إليه حين أنفذه إلى الرى ليكتب له و يصدر عن رأيه سنة ١٦٣هـ. صرفه عن وزارته واقتصر به على ديوان الرسائل و ما زال يليه حتى سنة ١٦٧ هـ . ثم صرفه المهدى عنه أيضا ، و لم يلبث أن توفي سنة ١٧٠هـ . و كان

---

٤٢ الجهشيارى، ص ١١٠.
٤٣ جمهرة رسائل العرب ، ج٣،ص١٤٩.
٤٤ المصدر نفسه .
٤٥ الجهشيارى، ص ١٢٦.

Dhaka University Institutional Repository

غزير العلم جذاب الحديث بارعا في القول ، و من طريف، ما رواه له الجاحظ قوله : "التماس السلامة بالسكوت أولى من التماس الحظ بالكلام ، وقمع نخوة الشرف أشد من قمع بَطر الغنى ، والصبر على حقوق النعمة أصعب من الصبر على ألم الحاجة ، و ذل الفقر قاهر لعز الصبر ، كما أن عز الغنى مانع من الإنصاف الا لمن كان في غريزته فضل كرم و في أعراقه مناسبة لعلو الهمة"[٤٦]. و كان أهل الخراج يعذبون بصنوف من العذاب : من السباع والزنانير والسنانير ، فكتب إلى جميع العمال برفع العذاب عنهم .و قد اشتهر ببراعته في التحميدات التي كانت تصدر بها الرسائل والكتب من مثل قوله[٤٧] :

"الحمد لله الذي جعل الإسلام رحمة قدَّمها لعباده قبل خلقه إياهم واستيجابهم إياها منه ، فاصطفاه لنفسه و شرعه لهم ديناً يدينون به ، ثم جعل تجديد وحيه و متابعة رسله رحمة تلافاهم بها بعد تقديمها و منة ظاهرَها عليهم قبل استيجابهم لها ، تطولاً على العباد بالنعماء ، و إعذارا إليهم بالحجج و نقدمة بالوعد و إنذارًا إليهم عواقب سخطه في المعاد . و الحمد لله الذي ابتعث محمدا صلى الله عليه و سلم بهداه و شرائع حقه على فترة من الرسل و طموس من معالم الحق و دروس من سبل الهدى ، عند الوقت الذي بلغ في سابق علمه و مقاديره أن يجتبى فيه لدينه الأصفياء ، و يختار له الأولياء ، الظاهرين بحقه القاهرين لمن ابتغى سبيلا غير سبيله ، فعظم حرمته و وسع حورته وصدع بأمره و جاهد عن حقه في حرمات الضلالة و ظلمات الكفر بالحق المبين والسراج المنير ، ثم جعله مصدقا لمن سبقه من الرسل و مجددا لما بعثوا له و هدى و رحمته".

و من البلغاء المجيدين الذين كتبوا له في دواوينه إسماعيل بن صبيح و مطرِّف[٤٨] ابن أبى مطرف العبدى الذي كان ينقلد ديوان الخراج ، و يظهر أن أبا عبيد الله كان يستعين به من حين إلى حين في كتابة بعض الرسائل الديوانية ، فما أثر له رسالة إلى بعض العمال كلها إعذار و إنذار على هذه الشاكلة [٤٩]:

---

٤٦ المصدر نفسه ، ص ١٥٩.

٤٧ جمهرة رسائل العرب ، ص ١٦٥.

٤٨ الجهشيارى ، ص ١٦٦.

٤٩ جمهرة رسائل العرب ، ج٣ ، ص٢١٣.

Dhaka University Institutional Repository

و أما بعد فإن الله حبّب إلى كل مسلم شعبة من دينه ، فمنهم من حبّب إليه الصلاة فهو قانت آناءَ الليل ساجدًا و قائمًا ، يحذر الآخرة و يرجو رحمة ربه ، و منهم من حبب إليه الزكاة فهو ينفق ماله بالليل و النهار سرا و علانية ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم ، و منهم من حبب إليه الجهاد فهو بين المسلمين و بين عدوهم يذب عن حريمهم و يقاتل ممن دونهم و فاءً بعهد الله و تسليما لبيعة الله ، فأما الراسخون في العلم ممن قد عرف سيرتك ، و ما أيدى لهم الله من سريرتك ... فهم يعرضونك على الله في أدبار السجود و عند إدبار النجوم و يسألونه بآلائه مخلصين و بأسمائه ملحفين أن يصيبك بعذاب من عنده أو بأيديهم ، لما استحلت جنودك من سفك الدماء ، و أباحت رسلك منْ حُرَم النساء ، ولظلمك اليتامى وافترائك على ذوى القربى و تعريضك إياهم في فتوحك للعقاب والهلكة والخلاف والمعصية ، فويل لك ولكتّابك مما كتبت أيديكم و ويل لكم مما تكسبون ، قد وردتْ كتبك - بحمد الله - من أمير المؤمنين - على حلم لا يوهنه الغضب و على عمل لا يغيره الكذب و على إيمان لا يستخفه الذين لا يوقنون".

و واضح كثرة اقتباساته من ألفاظ الذكر الحكيم ، من مثل قوله تعالى :" أمّنْ هو قانت آناء الليل ساجداً وقائما[٥٠] " و قوله : "الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًا و علانية [٥١]" و قوله :" و مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاءَ مرضاة الله و تثبيتاً من أنفسهم[٥٢] " و قوله : و من الليل فسبّحه أدبارَ السجود[٥٣] وقوله تعالي:"و من الليل فسبّحه و أدبار النجوم[٥٤] و قوله : "و نحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا[٥٥] و قوله جل ذكره : "فويل لهم مما كتبت أيديهم و ويل لهم مما يكسبون . و قد توفي مطرف سنة ١٦٤ للهجرة و كان له ابن كاتب يسمى عمر[٥٦] تقلد ديوان المشرق للمهدى والهادى و قلده الرشيد ديوان الأزمة .

---

٥٠ القرآن ، الزمر :٩

٥١ القرآن ، البقرة :٢٧٤.

٥٢ القرآن ، البقرة : ٦٢٦.

٥٣ القرآن ، ق :٤٠.

٥٤ القرآن ، الطور :٤٩.

٥٥ القرآن ، التوبة :٥٢.

٥٦ . ابن نديم ، الفهرست،ص ١٨٤.

Dhaka University Institutional Repository

و من الكتاب الذين اشتهروا بالبلاغة في عصر المهدى ، و ربما لحقته هذه الشهرة في عصر المنصور محمد[٥٧] بن حجر كاتب ولاة أرمينية والشام ، واتخذه العباس بن محمد أخو المنصور كاتبا له ، و لعله تعرف عليه في أثناء نهوضه بقيادة الجيوش في غزو الروم ، و قد كتب عنه رسالة إلى المهدى حين جعل ابنه الرشيد ولى عهده بعد أخيه الهادى سنة ١٦٣ و فيها يوثق البيعة اولى العهد الجديد على هذا النمط[٥٨]:

"قد أتتنا بيعة هرون على حين ظمأ إليها و تطلُّع نحوها ، فتبادرتها أكفُّنا ، و أسرع إليها شاهدنا و غائبنا و بايعنا بيعة رضوان من الله بصحة من نيّاتنا و سلامة من صدورنا ، مستبشرين ببيعتنا راغبين فيما صفقت عليه أيماننا ، عارفين بأنها مُفْتَتَحُ نعمة و مقدمة فضيلة و درجة في الخير رفيعة مقدمين للسرور بها نُصحَ الجيوب باذلين للرجاء فيها ثمار القلوب".

و نمضى إلى عصر الرشيد ، و يلقانا يحيى[٥٩] البرمكى ، أحد من جمع جمعاً رائعا بين ثقافة العرب و ثقافة الفرس ، و كان قلده المهدى الكتابة لا بنه ، منذ جعله ولىُّ عهده ، والقيام على نفقاته و تدبير أمر الجيوش التي كان يقودها الرشيد ضد الروم و حسن أثره عنده إلى أقصى غاية حتى إذا ولى الخلافة قلده أمور الرعية وسلمه خاتم الخلافة يأمر و ينهى كما يشاء و يستعمل على الولايات والأعمال و يعزل كما يريد ، و لم يلبث الرشيد أن ولى ابنه جعفرًا على المغرب كله من الأنبار إلى إفريقية و ولى ابنه الفضل على المشرق كله من النهروان إلى أقصى بلاد الترك ، و مضى ما نهض به البرامكة في الشؤن الإدارية والثقافية إلى أن نكبهم الرشيد في سنة ١٧٨هـ. إذ أمر بقتل جعفر و جنس أبيه و أخيه الفضل حتى ماتا في الحبس .

و كان يحيى سَيوسا حصيفا دقيق الحس مهذب الذوق رقيق الشعور ، حول مجلسه كما أسلفنا إلى ندوة علمية أدبية كبرى يتحاور فيها كبار العلماء من كل صنف ، و كان آية في البلاغة والإيجاز ، و توقف الجهشيارى مرارا ليروى بعض

---

٥٧. المصدر نفسه ، ص ١٧٣.
٥٨ جمهرة رسائل العرب، ج٣ ، ص ١٦٩.
٥٩ الجهشيارى، ص ١٥٠، ١٦٨.

Dhaka University Institutional Repository

المأثور من كلامه من مثل قوله : "البلاغة أن تكلم كل قوم بما يفهمون" و قوله لجعفر ابنه : "يا بنى انتق من كل علم شيئا فإنه من جهل شيئا عاداه و أنا أكره أن تكون عدوا لشيء من الأدب" و قوله : "الناس يكتبون أحسن ما يسمعون و يحفظون أحسن ما يكتبون ، و يتحدثون بأحسن ما يحفظون" و قوله : "العجب للسلطان كيف يحسن ، و لو أساء كل الإساءة لوجد من يزكيه و يشهد بأنه محسن" و قوله : "لست ترى أحدا تواضع في إمارة إلا و هو في نفسه أكبر مما نال في سلطانه" . و كتب إلى الرشيد لما نكبه و سجنه رسالة بليغة ، و فيها يقول [٦٠]:

"من شخص أسلمته ذنبه و أوثقته عيوبه ، و خذله شقيقه ، و رفضه صديقه ، و مال به الزمان، و نزل به الحدثان ، فحل في الضيق بعد السعة و عالج البؤس بعد الدعة ، وافترش السخط بعد الرضا ، و اكتحل السهاد بعد الهجود ، ساعته شهر ، و ليلته دهر ، قد عاين الموت و شارف الفوت ، جزعا لموجدتك يا أمير المؤمنين و أسفا على ما فات من قربك".

و من الكتاب البلغاء الذين اتصل عملهم في الدواوين من عهد المنصور حتى هذا العهد يوسف بن صبيح ، قد عرضنا له آنفا ، و في الجهشيارى أن يحيى البرمكى أمره بالكتابة إلى الآفاق بتولية الرشيد [٦١]، و في الأوراق للصولى رسالة له عن الفضل بن يحيى في حاجة لشخص إلى أحد العمال ، و هى تجرى على هذه الشاكلة [٦٢].

"فلان قد استفي باصطناعك إياه عن تحريكى لك بأمره ، لأن الصنيعة حرمة المصطنع و وسيلة إلى مصطنعه سيما عند من يحسن الصنيعة و يستتمها ، مستثبتا للشكر عليها والثناء الجميل بها ، بسط الله بالخير يديك ، و وصل به أسبابك و أعانك عليه و جعلك من أهله" .

و من الكتاب المفوّهين حينئذ محمد بن الليث ، و فيه يقول صاحب الفهرست: "كتب ليحيى بن خالد . . و يعرف بالفقيه و كان بليغا مترسلا كاتبا

---

٦٠ العقد الفريد ، ج٥ ،ص٤٨ .
٦١ الجهشيارى، ص ١٧٥.
٦٢ الصولى ،الاوراق (قسم الشعراء) ص ١٥٨.

Dhaka University Institutional Repository

فقيها متكلما بارعا"[٦٣]. و من أروع ما أثر عنه رسالته[٦٤] التي كتبها للرشيد إلى قسطنطين السادس إمبراطور بيزنطة ، و هى تمتد إلى نحو سبعين صحيفة ، و فيها يدعوه الرشيد إلى الإسلام ، و قد أفاض ابن الليث في وصف رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم و ما طوى فيها من الهدى للبشر و إنقاذهم من ظلمة الضلال ، كما أفاض في وحدانية الله و رسالات الأنبياء و هيمنة الإسلام و سلطانه على تلك الرسالات و الرسالة أشبه بدفاع قوى عن الإسلام و شريعته ، و كأن ابن الليث استمد فيها كثيرا مما كان يجادل به المتكلمون النصارى و أصحاب الملل والنحل من حوله . و هو تارة يجادل بالمنطق و تارة يجادل بآيات الرسالة الباهرة ، ناقضًا ما يردده الرهبان من أن عيسى ابن الله و ما يكررونه من نظرية الأب و الابن و الروح القدس ، مناقشا في ثنايا ذلك آيات من الإنجيل و من العهد القديم ، و ملوِّحا بما سينزله الرشيد في ديارهم من خراب ودمار ، و أن الروم لو تابعوه لعمّ مساكنهم و زراعتهم و فقراءهم وضعفاءهم من العدل ما يجعلهم يعيشون في أمن وسلام ، ولذاقوا لذة الخفض ودعة الحال و رفاهية العيش والرخاء ، ولا ستقاموا على الشريعة الصحيحة والتوحيد القويم . و يروى الرواة أن جعفر بن يحيى كتب إلى محمد بن الليث يستوصفه الخط ، فكتب إليه رسالة بديعة في الخط والقلم على هذا النمط.[٦٥]

"أما بعد فليكن قلمك بحريا ، لا متينا ولا رقيقا ما بين الرقة والغلظ ، ضيق الثقب ، وابره برْيا مستويا كمنقار الحمامة ، واعطِفْ بطنه و رقق شفتيه ، و ليكن مدادك فارسيا خفيفا إذا وزنته ، وانقعه ليلة ، ثم صفه في الدواة ، و ليكن قرطاسك رقيقا مستوى النسج ، تخرج السحاة مستوية من أحد الطرفين إلى آخره ، فليست تستقيم السطور إلا فيما كان كذلك ، و ليكن أكثر تمطيطك في طرف القرطاس الذي في يسارك ، و أقله في الوسط ، ولا تمط في الطرف الآخر ، ولا تمط كلمة ثلاثة أحرف ولا أربعة، ولا تترك الأخرى بغير مط ، فإنك إذا قرنت القليل كان قبيحا ، و إذا جمعت الكثير كان سَمِجًا . ثم ابتدئ الألف برأس القلم كله واخططْهُ

---

٦٣ ابن نديم ،الفهرست، ص ١٧٥.
٦٤ جمهرة رسائل العرب ،٣ ج٣، ص٢٥٢.
٦٥ العقد الفريد ، ج٤، ص١٩٥.

Dhaka University Institutional Repository

بعرضه واختمه بأسفله . واكتب الياء والتاء والسين والشين والمطة العليا من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف، والعين والغين و رأس كل مُرسَل برأس القلم . واكتب الجيم والحاء والخاء والدال والذال والراء والمطة السفلى من الصاد والضاد الطاء الظاء والكاف والعين والغين بالسن السفلى من القلم .و وامطُط بعرض القلم ، والمط نصف الخط ، ولا يقوى عليه إلا العاقل ، ولا أحسب العاقل يقوى عليه أيضا إلا بالنظر إلى اليد في استعمالها الحركة ، والسلام".

و إنما نقلنا هذه الرسالة بطولها ، لندل على مدى احتفال الكتاب باختيار الأقلام و بجودة الخط ، حتى تجرى الأقلام في القراطيس جريان الماء ، و حتى يروع الخط برونقه و بهائه ، و حتى الحروف و مطاتها العليا والسفلى ، كل ذلك يُكتب بقسطاس . ولا بد من أن تكون السطور معتدلة متناسقة ، وقطع القراطيس مقطوعة بانتظام ، حسنة النسج والهندام ، ولا بد للكاتب من أن يراعى مواضع سِنّ القلم من كتابة الحروف ، ولا بد من أن يراعى التوازن في مدات هذه الحروف و مطاتها . و بأيدى محمد بن الليث و غيره من الكتاب في العصر العباسي تطوّر الخط العربي وارتقت صناعته رقيا بعيدا ، و هو رقى كان يرافق احتفالهم بألفاظهم و أساليبهم و معانيهم حتى تصبح الكتابة كأنها وَ شْىٌ خالص ، وَشىٌ في العين ، و وَشىٌ في السمع ، و وَشىٌ في العقل والذهن .

و من الكتاب الذين اشتهروا في عهد الرشيد قمامة بن أبى يزيد ، و كان يكتب أولاً لصالح[٦٦] بن على ، ثم أصبح كاتبا للقاسم بن الرشيد ، ثم اختص بعبد الملك بن صالح وَالِىُ الرشيد على الجزيرة والشام و مصر . و سعى على عبد الملك إلى الرشيد و ثبت كذبه فقتله صبرا سنة ١٧٨ للهجرة . و كان لسناً فصيحا بليغا ، و مما أثر له قوله من رسالة وَجهها - فما يبدو - عن عبد الملك بن صالح إلى الرشيد :[٦٧]

"كل ما قبلنا و ما يتناهى إلينا من ثغور أمير المؤمنين و أطرافه و بلاده أقصاها و أدناها في صلاح ذلك كله واستقامته و هدوئه على أفضل ما عوّد الله أمير المؤمنين فيه العلو والعافية ، و أنا أحتذى فيه من أمير المؤمنين أمرين :

---

٦٦ الجهشيارى، ص ٢٦٢

٦٧ جمهرة رسائل العرب ، ج٣ ،ص٣٣٨.

Dhaka University Institutional Repository

إما تقدمة عرّفنى فيها رأيه فانا الزمها ولا أعدل عنها ، و إما أثر قد نهجه أمير المؤمنين فانا أركبه و أتبعه ولا أفارقه . فعلى هذا - بحول الله - قوتى و معتمدى ، قد كفي الله به في الهداية ، و أعطى فيه الخير و المن والسعادة ، فله الحمد والشكر" .

و ممن عُرفوا لعصر الرشيد بالكتابة البليغة جعفر بن محمد بن الأشعث ، و كان الرشيد جعل ابنه الأمين في حجره ثم جعله في حجر الفضل[٦٨] بن يحيى البرمكى ، و وَلاه على خراسان ثم صرفه عنها سنة ١٧٣ للهجرة[٦٩] ، و لعله لذلك كله كان يضطغن على يحيى البرمكى و يروى أن يحيى حاول أن يسند إليه بعض الأعمال فكتب إليه يستعفيه برسالة يقول فيها [٧٠]:

"شكرى لك على ما أسالك الخروج منه شكر من نال الدخول فيه ، فأما عذرى في تطويل الكتاب إليك فلم يذهب . على أن وجوه الحوائج قد يكثر الكلام فيها و تشتد قراءتها ، و إن من الحق على الراغب الاكتفاء ببعض ما بلغ ، و إن نفسى جاشت بعظم حاجتها" .

و من الكتاب البلغاء الذين عملوا في دراوين الأمين موسى[٧١] بن عيسى بن يزدانيروذ ، و قد احتفظ ابن طيفور برسالة له إلى الأمين يتحدث فيها عن موسم الحج و سلامته و دَعته ، و هى تجزى على هذا النمط [٧٢].

"أما بعد فإن الله بحمده و منّه هو ولىّ أمير المؤمنين و ولىّ النعمة عليه فيما حمله واستحفظه ، وجعله القائم به والمحافظ عليه ، من ولاية دينه و رعاية أهله، والمرجوّ لإتمام ذلك بمنه و رحمته . و إنى كتبت إلى أمير المؤمنين يوم النفر الأول ، و قد قضى الله مناسكنا ، و تمّم حجّنا ، و أرانا في مواقفنا و إفاضتنا و مَن حضر الحج معنا من رعية أمير المؤمنين أفضل ما لم يزل يُبلى الله أمير المؤمنين و يعوّده و يُبلى الرعية في خلافته من السلامة والعافية والتوفيق

---

٦٨ الجهشيارى، ص ١٩٣.
٦٩ النجوم الزاهرة، ج٢، ص٧٢.
٧٠ الجهشيارى، ص ١٧٩.
٧١ المصدر نفسه ، ص ٢٨٩.
٧٢ جمهرة رسائل العرب ، ج٣،ص٣٥٠.

Dhaka University Institutional Repository

والكفاية ، والله المؤمنين و يعوده و يبلى الرعية في خلافته من السلامة والعافية والتوفيق والكفاية ، والله المحمود . و لم أر موسما كان أعم عافية و سلامة ، و أحسن هديا و دعة ، و أكثر داعيا لأمير المؤمنين و ولى عهده بطول البقاء من موسم الناس في عامهم هذا بنعمة الله و فضله . أحببتُ الكتاب إلى أمير المؤمنين لمعرفي بعنايته و تطلعه إلى عمله ، ليسرّ به ، و يحمد الله عليه و يشكره ، فإنه يحب الشاكرين".

(ب) الرسائل الإخوانية و الأدبية

نمت الرسائل الإخوانية في هذا العصر نموا واسعا ، و نقصد الرسائل إلى تصور عواطف الأفراد و مشاعرهم ، من رغبة و رهبة و من مديح و هجاء و من عتاب واعتذار واستعطاف ، و من تهنئة واستمناح و رثاء أو تعزية ، و كانت هذه العواطف تؤدّى في العصر الأموي بالشعر ،و كان من النادر أن تودّى بالنثر ،أما في هذا العصر فقد زاحم فيها النثر الشعر بمنكب ضخم ، و أتاح له ذلك أمران : أولا ظهور طبقة ممتازة من الكتاب الذين يجيدون فيه إجادة رائعة ، و خاصة من كان منهم يكتب في الدواوين ، إذ كانوا يأخذون أنفسهم بثقافة واسعة و كانوا يعنون بتحبير كلامهم و تجويده و حشد كل ما يمكن فيه من عناية فنية ، على نحو ما مر بنا آنفا . والأمر الثاني مرونة النثر و يسر تعابيره و قدرته على تصوير المعاني بجميع تفاريعها قدرة لا تتاح للشعر لارتباطه بقواعد موسيقية معقدة من وزن وقافية . و قد طوّع هؤلاء الكتاب الديوانيون أو السياسيون أساليبه على أن تحمل كثيرا من المعانى الجديدة غير المألوفة .

و بذلك كله ثبت النثر للشعر في التعبير عن العواطف التي طالما عبّر عنها ، بل لقد أظهر في ذلك طواعية لعلها لم تكن تتاح حتى لكبار الشعراء ، و من أجل ذلك رأينا منهم كثيرين يتخذون النثر أداة للتعبير عن مشاعرهم على نحو ما سرى عند العتابى و أبى العتاهية ، و كأنهم و جدوا فيه يسرا في التعبير و فسحة لعرض بعض المعانى التي يلمون بها بجميع دقائقها مما لا يستطيع الشعر أداءه .

و تدور في كتب الأدب رسائل إخوانية كثيرة مما دبّجه كتاب الدواوين و الشعراء و غيرهم من الأدباء ، فقد تعاور عليها كثيرون ، و كل منهم يتأنق فيما يكتب

Dhaka University Institutional Repository

منها و يحاول الإطراف بمعانيه و صياغاته و ما يبثُّ فيها من مهارته الفنية . و ممن كان يعنى بها عناية واسعة في أوائل هذا العصر ابن المقفع، و منهم محمد بن زياد الحارثى ، و هو أخو يحيى بن زياد الحارثى رفيق مطيع بن إياس و جيله ، و فيه يقول ابن النديم "شاعر مترسل بليغ"[٧٣] و له في الشكر [٧٤]:

و قد يجب على من يتقلب، في ظل كرامتك ، و يأوى إلى كنف نعمتك ، أن يقول بما هو أولى و يخبر عما هو به مرتهن من شكر بلائك ، و حق نعمتك ، فنحن الذين سبقت نعمتك عليهم ، و عظمت منتك لديهم ، فيما أبليت و أوليت من جميل رأيك ، و حسن أثرك ، بعطفك و تحننك ، واستخلاصك إياه مقة وأنسا ... في أياد من أياديك عظمت فلا تُجْحَد ، ونعم من نعمك شهرت فلا تنكر ، ولا يحصى عددها و إن اجتهدنا في حفظها ، ولا نبلغ في شكرها ، و إنّ دأينا في بلوغ تأديته ، فقد اعتقدتها منة علينا ، و يداً عندنا ، فنحن لك صنيعة ما بقينا و بقى الخلف منا" .

و كانت ترجمة ابن المقفع للأدب الكبير و ما جاء في كتاباته من حديث، عن الإخاء والمودة مادة غزيرة للكتاب كى يستمدوا منها كل ما يريدون من تصوير الأخوة الحقة والصداقة الصادقة ، و يصور ذلك من بعض الوجوه رسالة بحبل بن يزيد إلى بعض إخوانه و هي تجرى على هذا النمط [٧٥]:

"اعلم أنى إليك مشوق و أن صلة الإخوان كرم ، و خير الصلات ما لم يكن لهاوجه إلا الرجاء والحفظ و تجديد المودة و تصحيح الإخاء ، فإن الذي يكاتب، إخوانه على حال الرغبة . . . إن أحب مال به إلى الصحة ، و إن شاء وضعه للرغبة ، والرغبة أملكهما به . و الذي يكاتب، إخوانه على حال الضرورة فقد يستقطع الصلة عند الحدث مخافة الملامة من الناس على القطيعة الشنعاء المشهورة لإخوانه ، فإن الذي لا مودة له قد يصل ذلك في تلك القطيعة بأهل البلاء . و الكتاب على مثل حالنا و حالك اليوم شاهد على أن ذلك ليس إلا صحة الإخاء والشوق إلى المحادثة بالكتاب حين لا يلومك اللائمون لمنزلة البلاء تلك اللائمة على التقصير

---

٧٣ ابن نديم ،الفهرست، ص ١٧١.

٧٤ جمهرة رسائل العرب ، ج٣ ، ص٢٩.

٧٥ المصدر نفسه ، ص ١٣٦.

Dhaka University Institutional Repository

ولا توضع منك الرغبة في الإطماع . إياك أن تعتل بالأشغال أن كنت في خاصة نفسك ، فإن أداء الحق وصلة الأخوان أعظم الخاصة بك خاصة ، و إنما أمرنا في كل هذا كأمرك في الذي تستغنى به من خاصتك تلك التي لنا ، فإن لنا مالك ، و هذه التي لنا لك ، ألبس ما سرنا سرك ، والله يوفقنا و إياك".

و واضح أنه يتسع في تصوير صحة الإخاء ، و هو يجعل المتوددين الملحفين في الأخوة أصنافا ، فمنهم من يطلبها للرغبة ، و إخاؤه لذلك مشوب ، و منهم من يطلبها للضرورة و إخاؤه بذلك موقوت ، بحيث إذا ألمّ بصاحبه مكروه قطعه القطيعة الشنيعة . و يقول إن إخاءه ليس من هذين الضربين المقوتين ، بل هو إخاء سليم صحيح ، و يدعوه أن لا يعتل بشغل عنه بخاصة نفسه وانصرافه إلى بعض شؤنه فالإخاء الصادق أخص ما ينبغى له أن يشغل صاحبه و يصرفه عن كل شيء سواه . و مما أكثروا فيه التعازى ، و عادة يتحدثون فيها عن ثواب المنكوب ببعض أهله على حسن صبره و ما ينبغى عليه من التسليم لأمر الله والرضا بقضائه ، و قد يعرضون لذم الدنيا و أنها دائما تكدر الصفاء و تنغص السرور ، و يُروى أن المهدى جزع جزعا شديدا حين ماتت ابنته البانوقة ، فأكثر الناس من تعازيه ، و كان ممن عزاه إبراهيم بن أبى يحيى الأسلمى بهذه الرسالة الموجزة [٧٦]:

"أما بعد فإن أحق مَن عرف حق الله عليه فيما أخذ منه من عظم حق الله عليه فيما أبقى له . و اعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك ، و أن الباقي بعدك هو المأجور فيك ، و أن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يُعافون منه" . و كثيرا ما تعاتبوا عتابا رقيقا ، و قد يعفون في عتابهم ، و لكن عنف المتحضر المهذب الذي قد يمسّ و لكنه لا يَخدش ، و من رسائلهم الطريفة في العتاب التي تدل بوضوح على دقة الحس و رهافة الشعور رسالة يوسف بن صبيح إلى محمد بن زياد الحارثى ، و فيها يقول [٧٧]:

و حفظك الله و حاطك ، رأيتك ـ أكرمك الله ـ في خرجتك هذه رغبت عن مواصلتنا بكتبك وإبلاغنا خبرك ، و قطعتنا قطع ذى السلوة أو أخى الملة ، حتى كأنك كنت إلى مفارقتنا مشتاقا ، و إلى البعد منا توّاقا ، فوقع بعدك بحيث تحب

---

٧٦ البيان والتبيين ، ج٢، ص ٧٤.

٧٧ الأوراق للصولى،ص

Dhaka University Institutional Repository

من جهتين : إحداهما حلاوة الولاية ، والأخرى لذة الراحة منا ، فإن يكن ذلك كما رجيناه قاطعناك مجملين ، أو لبسناك على يقين . و ما أدرى ما أقول في اختيارك ترك الكتب المحدثة عن العشب بالأسرار المفهومة ، حتى كأنها محادثة الحضور ، على تنائى الدور ، والقلوب بها مشاهدة ، و إن كانت الأبدان متباعدة ، و لئن كذب فيك الرجاء ، لقديما عزّ الوفاء ، و قد أصبتك من مرارة العتاب بما لا تقيم بعده على قطيعة ولا جفاء ، ولا تتوهمن انى أردت ، إعناتك بإعتابى ، ولا أن أزرى عليك بكتابى ، فإن وصلت فمشكور، و إن قطعت فمعذور ، والسلام".

و تأنق يوسف و تنميقه و دقته في التعبير واضح في تلك الرسالة ، و قد تفنن الكتاب طويلا حينئذ في صور الاعتذار ، و من رسالة لمحمد بن الليث في اعتذاره لشخص ظن به بعض الظنون الخاطئة دون تبين ولا روية [٧٨]:

"كيف يسعك أن تأخذنى بظن لو كنت فيه على حقيقة علم لما وسعك أخذى ولا عقابى عليه ، و لو كانت العقوبة على الذنب الكامن في سُويداء القلب، واسعة لك في حكم الرب لكان فيما حجبت، الغيوب عن العمل ما ينتقل في القلوب التي لا نثبت على حال ، إلا ريثما يتبعها انتقال ما يدعوك إلى أن تمسك عنى ، وتقف ، حتى تعرف أيمضى رأى أم ينصرف".

و هو يشير إلى معنى نفسى دقيق ، و هو أن الخواطر التي تلم بالإنسان لا تثبت على حال ، و من أجل ذلك كان الإنسان يتنقل بين لحظات و خواطر متناقضة ، ولا يصح أخذ الإنسان بخاطر إلا إذا ثبت فيه و عاش طويلا ، فقد يمر به خاطر سريع و يمضى دون أوبة ولا رجعة . و لعل رسالة استعطاف لم تشتهر في هذا العصر كما اشتهرت رسالة إبراهيم[٧٩] بن سيابة الشاعر التي استعطف بها يحيى بن خالد البرمكى ، و كان قد أنكر منه شيئا ، فكتب إليه يترضاه على هذه الشاكله [٨٠].

"للأصيد الجواد ، الواوى الزناد ، الماجد الأجداد ، الوزير الفاضل ، الأشم الباذل ، اللباب الحُلاحيل ، من المستكين المستجير ، البائس الضرير فإنى أحمد الله ذا العزة القدير ، إليك و إلى الصغير والكبير ، بالرحمة العامة ، والبركة التامة . أما

---

٧٨ جمهورة رسائل العرب ، ج٣، ص ١٨٥.
٧٩ البيان والتبيين ، ج١،ص١٠٥.
٨٠ المصدر نفسه ، ج٣، ص٢١٥.

Dhaka University Institutional Repository

بعد فاغنَم و اسلم ، و اعلم إن كنت تعلمُ ، أنه من يَرحم يُرحم ، و من يَحرم يُحرم ، و من يحسن يغنم ، و من يصنع المعروف لا يعدم ، و قد سبق إلىّ ، تغضبّك علىّ ، واطراحك لي ، و غفلتك عنى ، بما لا أقوم ، له ولا أقعد ، ولا أنتبه ولا أرقد ، فلست، بحى صحيح ، ولا بميت مستريح ، فررتُ بعد الله منك إليك ، و تحملت، بك عليك ، ولذلك قلت:

أسرعتْ بى حثّاً إليك خِطائى ... فأنا خت بمذنب ذى رجـــــاء

راغبٍ راهبٍ إليك يُرجِّـــــى ... منك عفواً عنه وفضلَ عطـاء

و لعمرى ما من أصرّ و من تا ... بَ مُقراً بذنبه يســـــــواء

فإن ـ رأيت، ـ أراك الله ما تحب ، و أبقاك في خير ـ أن لا تزهد فيما ترى من تضرعى ، و تخشعى ، و تذللى ، و تضعفي ، فإن ذلك ليس منى بنحيزة ، ولا طبيعة ، ولا على وجه تصيد تصنع ، تخدع ، و لكنه تذلل ، و تخشع ، و تضرع من غير ضارع ولا مهين ولا خاشع لمن لا يستحق ذلك إلا لمن التضرع له عز و رفعة و شرف".

و ما إن تلاها يحيى حتى عفا عن جرمه ، و رضى عنه و وصله . و يقول الجاحظ إن عامة أهل بغداد كانوا يحفظون هذه الرسالة ، إعجابا ببلاغتها ، و هى بلاغة ترد إلى ما أجرى فيها ابن سيابة من هذا السجع الرشيق الذي يدل بوضوح على أن العبارات كانت طيعة على لسانه ، بحيث ينصرف فيها كما يريد دون أن يستعصى عليه منها شيء ، حتى مع ما اختاره لها من ممرّات السجع و دروبه الضيقة .

و من الشعراء الذين جمعوا بين براعتهم في الشعر والكتابة الإخوانية العتّابى، و قد ترجمنا له بين شعراء العصر النابهين و كانت قدرته في الكتابة لا تقل عن قدرته في الشعر ، و كان يعمد فيهما جميعا إلى الإيجاز و أن يروع السامع بمعانية كما يروعه بأساليبه ، و مما يصور ذلك في كتابته ما كتب به إلى صديق انتجعه في أيام شحيحة مجدية ، على هذه الشاكلة [٨١].

---

[٨١] الأمالى، ج٢،ص ١٣٧.

Dhaka University Institutional Repository

"أما بعد أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك إلى رضوانه والجنة ، فإنك كنت عندنا روضة من رياض الكرم تبتهج النفوس بها ، و تستريح القلوب إليها ، و كنا نعضيها من النُجعة استما ما لزهرتها ، و شفقة على خضرتها ، وادخارا لثمرتها ، حتى أصابتنا سنة كانت عندى قطعة من سنى يوسف ، اشتد علينا كلبها ، و غابت قِطنُها ، و كذبتنا غيومها ، وأخلفتنا بررقها ، و فقدنا صالح الإخوان فيها ، فانتجعتك ، و أنا بانتجاعى إياك شديد الشفقة عليك ، مع علمى بأنك موضع الرائد ، و أنك تغطى عين الحاسد . والله يعلم أنى ما أعدك إلا في حومة الأهل . و اعلم أن الكريم إذا استحيى من إعطاء التليل و لم يمكنه الكثير لم يعرف جوده و لم تظهر همته ، و أنا أقول في ذلك:

إذا تكرّهتَ من بذل القليل و لم تقدرْ على سعةٍ لم يظهر الجودُ

بُثّ النوالَ ولا تمنعْك قلتُهُ فكل ما سدّ فقراً فهو محمودُ

و يقال إنه بلغ من تاثيره في صديقه حين قرأ هذه الرسالة الرقيقة أن شاطره ماله حتى أعطاه إحدى نعليه و نصف قيمة خاتمه . و على نحو ما كان يقصد في أشعاره إلى المعاني الدقيقة الطريفة يصوغها في مقطوعات قلما تجاوزت بيتين كان يصنع برسائله ، فهو يصوغها غالباً في عبارات قليلة قد لا تتجاوز سطرين أو ثلاثة ، و لكنها مع قلتها حمل من المعاني والصور النادرة ما يجعلها آية من آيات البلاغة العباسية .

و على نحو ما أكثروا في طلب الزيارة من الكتب والرسائل أكثروا منها أيضا مع الهدايا التي كانوا يرسلون بها إلى أصدقائهم أو إلى بعض الوزراء و أصحاب السلطان ، و كانوا يختارون لها عادة مناسبة مثل عيد من الأعياد أو ختان بعض الأولاد ، من ذلك ما يروى من أن يحيى البرمكى عزم على ختان أحد أولاده ، فاهدى إليه وجوه الدولة كل منهم بحسب حاله و قدرته ، و تظرّف بعض من كانوا من أسبابه ، للدلالة على قصور همته ، فملأ و عاء من أدمٍ مِلحاً مطيبا و وعاء ثانيا سعدا معطرا و كتب معهما هذه الرقعة:

"لو تمت الإرادة ، لأسعفت العادة ، ولو ساعدت القدرة ، على بلوغ النعمة ، لتقدمتُ السابقين إلى خدمتك ، و أتعبت المجتهدين في كرامتك ، لكن قعدت بى

Dhaka University Institutional Repository

القدرة ، عن مساواة أهل النعمة ، و قصرت بى الجدة عن مباهاة أهل المُكنة ، و خشيت أن تطوى صحيفة البر ، و ليس لى فيها ذكر ، فأنفذت المفتتح بيمنه و بركته و هو الملح ، والمختتم بطيبه و نظافته و هو السعد، باسطا يد المعذرة ، صابرا على الم التقصير ، متجرعا غصص الاقتصار على اليسير ، والقائم بعذرى في ذلك : "ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج[٨٢]" . والمهدى ضارع في الامتنان عليه بقبول معذرته ، والإحسان إليه بالإعراض عن جراءته".

و عرضت الهدية على يحيى ، فلما قرأ الرقعة أمر أن يفرغ الإناءان و يملأ أحدهما دنانير والآخر دراهم ، إعجابا بتلطف صاحبهما و بلاغته و حسن بيانه. و كانت أكثر هداياهم طيبا و عطرا و تحفا ثمينة و وربما أهدوا السيوف والخيل ، و يروى أن عبد الله بن طاهر أهدى المأمون فرسا و كتب إليه [٨٣]:

"قد بعثتُ إلى أمير المؤمنين بفرس ، يلحق الآرانب في الصعداء ، و يجاور الظباء في الاستواء ، و يسبق في الحدور جرى الماء ، فهو كما قال تأبط شرا :

و يسبقُ وَ فد الريح من حيث ينتحى بمُنخرقٍ من شده المتدارك"

و أكثروا من التهانى مع كل مناسبة فهم يهنئون الخلفاء حين جلوسهم على أريكة الخلافة ، و هم يهنئون بإنجاب الأولاد ، وهم يهنئون بحكم الولايات ، و هم بهنئون بنعمة الحج و قضاء مناسكه ، و هم يهنئون بالظفر على الأعداء ، ولإبراهيم بن المهدى من رسالة هنأ فيها المعتصم بخروجه عن أرض الروم بعد فتحه العمورية [٨٤]:

"الحمد لله الذي تمّم لأمير المؤمنين غزوته ، فأذلّ بها رقاب المشركين و شفي بها صدور قوم مؤمنين ، ثم سهل الله له الأوبة سالما غانما ... وليهنئه ما كتب الله له مما أحصاه فلا ينساه ، ليقفه به موقفا يرضاه ، فإنه عز و جل يقول : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون ، و عدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، و من أو في

---

٨٢ القرآن، التوبة : ٩١ .

٨٣ زهر الآداب ، ج٢،ص١٧.

٨٤ جمهرة رسائل العرب، ج٤،ص٨.

Dhaka University Institutional Repository

بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، و ذلك هو الفوز العظيم) . فطوى الله لأمير المؤمنين نازح البعد برا و بحرا ، و وقاه وعث السفر سهلا و وعرا ، و حاطه بحراسته كالئا ، و دافع عنه بحفظه راعيا ، حتى يؤديه إلى المحل من داره ، والوطن من قراره ، و جزاه عن الإسلام خاصة و رعيته كافة".

و هذه الرسائل الإخوانية التي كانوا يصورون بها عواطفهم و مشاعرهم من ثناء أو هجاء أو استمناح أو استعطاف أو عتاب أو عزاء أو تهنئة أو تهاد دفعهم تفننهم في بعضها إلى أن يتحولوا بها إلى ما يشبه الرسائل الأدبية الخالصة ، وهى التي تتناول خصال النفس الإنسانية و تصور أهواءها و أخلاقها و توضح لها طريقها إلى الخير ، حتى لا تسقط في مهاوى الشر . ومن خير ما يصور ذلك رسالة يحيى بن زياد التي ردَّ بها على رسالة لإبن المقفع طلب إليه فيها أن تنعقد بينهما أسباب الأخوة والوداد ، و هو يستهلها على هذه الشاكلة [٨٥]:

"أما بعد فإنا لما رأينا موضع الإخاء ممن يحتمله في تانيسه من الوحشة و تقريبه لذى البعدة و مشاركته بين ذوى الأرحام في القربة لم نرض بمعرفة عينه دون معرفة نسبته ، فنسبنا الإخاء فوجدناه في نسبته لا يستحق اسم الإخاء إلا بالوفاء ، فلما انتقلنا عنه إلى الوفاء فنسبناه انتسب لنا إلى البر ، فوجدناه محتويا على الكرم والنجدة والصدق والحياء والنجابة والزكانة و سائر ما لا يأتى عليه العدد من المحامد . ثم انحدرنا فيما أصعدنا فيه من هذا النسب ، فعدنا إلى الإخاء ، فوجدناه لا يقوم به إلا من هذ ه الخصال كلها أخلاقه . ولما استوجب الإخاء مسالك المحامد - أن نتخير له محامله التي يحمل عليها ، وكان الناس فيما احتسبنا به عنهم من الإخاء على صنفين ، فصنف عذرونا بالتحبس للخير إذ كان التخير من شأنهم ، و صنف هم ذوو سرعة إلى الإخاء ، و سرعة في الانتهاء ، فقدموا اللائمة ، واستعجلوا بالمودة ، و تركوا باب التروية ، واستحلوا عاجل المحبة ، و لهوا عن آجل الثقة ، فكانوا بذلك أهل لأئمة ، و لم يجد المعذرون الإ الصبر على تلك والاستعمال للرأى والاستعداد بالعذر عند المحاجة".

---

[٨٥] المصدر نفسه ،ج٣،ص٦٧.

Dhaka University Institutional Repository

و من الرسائل التي نحت هذا النحو من التجريد والنظر من أعلى إلى الموضوع الذي تتحدث فيه رسالة غسان بن عبد الحميد في العتاب ، و هو يفتتحها على هذه الصورة [٨٦]:

"أما بعد فإن الله جعل العباد أطوارا في أخلاقهم ، كما جعلهم اطوارا في صورهم و جعل بينهم أمورا يتآلفون عليها و يعملو أحلامهم فيها : مِن حرمٍ يتجاملون بها ، و حقوق يتنازعونها ، و مودة يتعاطونها ، و مودة يتعاطونها ، و أخوة يتداولونها ترعى بوفاء ، و تؤدى بأمالة و تضيع بتقصير ، و تنتقص بخيانة، ليس من أديت إليه فيما يحفظ منها بأسعد من المؤدى لها فيما يأخذ به من الفضل لنفسه ، و ليس من ضيعت منه بأشقى ممن ضيعها فيما يدخل من التقصير عليه ، فإن من أخطأه الوفاء من أخيه فإنما يدخل عليه تقصير غيره ، و من ضيع الوفاء لإخوانه فقد أدخل النقص في خاصة نفسه ، والمرء يجد من أخيه إذا خانه بدلا ، ولا يجد عن نفسه إذا قصرت به متحولا ، و ليس نقص يستبدل به كنقص لا يستطيع مُزايلته" .

و على هذا النحو أخذ بعض الكتاب ينمون الرسائل الإخوانية حتى غدت رسائل أدبية بديعة ، و كان ابن المقفع كما أسلفنا قد ترجم عن الفارسية كثيرا من الرسائل الأدبية التي تتصل بالأخلاق و سلوك الناس مع أولى الأمر في الحياة العامة كما تتصل بالسياسة و تدبير الحكم ، و أيضا فإنه ترجم قصص كليلة ودمنة ، و كل ذلك أخذ بعض الكتاب يحاكونه ، من ذلك ما يذكره ابن النديم عن العتابى من أن له رسالة في فنون الحكم و رسالة اخرى في الآداب [٨٧]، و أن لسعيد بن هرون أحد تحزنة دار الحكمة للمأمون رسالة في الحكمة و منافعها [٨٨]، و أن للعتبى المتوفي سنة ٢٢٨ للهجرة كتابا في الأخلاق [٨٩]، و مر بنا أن على ابن عبيدة الريحانى الكاتب في دواوين المأمون صنف كتبا مختلفة في الحكم والامثال . و كل هذه الرسائل كان يراد بها أن ترشد الناس في حياتهم إلى الخير بما تقدم لهم من الأمثال

---

٨٦ المصدر نفسه ،ص١١٣.
٨٧ ابن نديم ،الفهرست ،ص ١٧٥.
٨٨ المصدر نفسه ، ص ١٧٤.
٨٩ المصدر نفسه ، ص ١٧٦.

Dhaka University Institutional Repository

و تفصل من الحكم . و أخذ بعض الكتاب يعنون بالكتابة في السياسة ، على هدى ترجمات ابن المقفع فيها ، على نحو ما يذكر ابن النديم عن أبى دلف[٩٠] العجلى و سهل[٩١] بن هرون ، واشتهر سهل بأنه استوحى كليلة ودمنة في كتابة قصص على شاكلتها . و يقول ابن النديم عن على بن داود كاتب زبيدة زوج الرشيد إنه "كان أحد البلغاء ، و كان يسلك في تصنيفاته طريقة سهل بن هرون ، و له من الكتب كتاب الجرهمية و كتاب الحرة والامة و كتاب الظراف"[٩٢]. و في اسم الكتاب الأخير ما يشير إلى أن الكتاب عرفوا في هذا العصر الرسائل الأدبية التي يقصد بها إلى التفكهة والترويح عن النفس .

---

٩٠ المصدر نفسه ، ص ١٦٩.

٩١ المصدر نفسه ، ص ١٧٤.

٩٢ المصدر نفسه .

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الرابع : العناصر الإسلامية في الرسائل في العصر العباسي الثاني

(أ) الرسائل الديوانية

ذكرت في الفصل الثالث في العصر العباسي الأول كيف أن الدواوين كانت كثيرة ومتنوعة ، فديوان للخراج ، وديوان للنفقات وديوان للضياع و ديوان للرسائل وديوان للخاتم وديوان للجيش أو دواوين . ودواوين لشرقى الدولة وغربيها ، ولكل ولاية ديوان وأحيانا دواوين. وفوق كل هذه الدواوين ديوان الزمام الذي يشرف عليها. وهذه الصورة العامة للدواوين في سامراء وبغداد كانت تقابلها دواوين أخرى في حاضرة كل ولاية. وكان الأولياء العهد والوزراء دواوين بدورهم ، وكذلك لكبار القواد ، وحتى نساء الخلفاء كان لهن دواوين يقوم عليها كتاب ينظرون في الدخل والخرج والنفقات.

وكان ذلك عاملا قويا في نشاط الكتابة إذا شغل بها كثيرون ، وخاصة أنها كانت تعود عليهم برواتب وأرزاق ضخمة ، وكان الكاتب في دوارين الدولة إذا أظهر نبوغا ارتقى سريعا ، وما يزال يرتقى حتى يصبح رئيس مجموعة من الدواوين وقد يصبح وزيرا يدبر أمور الدولة كلها ، فإن فاتتة الوزارة أصبح واليا لمدينة كبيرة مثل إبراهيم بن المدير الكاتب إذ ولى – فيما ولى- البصرة . وكثير من الولاة كانوا يتقنون الكتابة مثل محمد بن عبد الله بن طاهر وأخيه عبيد الله حاكمى بغداد بالتعاقب.

وكانت الدواوين في سامراء وبغداد لذلك أشبه بمدرسة فنية كبيرة ، يفيد عليها الشباب ، ويختبرون اختبارا دقيقا ، فمن نجح في الاختبار وظف فيها ، ولزم غيره من الكتاب القدماء وعمل بين أيديهم ويدبج بعض الرسائل ، فإذا نالت رسالة حظوة من رئيس الديوان تم له سعده . وربما الحقوهم ببعض الولاة أو العمال ، وقد يقفزون بهم قفزا إلى القيام على أحد الدواوين . ولا ريب في أن ذلك جعل التنافس على النهوض بالكتابة يبلغ الذروة تنافس دفع إلى التثقف الواسع بكل ألوان الثقافات ، وفي مقدمتها الثقافة اللغوية ، ومر بنا كيف أن ابن قتيبة ألف لهم في ذلك كتابه " أدب الكتاب". ولا بد من إتقان الفقه لحاجة الكتاب إليه في شئون الخراج ، وأيضا لا بد من إتقان الحساب لنفس الغاية . وكانوا يكبون خاصة على علوم التنجيم والمنطق الهندسة وعلى الفلسفة مما جعل ابن قتيبة يظن به الظنون وأنهم يغرقون إلى آذانهم في علوم اليونان وفلسفتهم حتى ليفوتهم اتفاق العربية . وتوفروا على ما ترجم من الثقافة الهندية من الحكم والقصص وكذلك على ما ترجم من الثقافة الفارسية مما يتصل بتقاليد الساسانيين وأنظمة الحكم وآداب السياسة وأخبار ملوكهم ووزرائهم . فكل ذلك كانوا يعكفون عليه ويتزودون به ، فتى يستمدوا منه في معانيهم ومنطقهم . وكانوا يلتزمون الوضوح لأن رسائلهم توجه إلى العامة ولا بد أن

Dhaka University Institutional Repository

تفهم ما تسمع دون حاجة إلى شرح أو بيان . كما كانوا يلتزمون فيه شيئا من التنميق حتى تنال استحسان من يكتبون عنه من الخلفاء والوزراء ولولاة والأمراء والقواد . وكانت الرسائل تتناول جيمع شئون الدولة من منشورات تتصل بأهل الذمة أو الرعية ومن ولاية عهود أو بيعة لخليفة أو خلع أو دعوة إلى الجهاد في سبيل الله أو تولية وزير أو وال أو تنويه بموسم حج أو يعد أو أخبار الولايات أو أمر بمعاقبة بعض الجناة . وتفننوا في المقدمات وخاصة في التحميدات وما اتصل منها برسالة التي كانت تكتسب إلى الولايات حين يستولي خليفة على مقاليد الحكم.

ونحن نعرض طائفة من الكتاب مرتبين على عهود الخلفاء لنتبين خلال كتاباتهم روعة بيانهم من جهة وما حدث من تطور في الكتابة الديوانية وأساليبها في العصر . ومعروف أن أول كاتب نابه يلقانا في العصر هو إبراهيم بن العباس الصولى الذي حرر أكثر ما صدر عن المتوكل من منشورات وكتب ورسائل في المفتوح ، ولن نقف عنده لأننا سنخصه بحديث مفصل في الفصل التالى. ومن كتاب المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خافان الذي استكتبه سنة ٢٣٦ ، ثم جعله وزيره و للبحتزي في مدائح مختلفة ، وقد احتفظ له الطبري برسالة كتب بها عن الحليفة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر حاكم بغداد يأمره بضرب رجل ألف سوط لما صح من شهادة شهود كثير بن علي نشتمه لأبى وعمر والسيدة عائشة والسيدة حفصة زوجى الرسول ، والرسالة تخلو من السجع ومحاولة التنميق[٩٣] .

ويدخل عصر المنتصر ، ويستوزر أحمد بن الخصيب ، وكان كاتبا أديبا ، مما جعله يعهد إليه بكتابة الكتب التي تصدر عنه ، وكان من أوائلها كتاب في الجهاد كتبه لسبع ليال خلون من المحرم سنة ثمان وأربعين ومائتين حين اتجه وصيف إلى الغرو في أرض الروم ، وفيه يقول[٩٤]: "قال عز وجل آمرا بالجهاد مفترضا له : "انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون"[٩٥]. وليست تمضى بالمجاهد في سبيل الله حال لا يكابد في الله نصبا ولا أذى ، ولا ينفق نفقة ولا يقارع عدوا ، ولا يقطع بلدا ، ولا يطأ أرضا ، إلا وله بذلك أمر مكتوب وثواب جزيل وأجر مأمول ، قال الله عز وجل[٩٦] : "ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نسيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجرا المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة . ولاكبيرة ولا يقطعون وأدبا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعلمون" .

---

٩٣ الطبري ،ج٩، ص ٢٠٠.
٩٤ المصدر نفسه ، ص٢٤١.
٩٥ القرآن ، المائدة:٥٤.
٩٦ القرآن ، التوبة :٢٠.

Dhaka University Institutional Repository

وليس من شيئ يتقرب به المؤمنون إلى الله عز وجل من أعمالهم ، ويسعون به في حط أوزارهم وفكاك رقابهم ، ويستوجبون به الثواب من ربهم إلا والجهاد عنده أعظم منه منزلة ، وأعلى لديه رتبة ، وأولى وسمحوا بها دون من ورائهم من إخوانهم وحريم المسلمين وبيضتهم و وقموا (قمعوا) بجهادهم العدو .

وصياغة الكتاب جزلة رصينة ، وفيها محاولة واضحة للدقة في التعبير وأن يروق السمع والذهن ، ولكن لا بسجع ، وإنما بعبارات متوازنة متقابلة . مما يشهد لابن الحصيب بانه كان كاتبا مجيدا. واحتفظ الطبري له بكتاب ثان خلع فيه المنتصر أخويه المعتز والمؤيد[٩٧] ، نحا فيه منحى الكتاب السابق في الصياغة.

ويتولى المتسعين الخلافة ، ويتخذ سعيد بن حميد أحد الكتاب البلغاء على ديوان رسائله ، وسرعان ما يتولى المعتز الخلافة ، ويستوزر أحمد بن أسرائيل ، ويقول الفخرى إنه أحد الكتاب الحذاق الأذكياء . وكان من كبار ولا ته وأربهم إلى نفسه محمد بن عبد الله بن طاهر حاكم بغداد ، وكان أديبا بارعا، وفي الطبري رسالة له وجه بها إلى عمال النواحي حين أعطاهم المعتز الحق في التنكيل بأعدائه ، وهى تمتلئ وعيدا وتهديدا على هذا النمط[٩٨].

"أما بعد فإن زيغ الهوى صدف عن حزم الرأي ، فأقحمكم حبائل الخطأ ، واو ملكم الحق عليكم وحكمتم به فيكم لأوردكم البصيرة ونفي غيابة الحمرية ، والآن فإن تجنحوا للمسلم تحقنوا دمائكم وترغدوا عيشكم ويصفح أمير المؤمنين عن جزيرة جارمكم ، ويسبغ النعمة عليكم ، وإن مضيتم على غلوائكم وسول لكم الأمل أسوأ أعمالكم فأذنوا بحرب من الله ورسوله بعد نبذ المعذرة إليكم وإقامة الحجة عليكم . ولئن شنت الغارات وشب ضرام قطبها وحسمت الصوارم أوصال حماتها ، واتجرت العوالى من نهما ، ودعيت نزال، والتحم الأبطال ، وكلحت الحرب عن أنيابها أشداقها ، وألقت للتجرد عنها قناعها. واختلفت أعناق الحيل ، وزحف أهل النجدة إلى أهل البغى لتعلمن أي الفريقين أسمع بالموت نفسا، وأشد عند اللقاء بطشا ، ولات حين معذرة ، ولا قبول فدية ، وقد أعذر من أنذر- وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون" .

وصياغة الرسالة صياغة مضبوطة محكمة ، ويكثر فيها التقابل بين العبارات ويكثر التفاصح واستخدام كلمات القرآن الكريم وبعض آية مثل : "فإن تجنحوا للسلم [٩٩]" ومثل : "فأذنوا بحرب من الله ورسوله [١٠٠]" وايضا:"سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون [١٠١]".

---

[٩٧] الفخرى ، ص١٨٢.
[٩٨] الطبري ، ج٩، ص١٦٧.
[٩٩] القرآن ، الأنفال :٦١.
[١٠٠] القرآن ، البقرة :٢٧٩.

Dhaka University Institutional Repository

مما يدل على تمكن الكاتب من العناصر الإسلامية القرآنية ، وقد استخدم كلمة: "واستجرت" من كلمة: "أجرت" دلالة قدرته في القياس والتصريف ، وأتى بأمثال مختلفة مثل : "ودعيت نزال" وهو مثل يضرب الاحتدام الحرب ، ومثل : "من أعذر فقد أنذر". وشيء أهم من ذلك كله واضح في الرسالة وضوحا بينا ، وهو كثرة الصور فيها مثل غيابة الحيرة وإسباغ النعمة وضرام الحرب و"دارت رحاها على قطبها ، وحسمت الصوارم أوصال حماتها واتجرت العوالى من نهمها ... وكلحت الحرب عن أنيابها أشدقها وألقت للتجرد عنه اقناعها". صور متراكمة ، قصد إليها الكاتب قصدا ليدل على براعته الفنية ، وأنه ليس الشعر وحده الذي يستطيع أن يحمل حشود الصور ، فالنثر بدوره يمكن أن يحمل منها ما يحمل الشعر ، بل يمكن أن يزداد حمله وأن يصبح صورا خالصة يأخذ بعضها بزمام بعض.

ويخلف المعتز المهتدى ، وهو أعظم خلفاء العصر سيرة حميدة وتقوى وورعا وعبادة ، وكان يخطب في الناس كل جمعة يعظهم ويذكرهم الآخرة، وكان يعمل في دواوينه سعيد بن عبد الملك ، ويقول صاحب الفهرست : البلغاء الحديثون ثلاثة : الحسن بن وهب وبراهيم بن العباس الصولى وسعيد بن عبد الملك[١٠٢] ، وله كتاب في التنويه بخليفة وخطابته في عيد الفطر. ولا نرتاب في أنه يريد المهتدى ، لأن من وليه من خلفاء القرن الثالث كانوا يندبون عنهم من يخطب يوم الجمع، ومر بنا ما أصاب المتضد من حصر خيما حاول الخطابة في أحد الأعياد ، فالمهتدى المقصود بتلك الرسالة ، وفيها يقول[١٠٣] : " أدام الله صلاح الأمة ولا أخلاها من بركة رعايته ، ومن ولايته وسياسته، ولا زالت في كنف السلامة بسلامته ، وظل العافية بعافيته ، وعلى سبيل نجاة هدايته . وقد كتبت إلى أمير المؤمنين فيما وليه الله به في مخرجه إلى عيده من يوم فطره وما وفقه له من التقرب إليه بوسائل التذلل في طاعته والاجتهاد في شكره و المناصحة في مخاطبة من حضره وإنصاتهم لوعظه وتذكيره ،وما وليه الله به من العافية والسلامة الشاملة ، والنعمة الكاملة ، والعز الموصول بالسكينة .... منا من الله خص به خليفته وأعطاه فضل مزيته بما وفقه له من العدل والنصفة ، والبر والمرحمه ، والعطف والرأفة ".

وفي هذه الفقرة ما يصور كيف أخذ كتاب الرسائل الديوانية منذ أواسط القرن الثالث الهجري يصطنعون السجع في جوانب من رسائلهم على نحو ما نرى الآن عند سيعد بن عبد الملك ، وحقا أخذ السجع يدخل في الرسائل الشخصية منذ عند سعيد بن عبد الملك ، وحقا أخذ السجع يدخل في الرسائل الشخصية منذ القرن الثاني كما صور ذلك كتابنا العصر العباسي

---

١٠١ القرآن ، الشعراء:٢٢٧.
١٠٢ ابن نديم ،الفهرست، ص ١٨٨
١٠٣ أحمد زكى صفوت ،جمهرة رسائل العرب، ج٤،ص٣٠٠.

Dhaka University Institutional Repository

الأول على نحو ما يلقانا في رسالة ابن سياسة المشهورة ، ولكن الرسائل الديوانية ظلت تكتب بأسلوب مرسل ، يشيع فيه أحيانا الازدواج ، أما السجع فيندر أن نلتفى به في تلك الرسائل ، وكأن الأذواق أخذت تستعد لشيوعه وانتشاره في الكتابة الديوانية لهذا العصر.

ويخلف المهتدى المعتمد ويظل وزيرا له ، كما كان وزيرا لسابقه ، سليمان بن وهب، ويقول الفخري عنه : أحد الكتاب الدنيا ورؤسائها فضلا وأدبا وكتابة وأحد عقلاء العالم وذوى الرأي منهم ، ويروى عنه أنه كان يكتب ، في أول عيده بالعمل ، بدواوين الدولة بين يدي محمد بن يزداد وزير المأمون . وكان إذا انصرف في الليل إلى داره ناب عنه في دار المأمون أحد الكتاب الصغار بالنوبة لمهم عساه يعرض في الليل . يقول سليمان : وبينما أنا نائب عنه في إحدى الليالي إذ طلبني المأمون ، فقال لي : أعمل نسخة في المعنى الفلانى – ووسع بين سطورها أحضرته إليه ، فلما رآني قال : كتبت مسودة ؟ قلت : بل كتبت الكتاب، فقال : بيضته ؟ قلت: نعم ، فزاد في نظره إلى كلا متعجب منى ، فلما قرأه تبينت الاستحسان على وجهه، وقال: يا صبى لا أدرى من أي شئ أعجب أمن سرعة فهمك أم من حسن خطك، بارك الله فيك . ونعجب أن يظل سليمان بن وهب يعمل في الدواوين ويكتب رسائل ديوانيه مختلفة حيّ عصر المعتمد ومع ذلك لا تحفظ له كتب الأدب برسالة واحدة من تلك الرسائل [١٠٤] : "أنا مقر معترف، فما تراك صانعا بمن أعلقك زمامه ، وأمكنك من قياده ، وحكمك في أمره ، معاقبا له أو متفضلا عليه بالعفو عنه؟ لكنى أرجو أن استقبل طاعة لا تمتنع من كشرها ، واغتفار كل تقصير خلافي جنبها ، فالأيام بما تحب أمامك". والقطعة قصيرة ، ولكنها على كل حال نصور صياغة جزلة رصينة ، كما تصور ذوقا مهذبا في الاعتذار والاستعطاف ، حتى ليجعل زمامه وقياده بيد صديقه ويحكمه في أمره ، وله الخيار إما أن تعاقب ، وإما أن يتفضل بالعفو . وكان يكتب بين يديه حين وزر للمعتمد أبو العباس أحمد بن ثوابه ، وهو من أعلام الكتاب في العصر.

وكان يلى وزارة المعتضد عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وفيه يقول الفخرى : " من كبار الوزراء ومشايخ الكتاب ، وكان بارعا في صناعته حاذقا ماهرا لبيبا جليلا ، ماتت للمعتضد جارية كان يحبها فجزع عليها". فقال له عبيد الله بن سليمان : "مثلك – يا أمير المؤمنين – تهون المصائب عليه ، لأنك تجد من كل مفقود عرضا ، ولا يجد أحد منك عوضا ، وكأن الشاعر عنك بقوله :

يبكى علينا ولا نبكى على أحد لنحن أغلظ أكبادا من الإبل

---

[١٠٤] المصدر نفسه ،ص٣٢١.

Dhaka University Institutional Repository

وليس بين أيدينا من رسائل عبيد الله الديوانية إلا رسالة كان قد أمره المعتضد بإنشائها في لعن معاوية ، حتى يقرأ بها الخطباء بعد صلاة الجمعة على المنابر ، وقد استهلها عبيد الله بالتحميد قائلا[١٠٥]:

"بسم الله الرحمن الرحيم :الحمد لله العلى العظيم ، الحليم الحكيم، العزيز الرحيم ، المنفرد بالوحدانية ، الباهرة بقدرته ، الخالق بمشيئته ، وحكمته ، الذي يعلم أسرار الصدور وضمائر القلوب لا تخفي عليه خافية ، ولايعزب عنه مثقال ذرة في السموات العلا ، ولا في الأرضين السفلى ، قد أحاط بكل شيئ علما ، وأحصى كل شئ عددا ، وضرب كلك شيئ امدا ، وهو العليم الخبير . والحمد لله الذي برأ خلقه لعبادته ، وخلق عباده لمعرفته ، على سابق علمه في طاعة مطيعه ، وماضي في عصيان عاصيهم ، فبين لهم ما يأتون وما يتقون ، ونهج لهم سبل النجاة ، وحذرهم مسالك الهلكة ، وظاهر عليهم الحجة ، وقدم إليهم المعذرة ، واختار لهم دينهم الذي ارتضى لهم وأكرمهم به ، وجعل المعتصمين بحبله والمتمسكين بعروته أولياء وأهل طاعته ، والعائدين عنه والمخالفين له أعداءه وأهل معصيته ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وإن الله لسميع عليم . والحمد لله الذي اصطفي محمدا ورسوله من جميع بريته ، وأختاره لرسالته ، وابتعثه بالهدى والدين المرتضى إلى عباده أجمعين ، وأنزل عليه الكتاب المبين المستبين ، وتأذن له باالنصر والتمكين ، وأيده بالعز والبرهان المتين ، فاهتدى به من اهتدى ، واستنقذبه من استجاب له من العمى ، وأضل من (أدبر وتولى) حتى أظهر الله أمره ، وأعز نصره ، وقهر من خالفه ، وأنجز له وعده ، وختم به رسله ، وقبضه مؤديا لأمره ، مبلغا لرسالته ، ناصحا لأمته ، مرضيا مهديا إلى أكرم مآب المنقلبين ، وأعلى منازل أنبيائه المرسلين، وعباده الفائزين ، فصلى الله عليه أفضل صلاة وأتمها ، وأجلها وأعظمها ، وأزكاها وأطهرها ، وعلى آله الطيبين".

(ب) الرسائل الإخوانية و الأدبية

ذكرت في الفصل الثالث في العصر العباسي الأول كيف أن الرسائل الإخوانية ازدهرت حينذاك ، إذ اتخذها الأدباء لتصوير عواطفهم ومشاعرهم في الخوف والرجاء والرهبة والرغبة والمديح والهجاء والتهاني والعتاب والاعتذار والاستعطاف والتعزية والاستمناح. وبذلك نافس النثر الشعر في مجالاته الخاصة : مجالات الوجدان ، وأظهر الكتاب في ذلك براعة فائقه ، إذ كان كثير منهم بلغ الذروة في الفن الكتابي ، وأيضا فإن الشعراء أنفسهم أدلوا بدلائهم في تلك الرسائل حين وجدوها شديدة التأثير في نفوس من توجه إليهم . وبذلك توفر للرسائل الإخوانية

---

[١٠٥] الطبري ، ج١٠،ص٥٥.

Dhaka University Institutional Repository

كثيرون من الكتاب والشعراء النابهين ، الذين استطاعوا أن يبثوا في النثر طاقات جديدة من طرافة التفكير ودقة التعبير ، حتى لنرى قوما إذا سئلوا عن الكلام أو الوصف، هل يكون شعرا أو نثرا فضلوا أن يكون نثرا ، فقد روى المسعودى عن أبى العباس المكي نديم محمد بن عبد الله بن طاهر أنه كان ينادمه ذات ليلة في سنة ٢٥٠ للهجرة ، فسأله أن يصف له الطعام والشراب والطيب والنساء والخيل ، فقال له : أيكون ذلك منثورا أو منظوما ؟ قال: لا ، بل منثورا. فالنثر أصبح له القدح المعلى على الشعر ، لا لأن أصحابه كانوا يرقون إلى الوظائف العليا في الدولة ودواوينها فحسب، ولا لأنه كان يختار منهم الوزراء فحسب، بل أيضا لأنه أصبح يضارع الشعر في التأثير في وجدان القارئ ، بما وفر له كتابه العظام من جزالة الألفاظ ورصانتها ومن حسن تلاؤمها في الجرس . فالكاتب ما يزال بلائم بين لفظة ولفظة ، بل أحيانا بين حرف وحر ، حتى يأمر العقول والألباب . وكان أكثر من الشعر طواعية لحمل الأفكار بحكم يسر تعابيره وما يجرى فيها من مرونة ، مما جعل الشعراء أنفسهم يتخذونه في بعض الأحوال أداة لتصوير خواطرهم ومشاعرهم وأفكارهم ، كما ذكرنا آنفا . وتحمل كتب الأدبي كثيرا من الرسائل الإخوانية للكتاب بارعين ، ونحن نعرض طائفة منها تصور مدى ما كانوا تحققونه لها من إجادة وإتقان ، فمن ذلك رسالة للحسن بن وهب كتب بها إلى المتوكل في عيد نيروز، يهنئة بالعيد، وكلها دعاء وابتهال، يقول.

أسعدك الله – يا أمير المؤمنين – بكر الدهور ، وتكامل السرور ، وبارك لك في ' إقبال الزمان ، وبسط بيمن خلافتك الآمال ، وخصك بالمزيد ، وأبهجك بكل عيد ، وشد بك أزر التوحيد ، ووصل لك بشاشة أزهار الربيع المونق ، بطيب أيام الخريف المغدق (كثير المياه) وبواقع تمكين لا يجاوزه الأمل ، وغبطة إليها نهاية ضارب المثل ، وعمر ببلائك الإسلام ، وفسيح لك في القدرة والمدة ، وأمتع برأفتك وعدلك الأمة ، وسربلك (ألبسك) العافية ، ورداك السلامة ، ودرعك العز والكرامة ، وجعل الشهور لك بالإقبال متصد به، والأزمنة إليك راغبة متشوقة ، والقلوب نحوك سامية ، تلاحظك عشقا ، وترفرف نحوك طربا وشوقا.

وكانت قد أخذت تشيع التهنئات بالأعياد الفارسية والإسلامية شعرا فجعلها الحسن بن وهب نثرا ، وفي رأينا أنه لم يعش طويلا في عصر المتوكل. وكانوا قد اعتادوا كثيرا في العصر العباسي الأول أن يتهادوا التحف والطرف ، وعادة كانوا يرسلون مع الهدية بعض الأشعار ، وأخذت النمر يزاحم الشعر في هذا الموضوع ، فمن ذلك أن نرى الكندى الفيسوف (ت٢٦٠) يهدى إلى بعض أخوانه سيفا ويكتب معه[١٠٦]:

---

[١٠٦] غرر الخصائص الواضحة، ص٤٤٧.

Dhaka University Institutional Repository

"الحمد لله الذي خصك بمنافع ما أهدى إليك ، فجعلك تهتز للمكارم ، اهتزاز الصارم (السيف) ، وتمضى في الأمور ، مضاء السيف المأثور (المتألق للامع) وتصون عرضك بالإرفاد (الإعطاء) كما تصان السيوف في الأغماد ، ويظهر دم الحياة في صفحة خدك المشوف (المجلو) كما يشف الرونق في صفحات السيوف ، وتصقل شرفك بالعطيات، كما تصقل متون المشرفيات (السيوف".

والرسالة تتقدم في السجع خطوة عن سابقتها ، فإن الحسن بن وهب كان يترك السجع أحيانا أما الكندى فإنه في رسالته يتشبث بالسجع ، وكأنما لحق عصرا كانت عنايته به أقوى وأشد من عصر الحسن بن وهب. ومر بنا أبو على البصير بين الشعراء ، ويقول ابن المعتز كان كاتبا رساليا (صاحب رسائل) والعتابى (وكان شاعرا كاتبا) : إن هذا قلما يتفق للرجل الواحد ، لأن الشعر الذي للكتاب ضعيف جدا، فإذا اجتمعا في الواحد فهو المنقطع القرين[١٠٧]. وقد أثرت عن أبى على البصير رسائل كثيرة ، فمن ذلك رسالة كتب بها إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل مادحا له معددا فضائله ، وفيها يقول[١٠٨] :

"إن أمير المؤمنين لما استخلصك لنفسه ، وائتمنك على رعيته ، فنطق بلسانك ، وأخذ وأعطى بيدك ، وأورد وأصدر عن رأيك - ولم يزد – أكرمك الله رفعة وتشريفا إلا ازددت له هيبة وتعظيما ، ولا تسليطا وتمكينا إلا زدت نفسك عن الدنيا عزوفا وتنزيها ، ولا تقريبا واختصاصا إلا ازددت بالعامة رأفة وعليها حدبا ، لا يخرجك فرط النصح له عن النظر لرعيته ، ولا إيثار حقه عن الأخذ بحقها عند - ولا بشغلك معاناة كبار الأمور عن تفقد صغارها- تمضى ما كان الرشد في إمضائه ، وترجى ما كان الحزم في إرجائه ... وتلين في غير تكبر ، وتعم في غير تصنع ، لا يشقى بك المحق وإن كان عدوا ، ولا يسعد بك المبطل وإن كان وليا - وكافة الرعية- إلا من غمط (بطر) منهم النعمة – مشنون عليك بحسن السيرة ، ويمن النقيبة".

وقدرة أبى على البصير على اختيار الألفاظ بارعة ، فقد كان يعرف كيف يختار مفرداته وكيف يؤلف بينها تأليفا حسنا ، يجرى فيه التقابل والتوازن ، وإن لم يجر في هذه الرسالة السجع ، ولكن يجرى فيها ماء ورونق . وهو لم يسق في مديح عبيد الله عبارات طنانة فحسب ، بل سلق معاني سياسية جيدة ، فهو رءوف بالشعب حدب عليه ، وحق كل فرد فوق حق الخليفة نفسه ، مدبر حازم . مترفع عن الصغائر ، في تواضع لا يسف به إلى الدنيات دون تكلف . لا يؤذى محقا وإن كان عدوا ، ولا يسر مبطلا وإن كان صديقا ، والرعية جميعها تحيه وتثنى عليه

---

١٠٧ ابن المعتز، طبقات الشعراء ، ص٣٩٨

١٠٨ زهر الآداب ، ج١،ص٢٤١.

Dhaka University Institutional Repository

لسيرته وفضائله الطيبة . وله رسالة مسجوعة تدخل في العتاب أو بعبارة أدق في الهجاء كتب بها إلى أبى العيناء منافسه في منادمة الخلفاء والوزراء، وفيها يقول[١٠٩] :

" من أبى على البصير ، ذى البرهان المنير ، المبلغ في التحذير ، المعذر في النكير، إلى أبى العيناء الضرير ، ذى الرأي القصير ، والخطل الكثير ، والأقدام بالتعيير ، سلام على المخصوصين بالسلام، من أجل حقيقة الإسلام، والمؤمنين بالحلال والحرام، والفرائض والأحكام ، فإنى أحمد الله إلى نفسه وأوليائه من خلقه ، على ما هدانى من دينه ، وعرفنى من حقه ، وامتن عليّ به من تصديق رسله. أما بعد فإنك الرجل الدقيق حسبه ، الردئ مذهبه ، الدنئ مكسبه ، الحسين مطلبه ، البذئ لسانه ، المبتلى به إخوانه ، قد صيرت القحة (الوقاحة) جنة (وقاية) وشتم الأعراض سنة ، صديقك على وجلٍ منك إن شاهدته عافك ، وإن غبت عنه خافك ، تسأله فوق الطاقة ، وترهقه عند الفاقة (الفقر) فإن اعتذر إليك لم تعذره ، وإن استنظرك لم تنظره (تمهله) وإن أنعم عليك لم تشره ، لا تزيدك السن إلا نقصا ، ولا يفيدك الغنى إلا حرصا . وتعرض للناس بالسؤال ، غير محتشم من الإملال من أطاعك في ماله حربته (سلبته) ، ومن منعك بعذر واضح سببته .. ومن أكرمك أهنته وتطاولت عليه ، ومن أهانك استكنت له ولنت في يديه .. أرثك عن أبيك السعاية ، ونقل الأخبار والوشاية". والرسالة كلها – على هذا النحو – هجاء وإقذاع في الهجاء ، وقد استهلها لمحا إلى أن أبا العيناء لا يؤمن بحلال ولا حرام ولا بفرائض ولا أحكام مخرجا له من الملة حامدا لنفسه هداه وتصديق الرسل الذين يكفر بهم أبو العيناء . ثم يسبه في حسبه وفي مذهبه ومكسبه واصفا له بالخسة والدناءة ، وأنه لا يحترم صديقا مهما أكرمه ، مع الشح والتعرض للنا س . بالسؤال والإلحاف فيه . ويقول له في نهاية رسالته : "قد ملت إلى السجع على علمى بخاسة خطه وركاكة معانيه ولفظه ، إذ كنت تلوى به لسانك ، وتشنى إليه عنانك ، قطعا لحجتك ، وإزاحة لعلتك)). وكان أبو العيناء على شاكلة أبى على البصير يملأ رسائله بالسجع على نحو ما نجد في رسالة كتب بها إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان يشكو له ابنه محمدا إذا أهداه فرسا غير فاره ، وفيها يقول[١١٠] :

"أعلم الوزير- أيد الله – أن أبا على محمد أراد أن يبرنى فعقنى ، وأن يركبنى فارجلنى ، أمر لى يفرس كالقضيب اليابس عجفا (هزالا) وكالعاشق المهجور دنفا (سقما). قد أذكر الرواة عروة العذرى ، والمجنون العامرى .. قد حفظ الأشعار ، وروى الأخبار ، ولحق العلماء في الأمصار .. وإنما أتيت من كاتبه الأعور ، الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر ، وإن اختار لغيره أخبث وأنزل (قلل)".

---

١٠٩ جمهرة رسائل العرب ، ج٤، ص١٥٩.
١١٠ زهر الآداب، ج٢،ص١٦٥.

Dhaka University Institutional Repository

والرسالة سجع خالص، وكان من الكتاب من أخذ يصطنعه منذ أوائل هذا العصر في بعض الرسائل ، فإن أبا العيناء نفسه رسائل أخرى في الاستمناح[١١١] وطلب النوال وفي لشكر [١١٢]، تكتفي فيها بالعبارة المصقولة والألفاظ المنتخبة المختارة دون أن يعنى بالسجع وترصيفه وتنميقه. ومن الكتاب البلغاء المعاصرين لأبى العيناء وأبى على البصير محمد بن مكرم ، وفيه يقول صاحب الفهرست : (كاتب بليغ مترسل ، وله كتاب رسائل[١١٣]) وتدور له في الكتاب مجموعة من الرسائل ، منها رسالة في ا لاعتذار لبعض الرؤساء على هذه الشاكلة[١١٤]:

"نبت بى عنك غرة (غفلة) الحداثة ، فردتنى إليك التجوبة ، وبا عدتنى عنك الثقة بالأيام ، فأدنتى إليك الضرورة ثقة بأسراعك إلىّ ، وإن أبطأت عنك ، وبقبولك لعذرى وإن قصرت عن واجبك . وإن كانت ذنوبى قد سدت مسالك الصفح عنى ، فراجع في مجدك وسؤددك . وإنى لا أعرف موقفا أذل من موقفي ، لو لا أن المخاطبة فيه لك ، ولا خطة إدنى من خطتى ، لولا أنها في طلب رضاك".

والرسالة محكمة ، وكل عبارة كأنما حاكتها أو قل صبتها في قالبها يد صناع وحقا لم يحل الرسالة بالسجع ، ولكن العبارات كلها كأنها حلى مختارة ، سواء في اصطفاء الألفاظ ، أو في توشيتها بألوان البديع ، فالغرة أما م التجربة ، والبعد أمام الدنو، والسرعة أمام البطء، ثم تتعاقب الاستعارات والصور ، فالذنوب قد سدت بحجاب غليظ دروب الصفح ومسالكه ، وهو يتوسل أن يراجع فيه مجده وسؤدده . ثم يأتى التلطف وقبول الذل وكأنه يقبله من حبيب. وله رسالة جيدة في تعزية سليمان بن وهب، أخيه الحسن حين لبى نداء ربه ، ونكتفي منها بهذه الفقرة[١١٥]:

"إن الرمض (حركة الغيظ) والهلع إنما يكونان للمصيبة الخاصة التيى لا تعدو صاحبها ، ولا يجد مسعدا (معينا) عليها ، ولا شريكا فيها ، وقد أعانك الله على مصيبتك بالواشج (المشتبك) رحما بك والبعيد نسبا منك ، وجمع في ثقل محملها وألم فجعها صديقك وعدوك ، وكل مكتسن منها سربال وحشة ، ومنظور على دخيل حزن ، وناظر من أعقابها في منظر وعر، فجميعهم فيها مشترك ، وأنت بالتعزى حقيق قمين".

والقطعة كالرسالة السابقة ، ألفاظها محكمة ، ويجرى فيها الطباق والتقابل والاستعارات والصور الوصف الدقيق العبارات ، فالنسج متين ، وعليه ألوان وصور تلفت الأذهان ، ومن

---

١١١ المصدر نفسه ،ج١،ص٢٩١.
١١٢ المصدر نفسه ، ج٢،ص ٩٥.
١١٣ ابن نديو ، الفهرست ، ص ١٨٥
١١٤ عيون الأخبار، ج٣،ص ١٠٥.
١١٥ جمهرة رسائل العرب ، ج٤، ص٢٤٨.

Dhaka University Institutional Repository

الكتاب البلغاء أحمد بن سليمان بوهب ، وهو من بيت كتابة ، كان أبوه وعمه الحسن من البلغاء المفوهين وله في الصداقة رسالة كتب بها إلى بعض أصدقائه ، وفيها يقول[١١٦]:

وليس عن الصديق المخلص والأخ المشارك في الأحوال كلها مذهب ، ولا وراءه للواثق به مطلب ، والشاعر يقول :

وإذ يصيبك والحوادث جمه حدث حداك إلى أخيك الأوثق

وأنت الاخ الأوثق ، والولى المشفق ، والصديق الوصول ، والمشارك في المكروه والمحبوب ، قد عرفنى الله من صدق صفائك وكرم وفائك ، على الأحوال المتصرفة ، والأزمنة المتقلبه ، ما يستغرق الشكر ، ويستعبد الحر ، وما من يوم يأتى لى إلا وثقتى بك تزداد استحكاما ، وأعتمادى عليك تزداد تأكدا والتئاما ... وأعيذك بالله من العيون الطامحة ، والألسنة القادحة ، وأساله أن يجعلك في حرزه الذي لا يرام ، وكنفه الذي لا يضام ، وأن يحرسك بعينه التي لا تنام ، إنه ذو المن والإنعام ".

واستخدامه للسجع واضح ، وليس سجعا متكلفا ، مما يدل على أنه حذق صناعته ، حتى أصبح السجع ينحدر عن لسانه انحدارا سهلا طبيعيا، لا عوج فيه ولا التواء، ولا تكلف ولا عثرات هنا أو هناك ، بل أسلوب مستو متنا سق . ومن الشعراء الكتاب الذين نبغوا في كتابة النثر والشعر أحمد بن أبى طاهر طيفور ، ومرت بنا ترجمة له بين الشعراء ، ويحتفظ كتابه :"اختيار المنظوم والمنثور" بطائفة من رسائله ، منها رسالة في شكر على بن يحيى المنجم على بر واسع أغدقة عليه ، تمضى على هذا النحو[١١٧]:

"إن أحق معروف بأن يشكر ،ويد بارة بأن لا تكفر ، وأحق واجب بأن يؤدى ، واحسان وبرّ بأن يجازى معروفك ، أعز ك الله ، عندى ، ويدك قِبلى ، وحقك علىَّ ، وإحسانك إلىَّ ، لأن المعروف يحسن عند الأحرار موقعه ، ويجب عليهم شكره ونشره والإشادة بذكره. تتطوع مبتدئا ، وتشفع ما تقدم معقبا ، وتحسن رب ما أسديته متفضلا ، لا أخلاك الله من بر وإحسان ، ولا أخلانا منك في حال".

والرسالة فيها سجع قليل ، ولكن له رسائل أخرى يكثر فيها السجع ، وكان كثير الهجاء الكتاب ، ويبدو أنه قلما كان أحد يسلم من لسانه ، وممن هجاهم وأقذع في هجائهم ابن ثوابة وابن مكرم ، ومن قوله في رسالة كتب بها إلىأبى على البصير يذم له الأخير وبعدد مثاليه[١١٨]:

---

١١٦ معجم الأدباء ، ج٢، ص ٦٢.
١١٧ جمهرة رسائل العرب ، ج٤، ص٣٤٤.
١١٨ جمهرة رسائل العرب ، ج٤،ص٣٥٠.

Dhaka University Institutional Repository

"المقلى المذمم ، المهين ابن مكرم .. العاكف على ذنبه ، الصادف عن ربه ، الوضيع في خلائقه ، العاتى على خالقه ..... عدوه آمن من عائلته ، وصديقه خائف من بائقته ... من استخف به أكرمه . ومن وصله صرمه (قطعة) ... يحلف ليحنث ، ويعهد لينكث ، إسناده عن المذمومين ، وبلاغته في ذم الصالحين ، وطرفة قذف المحصنات ، وسعيه في كسب السيئات".

ولابن المعتز رسائل أخوانيه كثيرة في التهانى و التعازى والاعتذار والشوق والفراق وفي السؤال عن بعض المرضى الدعاء لهم بالشفاء ، وبكل ذلك احتفظ كتاب الأوراق للصولى في ترجمته ، كما احتفظ بكثير منه كتاب زهر الآداب ، ويقل السجع في رسائله الأخوانية ، ولكنه يعنى أشد العناية بصياغة كلامه ، على نحو ما نرى في الرسالة التالية ، وهى تهنئة صديقه عبيد الله بن وهب وزير المعتمد في يوم عيد[١١٩]:

"أخرتني العلة عن الوزير- أعز الله – فحضرت بالدعاء في كتابي لينوب عنى ، ويعمر ما أخلته العوائق منى ، وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العيد أعظم الأعياد السالفة بركة على الوزير ،ودون الأعياد المستقبلة فيما يحب ويحب له، ويقبل ما توسل به إلى مرضاته ، ويضاعف الإحسان إليه على الإحسان منه ، ويمتعه بصحبة النعمة ولباس العافية، ولا يريه في مسرة نقصا ، ولا يقطع عنه مزيدا، ويجعلني من كل سوء فداءه ، ويصرف الغير (حوادث الدهر) عنه وعن حظي منه".

والرسالة أدعيه للوزير الصديق ، وهو يعنى فيها أشد العناية بجزالة العبارة ونصاعتها ، ولكن دون أن يلجأ سجع ، ويحتفظ له كتاب الأوراق بفصول كثيرة من بعض رسائله ، فمن ذلك فصل في الشوق يقول فيه: "إنى لآسف على كل يوم فارغ منك ، وكل لحظة لا تؤنسها رؤيتك ، وسقيا لدهر كان موسوما بالاجتماع معك ، معمورا بلقائك ، جمع الله شمل سروري بك ، وعسر بقائي بالنظر إليك[١٢٠]". ومن ذلك فصل في شفاعة : "موصل كتابى فلان ،وقد جعلت الثقة به مطيته إليك ، فلا تنضها (تظهرها) بمطلك ، وأسرع ردها بسابق أنجازك ، وتصديق الأمل فيك والظن بك"[١٢١] . ولا ريب في أنه كان يسجع أحيانا ففي بعض فصوله: قد ملت إليك فما أعتدل ، ونزلت بك فما أرتحل ،، ووقفت عليك فما أنتقل[١٢٢] . وفي فصل آخر : تولى الله عنى مكافأتك ، وأعان على فعل الخير نيتك ، وأصحب بقاءك عزا يبسط يدك اوليك و على أعدائك ، وكلاءة

---

[١١٩] زهر الآداب ، ج١، ص٢٠٢.
[١٢٠] أشعار أولاد الخلفاء للصولى، ص ٢٩٢.
[١٢١] المصدر نفسه ، ص ٢٩٠.
[١٢٢] المصدر نفسه ،ص ٢٩١.

Dhaka University Institutional Repository

(حراسة) تذب عن ودائع مننه عنده ، وزاد في نعمك وإن عظمت ، وبلغك آمالك وإن انفسحت[١٢٣] . وله في وصف الكتاب والقلم[١٢٤] .

الكتاب والج الأبواب ، جرى ء على الحجاب ، مفهم لا يفهم ، وناطق لا يتكلم ، به يشخص (يحضر) المشاق ، ومنه يداوى الفراق . والقلم مجهز لجيوش الكلام يخدم الإرادة ، ولا يمل الاستزادة ، يسكب وافقا ، وينطق سمائرا ، على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضئ ، وكأنه يقبل بساط سلطان ، أو يفتح نوار بستان.

والوصف يكثر فيه السجع ، كما يكثر التصوير ، فقد شخص الكتاب وجسمه في صور كثيرة ، وبالمثل صنع بالقلم ، وأخرجه مع الصحف التي يكتبها في صور بديعة:

وكان الكتاب يكثرون من الدعوة للزيارة والقضاء بعض الوقت في اللهو واسماع الغناء أو للسمو والطعام . وأكثروا من التهانى في كل مناسبة في الأعياد وفي الزواج وفي إنجاب الأولاد وفي ختانهم ، وفي الحج وقضاء مناسكه ، وفي وصف الطبيعة شتاء وفي الربيع .... وقد تعقبنا انتشار السجع في الرسائل الأخوانية طوال العصر ، لندل على أن ذوقا عاما أخذ يعنى به ، وهى عناية جعلته يعم في تلك الرسائل مع أواخر القرن الثالث ، بل لقد أخذ يعم – منذ أواسطه – عند أبى على البصير وأبى العيناء في بعض رسائلهما . وقد أخذت تنشر مع ذلك عناية باصطناع الصور البيانية وبعض ألوان البديع على نحو ما لا حظنا في بعض رسائل ابن مكرم ، وكأن الكتاب لا يريد أن يؤلف كلاما فحسب ، بل يريد أن يصوغ دررا ، مما هيأ لسيادة السجع وسيطرته على جميع الرسائل سياسية وإخوانية منذ عصر المقتدر ، بل لقد هيأ ذلك لظهور – الكتاب الألفاظ الكتابية التي ألف فيها عبد الرحمن ان عيسى الهمدانى (ت ٣٢٠ هـ) كتابه الذي وقفنا عنده في موضع آخر، وهو يدل بوضوع على أنه أخذت تسود فكرة النموذج في الكتابة : في التهانى والتعازى والبشارة والإنذار والاعتذار ، وأيضا في كتابة الرسائل الديوانية ، ففي كل ذلك درر من السجع والصور تحفظ وتصبح ماهة للكتاب ، تعينهم في كتابه الرسائل ، وكأنما كان صنيع الهمذانى نذيرا بجمود النثر العربي وأن يصبح صيغا براقة ، تخلب بما فيها من أسجاع قبل أن تخلب بما فيها من معان.

ولم يقف انتشار السجع وشيوعه عند الرسائل الإخوانية والديوانية ، فقد أخذ يشيع في الرسائل الأدبية الخالصة ، وكان الجاحظ قد أشاع في تلك الرسائل أسلوب الأزدواج المعروف به ، غير أن من تلوه في القرن الثالث الهجرى أخذوا يدخلون عليها السجع ويكثرون منه ، على نحو ما تصور ذلك رسالته لابن المعتز كتب بها إلى بعض أصدقائه يصف سامراء وياسى

---

[١٢٣] المصدر نفسه ،ص ٢٩٤.
[١٢٤] المصدر نفسه ،ص ٢٩٢.

Dhaka University Institutional Repository

الخرابها ويذم بعداد وأهلها، وهى أشبه بمناظرة بين البلدتين : العاصمة القديمة سامراء ، والعاصمة الجديدة بغداد ، وكان قد انتقل إليها المعتمد منذ سنة ٢٧٦ هـ. وانتقل معه ابن المعتز . ولعل من الخير أن نسوق أكثر هذه الرسالة الطريفة ، وهى تمضى على هذه الصورة[١٢٥] :

"كتبت إليك من بلدة قد أنهض الدهر سكانها ، فشاهد البأس فيها ينطق وحبل الرجاء فيها يقصر ، فكأن عمرانها يطوى وكأن خرابها ينشر ، وقد وكلت إلى الهجر نواحيها، واستحث باقيها إلى فانيها ، وقد تمزقت بأهلها الديار، فما يجب فيها حق جواز ، فالظاعن منها ممحو الأثر ، والمقيم بها على طرف سفر ، نهاره إرجاف ، وسروره أحلام ... فحالها تصف للعيون الشكوى ، وتشير إلى ذم الدنيا ، بعد ما كانت بالمرأى القريب جنة الأرض، وقرار الملك ، تفيض بالجنود أقطارها ، عليهم أردية السيوف وغلائل الحديد ، كأن رماحهم قرون الوعول ، ودروعهم زبد السيول ، على خيل تأكل الأرض بحوافرها ، وتمد بالنقع (العبار) سرادقها ، قد نشرت في وجوهها غرر كأنها صحائف البرق ، وأمسكها تحجيل كأنه أسورة اللجين ، وقرطت عذرا كالشنوف ، في جيش يتلقف الأعداء أوائله ، ولم تنهض أواخره ، قد صب عليه وقار الصبر ، وهبت له روائح النصر ، يصرفه ملك يملأ العيون جمالا ، والقلوب جلالا.... قبل أن تخب (تعدو) مطايا الغير ، وتسفر وجوه الحذر ، وما زال الدهر مليئا بالنوائب ، طارقا بالعجائب، يؤمن يومه ، ويغد رغده . على أنها – وإن جفيت – معشوقة السكنى ، حبيبة المثوى (المنزل) كوكبها يقظان ، وجوها عريان (صحو) وحصباؤها جوهر ، ونسيمها معطر ، وترابها مسك أذفر (ذكي) ويومها غداة (لطيف الطقس) وليلها سحر ، وطعامها هنيء) ، وشرابها مرء ، وتاجرها مالك ، وفقيرها فانك (غير محتاج) لا كبغدادكم الوسخة السماء ، الومدة (الراكدة) الهواء ، جوهانار ، وأرضها خبار (لينة) وحيطانهانزوز (تنز بالماء) وتشرينها (أكتوبر) تموز (يولية) فكم في شمسها من محرق ، وفي ظلها من غرق ، ضيقة الدار، قاسية الجوار ، ساطعة الدخان ، قليلة الضيفان ، أهلها ذئاب ، وكلامهم سباب ، وسائلهم محروم ، ومالهم مكنوم ، لا يجوز إنفاقه ، ولا يحل خناقة (كيسه) وحيطانهم خصاص (أكواخ) وبيوتهم أقفاص (ضيقة) ولكل مكروه أجل ، وللبقاع دول ، والدهر يسير بالمقيم ، ويمزج البئوس بالنعيم".

والسجع زاخر في الرسالة كما يرى القارئ ، وكأن ابن المعتز أراد أن يجعلها رسالة أدبية خالصة ، فهو يختار لها الأسلوب الذي أخذ يشيع في عصر أسلوب دور السجع ولآلئه التي أصبحت موضع إعجاب الكتاب والتي كانت تروقهم إلى أقصى حد ، مما هيأ الأذواق لأن ترفع اللفظ فوق المعنى ، فالمدار على جمال إلى أقصى حد ، مما هيأ الأذواق لأن ترفع اللفظ فوق المعنى ، فالمدار على جمال الجسد لا جمال الروح ، والعبرة لا بالجوهر ، وبالقالب لا بما

---

[١٢٥] زهر الآداب ،ج١، ص٢٠٧.

Dhaka University Institutional Repository

يحتويه ، وبالبريق الخارجى للمعانى لا بالبريق الداخلي ، وعم ذلك حتى طغى في كتابة بعض الأخبار ، وحتى نجد الخليفة القاهر (٣٢٠-٣٢٢ هـ) يطلب من بعض أصحاب التاريخ وصف الخلفاء العباسيين الذين سبقوه ، ويقول له : ((لا تغيب عنى شيئا، ولا تحسن القصة ولا تسجع فيها))[١٢٦] ، فهو لا يريد في وصفهم إدخال زينة السجع ، حتى لا يجوز اللفظ على المعنى ، وكأنما أصبح السجع أسلوب الكتابة العامة وظل آماد متطاولة.

وابن المعتز لا يكتفي في هذه الرسالة الأدبية بالسجع ، بل يضيف إلى ذلك ألوانها من البديع ، إذ تطالعنا فيها توا الطبقات ، النهوض أوا الرحيل يقابل القعود ، والياس يقابل الرجاء ، والخراب يقابل العمران ، والنشر يقابل الطى ، والباقى يقابل الفانى ، والظاعن يقابل المقيم . ويجانب الطبقات ما اشتهر به في شعره من كثرة التشبيهات وإيراد الصور الطريقة ، فاالخيل تأكل الأرض بجوافرها وتمد من الغبار سرادقا ضخما يظل الجيش ، والغرر في وجوهها كأنها صحائف البرق ، والتحجيل في سيقانها كأنه الأساور من فضة تحيط بها ، وما سال على خدودها من اللجم كأنه أقراط في آذانها ، والحصباء جوهر، والتراب مسك أذفر . وتتوالى الصور والتشبيهات وابن المعتز دائما يستمد من مخازن لا تنفد ، مخازن تعطيه كل ما يريد من زخارف السجع وزخارف الصور والأخيلة ، وكأنه لم يلبث أن انضم بقوة إلى الركب ، ركب العناية بالوشى . ويطل القرن الرابع ، وإذا هذه العناية تصبح هى الدوق العام في الكتابة الأدبية ، فليس هناك كاتب نابه إلا ويتخذ هذ ا الأسلوب الفني الجديد أسلوب السجع وما يطوى فيه من زخارف البديع.

---

[١٢٦] مروج الذهب ، ج٤، ص٢٢٢.

Dhaka University Institutional Repository

الباب الخامس

العناصر الإسلامية في الشعر العربي للعصر العباسي ٧٥٠-١٢٥٨م

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الأول : العوامل في الشعر العربي للعصر العباسي

(أ) الحياة السياسية

تعد الثورة العباسية نهاية للثورات الكثيرة التي نشبت ضد الامويين والتي انتهت بارتقاء خلفاء بنى العباس عرش الخلافة وسقوط الأمويين ، وكانت هذه الثورات تتخذ طريق العنف لإسقاط الخلافة الأموية ، كثورة ابن الزبير والخوارج و الشيعة وابن الأشعث ، وكانت دولة الأمويين تتعرض للخطر من هؤلاء أيّما تعرض ، فقد شهر هؤلاء السلاح مرارا في وجوه الأمويين غير أنهم استطاعوا أن يكبحوا جماع الثائرين خائضين إلى ذلك بحارا من الدم.

وقد انتهت ثورة ابن الأشعث وابن زبير ويزيد بن المهلب، بمجرد الفتك بهم وبأنصارهم ، أما ثورة الخوارج والشيعة فظلت تشتمل من حين إلى حين في العراق جنوبيه وشماليه وما وراءه من الشرق ، وقد كفلت ثورات الخوارج الأمويين جهودا طائلة ، وبذلوا أرواحا كثيرة في سبيل القضاء عليها.

وكانت تنضم إلى هذه الثورات فئات من الموإلى الذين اضطهدهم بنو أمية وحرموهم المساواة بالعرب في الحقوق ، فكثرت مطالبتهم بالعدل الاجتماعى في الحقوق والواجبات ، ووضع الموإلى آمالهم في أبناء على وأسرته الهاشمية لما تميز به حكمه من ساواة تامة بين العرب والموإلى غير أنهم فقدوا في أبناء على وأسرته الرجل الحصيف الذي يستطيع تنظيم ثورتهم حتى يكتب لها النجاح .

وقد عمد العباسيون إلى التستر على دعوتهم حتى لا يصيبهم ما أصاب العلويين من التنكيل ، وقد حدث ما جعل الأمر ينتقل إلى العباسيين بعد أن سالت دماء العلويين طويلا ، ذلك أن على بن عبد الله بن عباس كان بقربة (الحميمة) بالشام فنزل عليه ابن عمه أبو هاشم محمد بن على بن ابى طالب (ابن الحنفية) وهو الذي تناصره الشيعة الكيسانية ، وحين دنت وفاته أوصى بنصيبه في الخلافة لابن عباس ، ثم تكون لأولاده ، وبهذا انتقل الكيسانيون من ولائهم لأبى هاشم ، وصاروا يوالون علي بن عبد الله بن عباس ، على اعتبار أنه إمامهم المنتظر .[١]

وقد أعد العباسيون للأمر عدته ، فلما انتقل الرجاء إلى محمد بن على بن عبد الله بن عباس بعد موت على أقام الدعاة ، وجعل عليهم النقباء ، وأوصاهم بالتكتم ، وجعل قاعدة انطلاق الدعوة من خرا سان ، ونظم الدعوة سرا من مقره بالحميمة ، ووضع خطة تنظيمها في يد ميسره في خراسان حيث كان الموإلى يمتلئون سخطا على الأمويين ، ووصل الأمر إلى أبى مسلمة الخلال ، فجد في الأمر ، وكان تطاحن الأمويين على الخلافة إيذانا بسقوط دولتهم ، وتغلب في

---

[١] عبد الله بن ابراهيم ، اتجاه الشعر الإسلامي في العصر العباسي الأول ، ص ٦.

Dhaka University Institutional Repository

نهاية الأمر مروان بن محمد ، وفي هذه الأثناء كان أبو مسلم الخرساني يتولى قيادة الدعوة من موطنه ، وكان من دهاة الرجال ، واستطاع أن يشمل الحرب بين المضرية واليمنية لصالح العباسيين ، ثم أعلن أبو مسلم الثورة على نصر بن سيار وإلى الأمويين ، وأخذت رايات العباسيين تخفق ، وحواضر خراسان تسقط واحدة اثر أخرى في يده ، ويستصرخ وإلى الأمويين بمروان وبواليه على العراق ، ولكنهما كانا في شغل عنه بثورات الخوارج ، حتى استطاع الحسن بن قحطبة دخول الكوفة دون مقاومة وحينئذ تبرز إلى النور حكومة العباسيين وعلى رأسها أبوسلمة الخلال ، وعند ما علم أبو العباس السفاح بدخول الحسن للكوفة خرج إليها في أهل بيته ، يتقدمهم أعمامه وأخوه وابن عمه ، واستمرت جيوش العباسيين تلاحق مروان بن محمد حتى لقي حتفه في"بوصير" من بلد ان الصعيد الأواخر سنة ١٣٢ هـ .

وتذكر كتب التاريخ أن العباسيين مضوا يفتكون بأفراد البيت، الأموي فتكا ذريعا حتى موتاهم لم يسلموا من العقاب ، فيقال إن قبور الخلفاء نبشت ، وحرقت بقايا الجثث بالنار[٢] ، ما عدا قبري معاوية وعمر بن عبد العزيز.

وحينما استقر الأمر للعباسيين رأوا أن يتخذوا من العراق موئلا لخلافتهم ، فرأى المنصور أن يبتعد بحاضرة الخلافة عن الكوفة مركز العلويين ، وحتى يأمن على نفسه من الفتن ، فاختار موقعها مع عدد من أصحابه بين دجلة والفرات ، وكانت بغداد مهدا لحضارات مختلفة قبل الإسلام كالكلدانية والفارسية والآرامية ، وما لبثت أن أصبحت أهم مدينة في العالم العربي ، إذ بنيت بها المساجد والقصور ، وتكاثر بها التجار والصناع وأمها الأدباء والعلماء من كل مكان ، فزخرت بالحياة ، ولم تزل بغداد حاضرة العباسيين حتى رأى المعتصم أن يعتزل بجنده فبنى سامراء شرقى دجلة سنة ٢٢١ هـ.

أما النظم السياسية والإدارية في العصر العباسي فقد كانت نظما ساسانية بحذافيرها ، فالحكم ينتقل بالوراثة ، ويطبعه الدين كما كان ذلك في الحكم الساسانى. وكان العباسيون يعدون ورثة الخلافة الشرعيين لأنهم من بيت النبوة ، واتخذوا من علماء الفقه والكلام سندا لهم ، وأحاطوا خلافتهم بهالة من التقديس ، فهم ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد حاكى العباسيون الدواوين الساسانية فاتخذوا ديوانا للخراج ، وديوانا للرسائل وآخر للخاتم ، كما أخذ العباسيون من الساسانين نظام الوزارة ، وكان أول من اتخذوه وزيرًا أبا سلمة الخلال ، وكان جل وزرائهم من الفرس ، وقد ظل الفرس يديرون أمور الدولة مدة طويلة حتى نكبهم الرشيد ، وأتت بعدهم أسرة بنى سهل في عهد المأمون وما بعده .

---

[٢] مروج الذهب للسعودي ،ج٣،ص١١١.

Dhaka University Institutional Repository

وتقاليد الساسانيين طبقت حتى في لباس رجاله الحاشية والموظفين ، ولا نغلوا إذا قلنا أن النظم السياسية والإدارية في الدولة العباسية طبعت بطوابع فارسية قوية .

وقد واجه العباسيون كثيرا من الفتن والثورات كما واجهها أسلافهم الأمويون ، وكانت، دوافع هذه الفتن والثورات ما بين سياسية ودينية ، وكان العلويون والخوارج أهم من وقف في وجه العباسيين . فقد أخذ العلويون يشيعون أنهم أحق بالخلافة من العباسيين لأنهم أبناء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورد عليهم العباسيون بأنه ينبغي أن يرجع في ذلك إلى أصل حكم الله في المواريث و الذي يقضى بتولى العباسين ، وثار عدد من زعماء العلويين في فترات مختلفة ومنهم محمد بن عبد الله وأخوه إبراهيم ، وإبراهيم بن موسى ثم من بعد محمد بن جعفر الصادق ، وانتهت ثوراتهم بالقضاء عليهم ، وكان التشيع يحظى بالجانب الأكبر من معارضة العباسيين .

أما الخوارج[٣] فكانوا أقل شأنا ، فقد فتك بهم الأمويون فتكا ذريعا ، ولم يبق منهم سوى فلول في أنحاء متفرقة بعمان والجزيرة وخراسان ، وكانت ثورة الوليد بن طريف الشيبانى ، وعبد السلام الخارجى ، وثورة خوارج عمان الاباضية أهم الثورات التي واجبها العباسيون من الخوارج ، واستطاعون القضاء عليها ، ولذلك لم تترك أثرا واضحا في الحياة الأدبية كما كانت في العصر الأموي الذي كثر فيه الشعراء المؤيدون للخوارج.

ونشبت الخلافات بين العباسين أنفسهم ، فثار على المنصور عمه عبد الله سنة ١٣٦ هـ ، وانتهت ثورته بقضاء أبى مسلم الخراساني عليه ، وتعقب المهدى الزنادقة ، وقضى على كثير منهم ، كما نشب الخلاف بين الأمين والمأمون انتهي بالقضاء على الأمين سنة ١٩٨ هـ. وواجه المأمون ما بين سنة ٢٠١ هـ وسنة ٢٢٤ هـ ثورة بابك الحزمى ثم ثورة مازيار بن قارن بطبرستان ، وانتهي الأمر بقتلهما وصلبها ، ويلاحظ نقطة سوداء في عهد المأمون وهي القول بفتنة خلق القرآن ، ولا ننسى أن نشير هنا إلى انتصارات الرشيد على البيزنطين وفتح المعتصم عمورية .

وكان لهذه الأحداث السياسية الداخلية والخارجية أثر كبير على الحياة الأدبية ، كما كان لها صداها في نفوس الشعراء الذين رأوا أحداثا أنطقتهم ، وجعلتهم يعبرون عن اتجاهاتهم ومذاهبهم فبعضهم أيد العباسين ودافع عن حقهم في الخلافة ، وبعض أيد العلويين وبكى على قتلاهم ، وقسم آخر أشاد بانتصارات الدولة على أعدائها في الداخل والخارج ، وكانت هذه الإنتصارات مادة حية لملاحم رائعة نظمها الشعراء في البطولة والحماسة ورسم أروع الصور

---

[٣] الخوارج : أقدم الفرق الإسلامية . خرج رجالها على علي لأنه رضى بالتحكيم إثر معركة صفين . عسكروا في حَروراء قرب الكوفة . و من الشعراء عمران بن حطان و الطرماح بن حكيم . المنجد في اللغة و الأعلام ، ص ٢٣٤.

Dhaka University Institutional Repository

لانتصارات الرشيد على البيزنطين ، وهللوا للقضاء على أعداء الدولة الثائرين أمثال بابك الحزمي ومازيار بن قارن ، وبذلك كان الموضع السياسي في هذا العصر محركا لعواطف الشعراء مما دفعهم إلى تسجيل هذه الحوادث بأسلوب موجز وبيان ساحر أضاف ثروة فكرية إلى رصيد الأدب العربي .

(ب) الحياة الاجتماعية

كان العرب في حياتهم الأولى يميلون إلي البداوة والخشونة ، وساعد على ذلك حياتهم البدائية التي كانوا يعيشونها ، وفي العصر الأموي بدأ الترف يدب في المجتمع الإسلامي ، وتوسعت الفتوحات الإسلامية ، وامتلأت خزائن الدولة بالأموال ، ولكن مع هذا لم يصل الترف ، ولم تصل الحضارة في العصر الأموي إلى ما وصلت إليه في العصر العباسي فعندما فتح العرب العراق وإيران والشام ومصر ورثوا ما في الأولى من الحضارات الساسانية والكلدانية والآرامية ، وما في الثالثة والرابعة من حضارات بيزنطية وسامية قديمة ومصرية.

وكان طبيعيا أن تغلب على الأمويين بدمشق الحضارة البيزنطية ، حتى إذا نقل العباسيون حاضرة الخلافة إلى بغداد غلبت عليهم حضارة الساسانية ، ويبدو هذا واضحا في بناء بغداد التي تشبه المدائن ، وجدير بنا هنا أن نبسط القول في بعض المظاهر الاجتماعية التي انتشرت في ذلك العصر من حضارة وثراء وترف ، وكيف انتشرت تجارة الرقيق والجوارى ، وشاع الغناء، وما وصلت اليه الحياة من مجون ، وما تخللها من انحراف ديني كالشعوبية والزندقة ، وفي مقابل هذا كانت هناك طائفة تميل إلى الزهد والورع ، وتبتعد عما انغمس فيه الناس من ترف ومجون .

ولما ورث العرب تلك الحضارات المختلفة حاكوها وقلد في نظمهم المختلفة وامتد تأثير هذه الحضارات إلى الأدب واللغة والترجمة على ما سيأتي تفصيله في الحديث عن الحياة العقلية

أما الترف والثراء فتروى لنا كتب التاريخ والأدب فيضا من أخبار الخلفاء والولاة والقواد وعامة الشعب ، وما كانوا عليه من ثراء وترف ، ولقد كانت خزائن الدولة هي المعين على ذلك ، فقد كانت حمول الذهب والفضة تحمل إليها من أطراف الأرض ، حتى وصل دخل بيت المال في عهد الرشيد نحو سبعين[٤] مليونا من الدنانير ، وكانت هذه الأنهار الدافقة من الأموال تصب في جحور الخلفاء ومن حولهم من الوزراء والقواد والولاة والشعراء والمغنين .

ونسوق هنا أمثلة لهذا الترف والثراء ، فقد روي أن المنصور فرض لكل شخص من أهل بيته ألف ألف درهم في كل عام[٥] ، وكان الخلفاء والوزراء والولاة يغدقون على العلماء والأطباء

---

[٤] ضحى الإسلام ، ج١، ص١١١.
[٥] تاريخ الطبري ، ج٦، ص٣٢٧.

Dhaka University Institutional Repository

والشعراء والمغنين ، ورسم المهدى لمروان بن أبى حفصة مائة ألف درهم ذائع مشهور وقد وصل الرشيد سلما الخاسر بعشرين ألف دينار لمدائحه فيه[٦] ونافس الوزراء في ذلك الخلفاء ، وكان للبرامكة في هذا ما ليس لأحد ، وكذلك للفضل بن الربيع وبني سهل ، وتبعهم في ذلك القواد أمثال معن بن زائدة ، ويزيد المهلبى ، ومحمد الطوسى ، وآل طاهر .

وكان لهذه السيول الدافقة من الأموال أثرها الكبير في نهضة العلوم والآداب ، والفنون ، ولم تسبب كثرة الأموال النعيم فحسب ، بل دفعت إلى الثراء في الحياة وكل أسبابها المادية من دور مزخرفة ، وفرش وثيرة وثياب أنيقة معطرة ومطاعم ومشارب من كل لون ، وما إلى ذلك من أدوات الزينة والملابس، وكان حظ النساء من هذا الترف كبيرا فالحلي والعطور و العنبر تنثر بين أيديهن. وإذا كان الترف قد وصل إلى هذا الحد فقد اقتصر على طائفة معينة من الأمة ، بينما توجد طبقات أخرى تعانى مرارة البؤس وشقاء الحياة ،ولعل هذا كان أحد الأسباب في كثرة الثورات المختلفة ضد العباسيين. وكانت مجالس الخلفاء صورة من صور الترف في هذا العصر ، وما تحويه من ذهب وفضة وغناء ونوادر وغير ذلك.

وهناك ظاهرة اجتماعية في العصر العباسي تستدعى الوقوف عندها إلا وهي كثرة الرقيق والجوارى ، وشيوع الغناء ، فقد كثر الرقيق في هذا العصر كثرة مفرطة ، بسبب من كانوا يؤسرون في الحروب ، وبسبب انتشار تجارته ، حتى كان في بغداد شارع يسمى شارع الرقيق[٧] وكان الرقيق يجلب من بلاد الزنج وافريقية الشرقية و الهند وأواسط آسيا ، وكانت هذه التجارة موجودة في العصر الأموي ، ولكنها زادت في العصر العباسي حتى اكتظت بها القصور ، وكان رقيق النساء من الجوارى أكثر عددا من رقيق الرجال ، وكانت الجوارى من أجناس وثقات وديانات مختلفة ، فمنهن السنديات والفارسيات والروميات والحبشيات ، وبسبب هذه الكثرة ، وذلك الاختلاف كان لهن أثر بعيد امتد إلى قصور الخلافة ، وكان أكثر الخلفاء من أبنائهن ، وكانت قصور هم تمتلئ بالجوارى والوصفيات ، وتبعهم في ذلك الوزراء و الأمراء ، وكانت كثيرات من الجوارى يثقفن بفنون الأدب ، بل كان منهن من يجيد نظم الشعر مثل عنان جارية الناطفي وسكن جارية محمود الورّاق.

وكان نصيب الغناء في حياة العباسيين كبيرا ، فقد شغلوا به أي شغل ، وكأنه نعيمهم من دنياهم ، وقد انتقل الغناء من الحجاز إلى العراق في أواخر عصر بنى أمية ، وأقيمت له الدور الكبيرة في العصر العباسي ، ونثرت الأموال على المغنين والمغنيات ، وان أشهر المغنين في هذا العصر إبراهيم الموصلى وابنه إسحاق ، وابن جامع ، ومخارق . وبلغ رقى هذا الفن وارتفاع شأنه في

---

[٦] الأغانى (ساسى) : ٧٧/٢١.
[٧] مروج الذهب ، ج٣ ، ص٣١٦.

Dhaka University Institutional Repository

النفوس أن أقبل أبناء الخلفاء وعلية القوم على تعلمه و إتقانه وكان الغناء سببا في ارتفاع أثمان الجوارى المغنيات ، وقد أشاعت القيان والجوارى كثيرا من ضروب الرقة والظرف ، وكان لذلك أثره البالغ في الشعراء والشعر، فشاعت في كثير من معانيهم الرقة المفرطة، واللمحة المعبرة .

وكان بجانب الثراء والرقيق والغناء انتشار المجون ، وشرب الخمر والغزل المكشوف والغزل بالمذكر ، وما إلى ذلك مما يسيئ إلى الأخلاق الإسلامية الرفيعة ، وكان من أهم أسباب هذا الانحلال الخلقى ما أعطته الثورة العباسية للناس من حرية مسرفة فشرب الفرس الخمر وأدمنوا ، وتبعهم الناس في ذلك ، وكان من أسباب انتشار شرب الخمور اجتهاد بعض الفقهاء بتحليل بعض الانبذة كنبيذ التمر والعسل ، وتهالك الناس على ادمان الخمر ، حتى قيل إن الهادى والرشيد الأمين من الخلفاء قد شربوها[٨] سواء كان هذا المشروب من النوع الذي حلله الفقهاء أم لا ، وأقبل عليها الشعراء المغنين وخمريات أبى نواس أشهر من أن نذكرها ، وقد تغنى الشعراء في وصف نشوتها أثرها في الجسد والعقل ، كما وصفوا دنانها ومجالسها وندمائها وسقاتها ، وكانت بساتين بغداد تمتلئ بالحانات التي تختلف إليها العشراء وغيرهم من الفتيان .

ومما لا ريب فيه أن إدمان الخمر حينئذ دفع إلى كثير من المجنون والعبث و الإباحية وكان المجتمع زاخرا بزنادقة وملاحدة ، وأناس من ديانات شتى مجوسية ، وغير مجوسية فمضى كثيرون يطلقون لأنفسهم العنان ، لا يردهم قانون أو خلق أو دين، كما دفع هذا الفساد إلى الغزل المكشوف الذي لا تصان فيه كرامة المرأة والرجل معا ، وكان مطيع بن إياس وبشار بن برد من أبرز الشعراء الذين نظموا غزلا مكشوفا ، كما شاعت آفة التعلق بالغلمان ، وكان أول من اشتهر بالغزل فيهم والبة بن الحباب، وتبعه أبو نواس في ذلك.

ومن يتابع هذه السطور معي يظن أن العصر العباسي والمجتمع كان مجتمعا منحلا أسلم نفسه للشهوات والإلحاد ، فمن ترف إلى غناء ، ومن مجون إلى زندقة وإدمان للخمر ، ومع هذا كله نقول إن هذه الظواهر الاجتماعية إنما شاعت في طبقة معينة دون بقية الطبقات، فالإلحاد والزندقة كانت مقصورة في أكثر جمهورها على الفرس ، والمجون كان ينتشر بصفة خاصة في طبقة المترفين ومن حولهم من الشعراء ، أما عامة الشعب فإنها لم تكن تعرف زندقة ولا مجونا ، وإذا كانت حانات الكرخ قد اكتظت بالجوارى القيان والمغنين ، فان مساجد بغداد كانت عامرة بالعباد والنساك ، وأهل التقوى والصلاح ، وكان في كل ركن منها حلقة لواعظ يذكر بالله واليوم الآخر ، وكان بعض الوعاظ يقتحم قصر الخلافة ليعظ الخليفة أمثال عمرو بن عبيد ، وصالح بن عبد الجليل ، وابن السمالك ، وكان الوعظ يلتحم بالقصص الأخذ العبرة والعظة .

---

[٨] تاريخ الطبري ، ج١،ص٤٨٩.

Dhaka University Institutional Repository

وكان بجانب، الوعاظ عدد كبير من النساك الذين تجنبوا ملذات الدنيا ، وعاشوا حياة كلها تبتل وعبادة ، وفي البيان والتبيين وعيون الأخبار والعقد الفريد منثورات رائعة لاقوال مشاهير هم أمثال سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك والفضل بن عياض وسفيان بن عيينة وغيرهم.

وظهرت حركة الزهد في العصر العباسي الأول كرد فعل على تلك الحياة المترفة اللاهية التي لا تهتم بعبادة أو طاعة ، ولكن التصوف الإسلامي لم ينضج في هذا العصر وإنما نضج في العصر التالي ، وأخذت مقدمه في الظهور في هذا العصر .

وهكذا كانت الحياة الاجتماعية في العصر العباسي ، صراح بين الترف والزهد ، بين المجون والعبادة ، بين الفساد والصلاح . إلا ان المجون والترف والزندقة كانت منتشرة في الطبقة العالية من المجتمع ، أما عامة الشعب فكانت تعيش حياة هادئة مطمئنة بعيدة عن الترف لا تعرف الزندقة والانحراف .

وكما كان الشعر العباسي حافلا بتسجيل الأحداث السياسية ، كان صورة صادقة للحياة الاجتماعية فيه ، فوجد صور متناقضة في هذا الشعر ، فكان أبو نواس وأضربه يمثلون المجون والخلاعة والانحلال ، وكان أبو العتاهية وغيره من شعراء الزهد يمثلون حياة العفة والتقوى ، وصور كل من الطرفين حياته التي كان يعيشها ، ودعا الناس إلى أن يعيشوا مثله، فأبو نواس يدعو إلى الخمر ومجالس الغناء . وأبو العتاهية يدعو إلى العمل الصالح ونبذ الحياة الزائلة ، ومهما قيل من شك أو زيادة حول مجون أبى نواس أو زهد أبى العتاهية فانهما مع ذلك يمثلان على الأقوال صورة للمجتمع وما يجرى فيه ، ويعبران عن حياة متناقضة يعيشها أفراد المجتمع العباسي.[٩]

(جـ) الحياة الثقافية

عاش العرب قبل الإسلام منعزلين تقريبا عن الحضارات المجاورة لهم ، وظلت حالهم على هذا الانعزال في صدر الإسلام لانصرافهم عن كل شيء بالفتوح ، وبقوا على هذا الحال في العصر الأموي تقريبا عدا اتصالات بسيطة لم يكن لها أثر بعيد في الثقافة العربية لذلك ظلت الثقافة العربية ثقافة إسلامية عربية صرفية ، لم تتأثر بما حولها من الثقافات الأجنبية لا سيما وأن خلفاء أمية كانوا يتعصبون للعربية والعرب تعصبا شديدا.

وفي العصر العباسي وصلت الدولة إلى أقصى اتساعها،فامتدت من حدود الصين وأواسط الهند شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا ، وضمت جناحيها السند وخراسان وما وراء النهر

---

٩ عبد الله بن ابراهيم ، اتجاه الشعر الإسلامي في العصر العباسي الأول، ص ١٣.

Dhaka University Institutional Repository

وايران والعراق والجزيرة العربية والشام ومصر ، وهي أوطان كثيرة عاشت فيها شعوب متباينة في الجنس واللغة والثقافة.

وقد هيأ العباسيون لسكان هذه الأوطان كل أسباب الامتزاج ، بل إن كان طبيعة المجتمع فرضت نفسها على العباسيين فرضا ، فقد امتزج الجنس العربي بغيره من الأجناس الأخرى عن طريق المصاهرة وتسرى الإماء ، حتى أن بعض أمهات الخلفاء كانت من أصل غير عربي ، وقد استطاع الإسلام ، بتعاليمه السمحة أن يحدث امتزاجا بين العناصر المختلفة ، وكان سكان هذه البيئات يتكلمون لغات مختلفة من فهلوية إلى آرامية و قبطية ، ولكن لم تلبث هذه البلدان نحو قرن من الزمان حتى نجد العربية قد ملكت ألسنة سكانها ، وكان هذا تطورا خطيرا تلته آثار بعيدة في الثقافة العربية والأدب العربي.

وقد أقبل الفرس بوجهه خاص على التعرب إقبالا منقطع النظير ، حتى أصبح منهم الأدباء والشعراء والنحاة ، ومع هذا لم تمت لغات هذه الشعوب بل بقيت على نطاق ضيق ، مما نجد أثره في اللغة العربية ، إذ نجد بعض ا لمفردات من أصل الهندى أو فارسى أو يونانى ، وكانت تعرب أحيانا بحيث تنفق مع اللسان العربي ، وقد ألف في الكلمات الدخيلة مصنفات كثيرة تميزا لها عن المفردات العربية.

ومما لا جدال فيه أن العربية الفصحى كانت المثل الأعلى للناس في هذا العصر وخاصة الطبقات المثقفة ، وكان أهم ما دعمها القرآن الكريم ، و لا نبالغ إذا قلنا إن الوان الثقافات العامة الموجودة في البلدان المفتوحة تحولت إلى العربية دون حاجة إلى ترجمتها ترجمة منظمة ، وذلك لأن شعوب هذه الثقافات تحولوا عربا ، فكان أمرا عاديا أن تتحول معهم ثقافاتهم ، وألا تنتظر حتى ينظم لها النقل ، وتعد للترجمة.

وكانت الثقافة الفارسية و الهندية واليونانية من أهم الثقافات التي اثرت في الفكر العربي واللغة العربية، وكانت الفارسية أبعد تأثيرا في المحيط العربي من غيرها،فقد دخل جمهور الفرس في الإسلام ،واقتبس العرب كثيرا من صور حياتهم في المطعم والملبس و بناء القصر و نظام الخدم.[١٠]

وكانت الحركة العلمية في العصر العباسي على أشدها ، وأخذ العرب يلمون بما لدى الأمم المفتوحة من ثقافات ، يتقصونها وينقلونها بكل موادها ، وكان الناشئ يتعلم في الكتاتيب مبادئ القراءة والكتابة وبعض سور القرآن الكريم ومسائل الحساب وبعض الأشعار والأمثال وكانت المساجد ساحات العلم الكبرى ، جمعت بين العبادة وطلب العلم ، وكان الأستاذ يستند عادة إلى اسطوانة في المسجد ويتحلق حوله طلابه ، يكتبون ما يلقيه أو يمليه ، ولكل فرع من فروع

---

[١٠] المصدر نفسه ، ص ١٤.

Dhaka University Institutional Repository

المعرفة حلقة خاصة أو حلقات مختلفة ، فهذه حلقية لفقيه وتلك أخرى لمحدث وثالثة للغوى.. الخ ونشأت طائفة من العلماء الذين نوعوا معارفهم فكانوا يتحدثون في مختلف المعارف.

وقد شجع الخلفاء والوزراء جميع البارزين في مختلف العلوم ، فعندما يزغ نجم أحدهم يستدعى إلى دار الخلافة ، وتسبخ عليه العطايا ، فكان هذا من أهم الأسباب في انتشار الحركة العلمية إضافة إلى انتشار صناعة الورق بدلا من الكتابة على الجلود والقراطيس المصنوعة من ورق البردى بمصر، وسبب ثالث ساعد على انتشار الحركة العلمية وهو أن مجالس الخلفاء والوزراء كانت ندوات علمية تناظر العلماء كمجلس المهدى والرشيد والمأمون. وقد تغلغلت الثقافة المعرفة في جميع الأوسط حتى أوسط العامة ، وبرزت صفوة من العلماء والأدباء استطاعت أن تنقل إلى العربية كثيرا من العلوم والمعارف ، مما دعم العربية دعما كبيرا بما أحدثه هؤلاء من علوم ، وما خلفوه من آثار. وكانت حركة الترجمة ، وما نقل إلى العربية سببا من أسباب أزدهار الحركة الثقافية في العصر العباسي ، وقد وجدت الترجمة في العصر الأموي على نطاق ضيق.

ولو تتبعنا حركة الترجمة في هذا العصر لطال بنا الحديث ، ولكن يكفي أن نعلم بأن الخلفاء العباسيين في أول عهدهم شجعوا الترجمة والنقل ، وأنفقوا عليهما الأموال الطائلة ، ففي عهد الرشيد نشطت حركة الترجمة نشاطا واسعا ، حيث أنشئت دار الحكمة ، ووظفت فيها طائفة كبيرة من المترجمين ، وجلبت الكتب إليها من بلاد الروم ، وكان للبرامكة فضل عظيم في هذا لمجال ، وقد وصلت الترجمة إلى أقصى غاياتها في عهد المأمون.[١١]

أما العلوم العربية فقد لاقت اهتماما كبيرا لا سيما العلوم الدينية واللغوية ، فعند ما شاع اللحن بين الأمم المستعربة خاف العرب على لغتهم أن تضيع مقوماتها الأصلية بين تلك الشعوب التي ضعفت ملكتهم اللغوية ، وفشا فيهم اللحن ، فانبروا يتتبعون العربية في القرآن الكريم وأشعار العرب، وخرجوا إلى البادية التي لم تتاثر بما تأثرت به المدن من حضارة واختلاط ، وكانوا يهدفون إلى تقويم الألسنة واكتساب السليقة اللغوية السليمة وقد جمعوا بين رواية الأشعار وجمعها ووضع قواعد النحو ومصطلحاته ، كما اعتنوا بأنساب العرب وأخبارهم ، ونشأت نتيجة لذلك كله عدة طبقات من اللغويين والنحاة ، كما تعددت المدارس النحوية كمدرستي الكوفة والبصرة .

وإلى جانب العلوم اللغوية ازدهرت العلوم الدينية وعلم الكلام والاعتزال ، وقد نشأت العلوم في ظلال الحديث النبوي الشريف الذي حمل كل المادة المتصلة بالتشريع والفقه والتفسير، ودون العلماء هذه العلوم تدوينا عاما مند أوائل القرن الثاني للهجرة ، ثم اتخذ العلماء طريقة جديدة تقوم على تخليص الحديث من الفقه ، كما نشأ نتيجة لذلك علم التعديل والتجريح الذي يحيد

---

[١١] المصدر نفسه ، ص ١٥.

Dhaka University Institutional Repository

الحديث بسياج من الصحة ، وكثرت المصنفات في الفقه والحديث و التفسير ، ونشات المذاهب الفقيهة الأربعة المعروفة .

وازدهر علم الكلام هذا العصر ، والمراد بعلم الكلام الجدل الديني في أصول العقيدة ومبادئها ، وكانت المعتزلة من أهم فرق المتكلمين الذي ملئوا بجدالهم وحجاجهم مساجد البصرة ، وجذبوا بحسن بيانهم وقوة إقناعهم كثيرا من الشباب ، حتى أن المأمون اعتنق عقيدتهم وأثار الفتنة بخلق القرآن ، ويعتبر العصر العباسي عصر الاعتزال فقد بلغ من الازدهار أن صبغ العقول بصبغة فلسفية ، وعودها على دقة التعديل والمهارة في استنباط خفيات المعاني مع البرهان والحجة ، وأثر الاعتزال واضح في جميع جوانب الفكر العباسي ، ومنها الأدب خاصة فنجد كثيرا من الشعراء تتلمذوا على أيدى المعتزلة كبشار وأبى نواس والعتابى ومنصور التمرى ، وقيل في سبب تسميتهم بالمعتزلة أنهم اعتزلوا المنازعات بين الخوارج وأهل السنة والشيعة ، ووقفوا على الجياد ، وكان مؤسس لمعتزلة واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ)[١٢]، وبعد وفاته مضى تلاميذه يفرعون مسائل الاعتزال فنشأت عن ذلك شعب اعتزالية كثيرة أهمها : البشرية والثمامية والهذيلية والنظامية.

وإذا كان مجرى الأحداث السياسية قد ظهر أثره على الشعراء العباسي ، فان الحياة الثقافية كان أثرها أبعد وأعمق في الشعر العباسي ، فظهر أثر الثقافات المختلفة في الألفاظ والمعاني والأساليب ، واصطبغت معاني الشعراء بما وصل إليهم من المعاني والفلسفة ، وما قرءوه من الحكم والأمثال عن اللغات الأخرى ، وكان لظهور العلوم الدينية أثر في توجيه بعض الشعراء إلى المعاني الإسلامية الرائعة ، وكان الشعراء يستمعون إلى المحدثين والوعاظ وغيرهم ، ويجعلون مما سمعوه أدلة يحتجون بها ، وعبرا ينصحون بالاعتبار بها ، وظهر أثر الاعتزال والفلسفة واضحا في كثير من معاني وألفاظ الشعر العباسي .

---

[١٢] واصل بن عطاء (أبو حذيفة) (ت ١٣١هـ /٧٤٨م) رأس متكلمي المعتزلة ، إليه نسب " الواصلية " ولد بالمدينة و انتقل إلى البصرة. المنجد في اللغة و الأعلام ، ص ٦١٠.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الثاني : مفهوم الشعر الإسلامي

منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها والحياة صراع بين الحق والباطل ، بين الفضيلة والرذيلة ، وقد أنزل الله الأديان السماوية لتنظم علاقات البشر ، وتنشر السعادة والاطمئنان في أنحاء المعمورة ، وتوثق الصلة بين العبد وربّه. ومع احتدام هذا الصراع الهائل استعمل كل طرف جميع الوسائل لإضعاف الطرف الآخر وتعددت هذه الوسائل وكان منها المادى ومنها المعنوى.

ومع تطور العقل البشرى نشأت الفنون ، وصارت علاقاتها بالأديان وثيقة ، واستخدمت الفنون كوسيلة من وسائل الدعوة إلى الفضيلة والتحذير من الرذيلة ، كما استعملت ضد الحق والفضيلة أحيانا ، وكانت الفنون القديمة مرتبطة بالاديان ارتباطا وثيقا، لأن الدين يهدف إلى الخير ، ويدعو إلى العدل ، ويصرع في وجه كل ظالم ، والفن يهدف إلى الإصلاح والإمتاع وفي ذلك يقول نجيب الكيلانى[١٣] "فالدين والفن كلاهما وسيلة نظيفة لغاية نبيلة وهكذا يلتقى الدين والفن".

وبعد بزوغ فجرالإسلام احتدم الصراع بينه وبين أعدائه ، وكانت المعارك مادية ومعنوية ، وشاركت الفنون في هذا الصراع ومنها فن الشعر الذي ألفه العربي منذ أقدم عصوره ، وأحبه وطرب له وتأثر ببيانه الساحر ، واذا كان العربي في جاهليته قد جعل الشعر بمثابه سجل للفخر بنفسه ، والاعتراز بشجاعته وكرمه و انتصاره على عدوه ، فإنه قد حول هذا الفن بعد دخوله في الإسلام للفخر بهذا الدين الجديد ، والدفاع عنه بكل ما أوتى من قوة في البيان والاقناع ، وشرح مزايا الدين الجديد من عدل ومساواة وتوحيد لله سبحانه وتعالى ، وقد رأينا في عصر صدر الإسلام حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وبجير بن زهير يدافعون عن هذا الدين ، ويتفنون بفضائله ويشيدون بمن اتبع نبي الهدى صلى الله عليه وسلم.

واتسعت الفتوحات في العصر الأموي ، وسجل الشعراء تلك الفتوحات مباهين بها ، مفتخرين بهذا الدين العظيم ، معتزين بخلفائه وقادَته المؤمنين ، ومع كثرة الفتوحات انتشر الرخاء والعمران ، وخلد الناس إلى الراحة ، حتى نراهم في العصر العباسي. ينفسون في الترف وتتجه طبقة منهم إلى الدنيا ومتاعها ، وتنصرف عن الآخرة والعمل لها، ويضعف الوازع الديني في بعض النفوس ، وتبدأ هجمات الأعداء على الدولة الإسلامية وفي هذه الظروف ينطلق الشعر الإسلامي ليؤدى دوره في المعركة ، فيدافع عن الإسلام ويبين محاسنة ، ويشيد بكفاح الدولة الإسلامية ووقوفها صامدة أمام هجمات العدد ، وذلك بقيادة خلفائها المسلمين ، وشجاعة قوادها المؤمنين الذين نذروا أنفسهم للدفاع عن حوزة الإسلام.

---

[١٣] الإسلامية والمذاهب الأجبية : ١٦.

Dhaka University Institutional Repository

ومع انتشار الترف والمجون نشأ تيار الزهد الذي بين خسران المترفين المنصرفين إلى متاع الدنيا الزائل والمستسلمين لغرورها ولهوها. وعلى هذا فعلاقة الدين بالفن قديمة ، ودفاع الشعر عن الإسلام والفضيلة قديم ، يقوى ويضعف بضعف وقوة دوافعه وأسبابه ، والعواطف الإسلامية الصادقة لابد أن تعبر عن مشاعرها تجاه الأحداث.

والشعر الإسلامي كان ولا يزال فنا من الفنون التي وقفت تناصر الدين ، وتدافع عنه وتثير الحماسة في نفوس أبنائه كلما ادلهمت الخطوب، وكلما أحاطت بالدين الأخطار. ولكن ، ما هو مفهوم الشعر الإسلامي ؟ وهل هناك ضابط يحدد هذا النوع من هذا الشعر؟ في الحقيقة لم يتحدث باحث عن تحديد الشعر الإسلامي ، ولو حاول باحثان الاتفاق على مفهوم هذا الشعر لحدث الاختلاف بينهما ، وسيكون هذا الاختلاف كبيرا جدا، لان الشعر عاطفة ومعنى ظاهر وباطن ، فظاهر المعنى قد يكون دليلا عليه ، وعاطفة الشاعر الخفية أحيانا قد تكون دليلا عليه ، ومع هذا فالمعاني الإسلامية العامة قد يتفق عليها كثير من الارسين إذا أهملنا صدق العاطفة أو كذبها ، إذ لا يهمنا أن يكون الشاعر الإسلامي قد طبق ما يدعو اليه على نفسه وعمل به، لأن الشعراء يقولون ما لا يفعلون .

هل نستطيع أن نقول إن كل ما قاله شاعر مسلم يعتبر شعرا إسلاميا؟

الجواب : لا، فهناك أغراض شعرية لا تدخل في مفهوم الشعر الإسلامي ، وهناك معان تحدث عنها الشعراء لا تعتبر معان إسلامية ، وإن كان الشاعر في الحالتين مسلما فالغزل – وإن كان عفيفا – قد لا يدخل مفهومنا لهذا الشعر ، والمديح الذي لا تبدو عليه سمات الإسلام لا يدخل في مفهوم الشعر الإسلامي أيضا. وتحديد مفهوم الشعر الإسلامي تحديدا ، ولو عرضنا بيتا من الأبيات على عشرة من الأدباء لوجدنا اختلافا كبيرا بينهم ، فبعضهم يعدد إسلاميا ، والآخر يخرجه من دائرة الشعر الإسلامي ، ولكل منها وجهه نظرة.

إذا لا بد أن ننطلق في تحديدنا لمفهوم الشعر الإسلامي من مبادئ عامة قل أن يختلف عليها أحد ، وإن وقع الاختلاف كان بسيطا ، بحيث لا ننظر إلى نوع الفرض الشعري ، ولا نلقى اهتماما كبيرا على عاطفة الشاعر ، وإنما ننظر إلى ما قيل ، لا إلى من قال ، ولا إلى تطبيقه لما قاله ، فقد يكون المديح إسلاميا لأنه قيل في خليفة مسلم ، وقد يخرج المديح نفسه من دائرة الإسلام ، والهجاء قد يكون غرضا إسلاميا عند ما يرمى المهجو بالانحراف عن تعاليم الإسلام ، ويكون الشاعر صادق فيما قال ، كما أن الهجاء نفسه يخرج عن دائرة الشعر الإسلامي عند ما يصل الشاعر إلى حد الإقذاع أو سلب المهجو عراقة النسب أو جمال الخلقة وما إلى ذلك من الفضائل التي لا يعدها الإسلام فخرا للإنسان.

Dhaka University Institutional Repository

وخلاصة القول ، أن الشعر الإسلامي هو كل شعر اتضحت فيه العاطفة الدينية الصادقة ، ووسمته المعاني القرآنية ، وظهر عليه تصور الكون والحياة والأشخاص من خلال الإسلام ومثله العليا. والدعوة إلى أي مذهب ، الترغيب فهي والترهيب من الابتعاد عنه لا تكون بالدعوة إلى التمسك به مباشرة ، ولكن تكون هذه الدعوة بطريق أخرى غير مباشرة ، فتصوير الآلام التي كابدها اتباع هذا المذهب ووصف البطولات التي خاضها معتنقوه وعرض الخلال الكريمة والشيم النبيلة التي تحلى بها رجالاته وإثارة الأحزان على من ماتوا في سبيله ، وهجاء أعدائه الذين تصدوا لدعوته ، كل ذلك دعوة غير مباشرة إلى هذا المذهب ، وأسلوب لطيف بارع ، وكله أيضا يعتبر إسلاميا إذا كان المذهب الذي يدعو إليه الشاعر هو الإسلام.

ومرة أخرى لا يهمنا في تحديد مفهوم الشعر الإسلامي النظر إلى من قال ، بل يهمنا النظر إلى ما قيل ، والشعراء الذين سندرس شعرهم الإسلامي وأغراضهم الإسلامية. لم يكونوا جميعا من الملتزمين بالإسلام سلوكا وتطبيقا على الدوام . وإنما كانت، تمر بهم لحظات يرجعون فيها إلى أنفسهم ، وتشرق معاني الإيمان في قلوبهم ، فيتردد ذلك في شعرهم بمعان إسلامية رائعة .

وستتضح في ثنايا هذا البحث الأغراض الإسلامية والمعاني الإسلامية التي رددها شعراء العصر العباسي الأول، كما ستجرى محاولة لتحديد الشعر الإسلامي في كل غرض من الأغراض ، وسيكون الحديث مفصلا عن المعاني الإسلامية من حيث دوافعها وصدق العاطفة فيها ، وأثرها على السامع ، ولا بد من تأييد ذلك كله بنماذج من هذه المعاني التي تعطينا فكرة واضحة عن الشعر الإسلامي الذي حددنا مفهومه بوضوح العاطفة الإسلامية فيه، وظهور أثر القرآن على معانيه ، وتصور الكون والحياة والأشخاص من خلال الإسلام ومثله العليا ، وبعبارة أدق : الشعر الإسلامي الملتزم.

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الثالث : العناصر الإسلامية في الشعر العربي في هذا العصر

انبثق شعاع الإسلام من الجزيرة العربية ، وشع نوره على بقاع المعمورة لينير للبشرية طريقها المظلم ، ويرتفع بعقولها عن عبادة الماديات ، ويسمو بأخلاقها عن العادات البالية التقاليد العقيمة ، وقد وقفت الفنون الإسلامية بمختلف أنواعها تؤيد هذا الدين ، وتمده بقوة معنوية هائلة ، وكان الشعر من أبرز هذه الفنون التي ساهمت في خدمة الإسلام لما له من أثر كبير في النفوس ونفوس العرب خاصة ، فهم الذين يبهرهم البيان ، ويؤثر فيهم سحر البلاغة والفصاحة . ومن أغراض الشعر الإسلامي في هذا العهد مما يلي:

الإلهيات

فطر الإنسان على الاتجاه على شيء مقدس يعظمه ويجله ، ويدعوه عند ا لنوائب والخطوب ، ويشكره على فضله ونعمه ، فنحن نرى الأمم المختلفة تتجه إلى مخلوقات تقدسها اعتقادا منها بنفعها أو ضررها، واتجه القدماء إلى عبادة الأصنام والآلهة من أشجار وأحجار وغيرها ، وعظموا الشمس أو القمر أو النار لاعتقادهم بعظمة هذا المخلوقات.

وقد توجه الشعراء قديما إلى الله وناجوه بأبيات خاشعة ، وتضرعوا إليه طالبين منه المغفرة والرضوان ومعترفين بعظمة مخلوقاته ، ففي الكون الكبير ونظامه ودقة إحكامه اكبر دليل على عظمة الله ، فهو الواحد الأحد المدبر لجميع الأمور ، وهو المستحق للعبادة والخضوع دون غيره.

وقد كانت المناجاة الإلهية في عصر صدر الإسلام والدولة الأموية تميل إلى البساطة والوضوح، وإذا تعمقت أخذت شيئا من معاني القرآن في مناجاتها ، فهذا حساب بن ثابت يقول ببساطة ووضوح :

وأنت إله العرش ربّى و خالقـــــي بذلك ما عمرت في الناس أشـهد
تعاليت رب الناس عن قول من دعا سواك إلهاً ، أنت أعلى وأمـــجد
لك الخلق والنعماء والأمر كلـــــه فإياك نستهدى وإياك نـــــعبد[١٤]

و إذا تأملنا الشعر في العصر العباسي الأول وجدنا أن دواوين الشعراء لا تخلو من المناجاة الإلهية و الالتجاء إلى الله، حتى عند أولئك الشعراء الذين انحرفوا عن الطريق المستقيم، واستسلموا لشهوات النفوس،نجد في دواوين هولا أبياتاً في المناجاة الإلهية رائعة،تفيض بالندم والحسرة،وتأمل في مغفرة الله و رضوانه.

---

[١٤] ديوان حسان : ٧٩.

Dhaka University Institutional Repository

وقد انصرف الشعراء إلى الأغراض التقليدية من مدح وهجاء ورثاء وغيره ، واضطرتهم إلى ذلك ظروف معيشتهم وواقع مجتمعهم ، ولكنهم لا يلبثون أن يرجعوا إلى الله ، ويعلنوا التوبة والندم على ما فات ، وتتخلل دواوينهم أبيات رائعة في مناجاة الله والرجوع إليه. وتكثر المناجاة الإلهية في أشعار الزهاد الذين قصروا شعرهم على الزهد والموعظة مثل أبى العتاهية ومحمود الوراق وعبد الله بن المبارك ومحمد بن كناسه. يقول أبو العتاهية[١٥]:

فالحمد لله الذي هــو دائم أبدا وليس لما سواه دوامُ
والحمد لله الذي لـــــجلاله ولحلمه تتصاغر الأحلامُ
والحمد لله الذي هو لم يزل لا تستقل بعلمه الأوهامُ[١٦]

فهو يحمد الله ويشكره ، لأنه الدائم وغيره فان ، ويكرر هذا الحميد في أبياته الثلاثة معترفا بعظمته حلم الله وسعة علمه الذي يتعدى كل علم.

ويقف أبو العتاهية مرة أخرى متضرعا أمام الله، يطالب المغفرة والرحمة ، ويعترف بارتكابه للمعاصي ، نادما على ما فات و آملا عفو الله لأنه أرحم الراحمين:

إلهي لا تعذبني فإنـــــي مقر بالذي قد كان منـــــــى
وما لي حيلة إلا رجــائي وعفوك إن عفوت وحسن ظني
فكم من زلة لي في البرايا وأنت على ذو فضل ومـــــن
إذا فكرت في ندمى عليها عضضت، أناملي وقرعت سني[١٧]

وتردد في شعر أبى العتاهية تلك المناجاة الإلهية من دعاة وحمد وشكر، ويقرنها أبوا العتاهية غالبا بالتهوين من أمر الدنيا ، وأنها إلى زوال ، يقول :

سبحان من يعطى بغير حساب ملك الملوك ووارث الأرباب
ومدبر الدنيا وجاعل ليلـــــها سكنا ومنزل غيب كل ســحاب
يا نفس هلا تعلمين فإننـــــــا في دار معتمل لدار ثـــــواب[١٨]

وأبو نواس[١٩] الماجن شاعر الخمريات والغزل بالمذكر تتناثر في ديوانه أبيات إسلامية رائعة في الزهد والإلهيات قد تفوق معانيها وأحكامها ما قاله أبو العتاهية على كثرته من أشعار الزهد ،

---

١٥ هو اسماعيل بن محمد بن القاسم ، العنزى بالولاء ، يكنى بأبى إسحاق ، وأبو العتاهية لقبه ،رائد الزهد في الشعر العربي ، وتغلب علىشعره الروح الإسلامية ، ولد في عين التمر قرب الكوفة سنة ١٣٠ هـ ونشأ في الكوفة ، ثم سكن بغداد واتصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم ، توفي ببغدا سنة ٢١١ هـ .

١٦ ابو العتاهية ، الديوان: ٣٥٢.

١٧ المصدر نفسه ، ص ٣٧٥.

١٨ المصدر نفسه ، ص ٤٢.

١٩ هو الحسن بن هانى ، الحكمى بالولاء ، أبو نواس شاعر العراق في عصره ، ولد في الأهواز من بلاد خوزستان سنة ١٣٩هـ . ونشأ في البصرة ، ثم رحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء العباسيين ، ثم خرج الآ دمشق ، ومنها إلى مصر ومدح أميرها الخصيب ، ثم عاد إلى بغداد إلى أن توفي بها سنة ١٩٨هـ .

Dhaka University Institutional Repository

ولعل أبا نواس كان يصحو من غفلته ، وتسموه روحة فترتفع إلي خالقها معترفة بالذنب مؤطة الرحمة الغفران ، ومن المحتمل أنه قال هذه الأبيات في الزهد بعد توبته . ان صحت هذه التوبة. كما ورد في الأغاني[٢٠]، وسواء كان قد قالها في فترات صحوه ، أو قالها بعد توبته وتنسكه فهي قوية ومؤثرة ، تتغلغل في كلماتها معاني الندم والحسرة ، والاعتراف بكل صغيرة وكبيرة ، ويسيطر على أغلب هذه الآبيات اليأس من العفو والمغفرة ، ولنستمع إليه حين يقول :

أيا من ليس منه مـــجير بعفوك من عذابك أستجيرُ
أنا العبد المقر بكل ذنـــب، وأنت السيّد المولى الغفورُ
فإن عذبتني فبسوء فعلي وإن تغفر فأنت به جـــديرُ
أفر إليك منك ... وأين إلا إليك يفر منك المستـــجيرُ[٢١]

فالا ثم يصرع في أعماق أبى نواس ، والذنوب الكبيرة تجعله يقف حائرا متسائلا بمن أستجير ؟ وإلى أين أفر؟ لكن الأمل يراوده في عفو الله الواسع ورحمته التي وسعت كل شيء.

ومرة أخرى يخشع أبو نواس ، ويملؤه الأمل لان عفو الله لا تحده حدود ، فهو أعظم من الذنوب الكبيرة يقف حائرا متسائلا بمن أستجير؟ وإلى أين أفر؟ لكن الأمل يراوده في عفو الله الواسع ورحمته التي وسعت كلا شيء.

ومرة أخرى يخشع أبو نواس ، و يملؤه الأمل لان عفو الله لا تحده حدود، فهو أعظم من الذنوب مهما كثرت ، يقول :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثـرة فلقد علمت بأن عفوك أعـظمُ
إن كان لبا يرجوك إلا مـــحسن فبمن يلوذ ويستجير المـجرمُ
أدعوك رب كما أمرت تضرعا فإذا رددت يدي فمن ذا يرحمُ
ما لي إليك، وسيلة إلا الرجـــا وجميل عفوك ... ثم إني مسلمُ[٢٢]

ونختم إلهيات أبى نواس بأبيات من مناجاة رائعة قالها عند ما حج إلى بيت الله الحرام:

إلـهنـا مـا أعـد لـكْ
عليك كـل مـــن طكْ
لبيك قد لبيـــــت لكْ
لبيك إن الحـــــمد لكْ
والملك لا شـــريك لكْ

---

٢٠ الأغانى : ٢/١٨.
٢١ ابـو نـواس ، الديوان ، ص ٦١.
٢٢ المصـدر نـفسـه ، ص ٦١٨.

Dhaka University Institutional Repository

ما خـــــاب عبد سألكْ
أنت لـــــــه حيث سلكْ
لولاك يا رب هـــــــلكْ [٢٣]

المديح

المديح فن الثناء والإكبار والاحترام ، قام بين فنون الأدب العربي مقام السجل الشعري لجوانب من حياتنا التاريخية ، إذ رسم نواحي عديدة من أعمال الملوك وسياسة الوزراء وشجاعة القواد ، وثقافة العلماء ، فأضاف إلى التاريخ. صادقا أو كذبا ، ما لم يذكره التاريخ ، كل ذلك مع إبداع في الأسلوب وروعة في المعاني و جزالة في الألفاظ.

المديح فن قديم عرفته الأمم جميعا ، وكثرة في آدابها ، وقد عرف المديح في العصر الجاهلي ، وترددت في أشعارهم عبارات الثناء إلى اليوم ، مع اختلاف في الأساليب والأشكال والمعاني.

والمديح يشكل ديوانا كبيرا وجزئا خطيرا فن أدبنا ، لأنه يعنى بوصف الرجال وامتداح مزاياهم والتحبب إليهم ، والتقرب إلى مقامهم بأحسن وأبرع صور.

وأنواع المديح كثيرة ، فهناك مديح الخلفاء والملوك ، ومديح الوزراء الأمراء، ومديح القواد والولاة ، ومديح العلماء والأدباء ، ومن المدح مديح الأوطان والبلدان وغيرها. وبواعث المديح متعددة. فقد تدفع الشاعر عاطفة الإعجاب الصادق والإيمان العميق فيتحدث بصدق وأصالة ، وقد تدفع الشاعر إلى المديح الهدايا والأموال أو السياسة ، أو التعصب للقبيلة ، أو الدفاع عن دين من الأديان.

ولو تتبعنا المديح في العصر العباسي الأول طال بنا الحديث وتشعب ، ولكن يهمنا من هذا الفرض الواسع المديح الإسلامي الذي عليه أثر الإسلام، وتبدو فيه الصفات الإسلامية الحميدة ، والأخلاق التي حث الإسلام على التحلي بها، ونعنى بذلك المديح الذي يصور الخليفة في تمسكه بأهداب الإسلام، وحرصه على شئون الرعية وشجاعته في الدفاع عن حوزة الإسلام ، ويصور القائد بشجاعته المؤمنة وتضحيته بأعز ما يملك في سبيل الله ، ويصف جيوش الإسلام وهي تكبر وتهلل ، وتزحف بثبات لنشر العدل والسلام على بقاع المعمورة.

ونعنى بالمديح الإسلامي ذلك المديح الذي يصور الإيمان العميق ، والعفة والمروءة والصدق والأمانة ، والسماحة والشجاعة وغيرها من الصفات السامية التي تثير في نفوسنا حب التمسك بالفضيلة وكراهية الاتصاف بالرذيلة.

---

٢٣ المصدر نفسه ، الديوان، ص ٦٢٣.

Dhaka University Institutional Repository

وقد صور لنا المديح الإسلامي في جميع عصوره فترات تاريخا المجيد ، الحافل بالإيمان والبطولة والعلم والحضارة ، وصور زعماء الإسلام في بطولتهم وإيمانهم وكرمهم وعلو همتهم ، فكان المديح الإسلامي أوسع الأغراض الإسلامية في الشعر العربي ، وصار سجلا لحوادث التاريخ وصفات الرجال.

وفي العصر العباسي الأول كان المديح امتدادا لما سبقه من العصور ، ولا ننكر حدوث التطور والتغيير في شكل المديح ومضمونه ، إلا أن صفات الكمال هي هي لم تتغير ، ومزايا الممدوح لم تتبدل وان اختلاف الناس في عصر من العصور على صفة من الصفات هل تصتبر من الصفات التي يمدح بها الناس أم لا؟ وهذا الاختلاف يزول عندما تقول ان طريقة الشعراء تختلف في عرض صفات الممدوح، كما تختلف في أسلوب تصويرها لهذه الصفات وتقديم بعضها على بعض ، أو إهمال جانب منها الاهتمام بجانب آخر من تلك المزايا والخلال.

ويعتبر المديح غرضا رئيسيا من الأغراض التي اهتم بها الشعراء في العصر العباسي الأول ، بأن المديح يشكل معظم دواوينهم ، وقد نظم فيه أعلام الشعراء مثل أبى تمام وبشار وأبى العتاهية ومسلم بن الوليد وعلى بن الجهم وغيرهم ، ومدح الشعراء الخلفاء والوزراء والقادة العلماء ، ومد حوا النبي صلى الله عليه وسلم ، كما أشادوا بأهل بيته وبكوا قتلاهم .

فما هي المعاني الإسلامية التي أوردها الشعراء في مديحهم ؟ وما هي الأخلاق التي صوروها ؟ وما هي العواطف التي دفعتهم إلى المديح؟

وأول أنواع المديح مديح الرسول صلى الله عليه وسلم . الذي ضرب أروع الأمثلة في الشجاعة والصبر حق استطاع تبليغ رسالة الإسلام على أتم الوجوه ، كما اتصف بصفات الكمال ، فكان بذلك قدرة للبشر أجمعين ، فلا ريب أن يحظى بتقدير الشعراء وثنائهم العاطر على سيرته ، وابراز هم لبطولته ، وسماحة أخلاقه وسمو رسالته التي حملها بكل صدق وأمانة.

وقد مدح الشعراء النبي صلى الله عليه وسلم منذ فجر الإسلام إلى اليوم ، وسيبقى المثل الأعلى والقدوة الحسنة في أخلاقه وصفاته ، وستظل رسالته الينبوع الصافي الذي ينهل منه البشر جميعا.

وقد كان حسان بن ثابت من أوائل الذين مدحوا النبي صلى الله عليه وسلم . ودافعوا عن رسالته ، ووصفوا مزاياها ، لأنها طريق الخير والنور والسلام.

واستمر الشعراء بعد حسان ينظمون القصائد ، ويبدون فيهما الإعجاب والاحترام لهذا الرجل العظيم ، ويعددون صفات الرسول صلى الله عليه وسلم الخُلقية الخَلقية ، ومضوا يصورون معجزاته ، ويدعون إلى الاقتداء به والتخلق بأخلاقه ، ومزجوا ذلك بتصوير حال المسلمين في عصورهم المختلفة ، وما أصابهم من التكلف والضعف ، ويشكون ذلك إلى النبي صلى الله عليه

Dhaka University Institutional Repository

وسلم ، داعين إلى لم الشمل والتمسك برسالة الإسلام ، ولم يخل ديوان شاعر مسلم من مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مع اختلاف في الكم والكيف ، واختلاف في التدين أو عدمه.

ومن شعراء العصر العباسي الأول الذين مدحوا النبي صلى الله عليه وسلم ، أبو العتاهية الذي يسلم على قبره ، ويشيد باصطفاء الله له ، وأن الله هدى به البشرية ، وأنقذها من الضلال ، وكان (ص) مفتاح رحمة للعالمين ، ومع هذا فهو بشر ، يموت كما يموت الناس يقول أبو العتاهية :

سلام على قبر النبي محمد ... نبي الهدى والمصطفي والمؤيد
نبي عدانا الله بعد ضلاله ... به ، لم نكن لولا هداه لنهتدي
فكان رسول الله مفتاح رحمة ... من الله أهداها لكل موحد
وكان رسول الله أفضل من مشى ... على الأرض إلا انه لم يخلد[٢٤]

أما دعبل الخزاعى[٢٥] أحد شعراء الشيعة ، فيدعو بالسقيا لقبر النبي صلى الله عليه وسلم ويصلى عليه صلاة لا تعداد لها ويقول :

سقى الله قبرا بالمدينة غيثه ... فقد حل فيه الأمن بالبركات
نبي الهدى صلى عليه عليك ... وبلغ عنا روحه التحفات
وصلى عليه الله ما ذر شارف ... ولاحت نجوم الليل مبتدرات[٢٦]

ويمدح القاسم بن يوسف[٢٧] النبي (ص) بأنه خير البرية ، وأنه رسول الله إلى العالمين جميعا ، وبرسالته هدم الظلم والضلال:

ألا إن خير بنى آدم ... نبي الهدى والتقى والكرم
محمد المصطفي والرسو ... ل إلى الناس من عرب وعجم
بأحمد أغلق باب الضلا ... ل وهدم أركانه فانهدم[٢٨]

الهجاء والدفاع عن الإسلام

الهجاء ضد المديح ، وحط منزلته بين الناس ، كما أن المديح فن رفع منزلة الممدوح وذلك ينشر صفاته الحميدة ، وإضافة صفات قد لا تكون موجودة فينه ، كما أن الهاجي ينشر صفات المهجو القبيحة ، ويبالغ في قبحها ، وقد يضيف صفات قبيحة ليست موجودة فيه.

---

٢٤ ابو العتاهية ، الديوان ، ص ١١٦.

٢٥ هو دعبل بن على بن رزين الخواعى ، شاعر هجاء ، يشيع لعلى وآل أصله من الكوفة ولد سنة ١٤٨هـ وأقام بغداد ، ثم رحل إلى مصر وتوفي ببلدة تدعى "الطيب" (بين واسط وخوزستان) سنة ٢٣٥هـ ، وله ديوان شعر مطبوع.

٢٦ عبد الكريم ، شعر دعيل الخزاعى ، ص ٢٢٩.

٢٧ هو القاسم بن يوسف بن القاسم بن حبى ، العجلى بالولاء ، أبو محمد بن أهل الكوفة ، وهو أخو أحمد بن يوسف الكاتب (وزير المأمون) ، توفي سنة ٢٢٠هـ في ترجمته : الأوراق للصولى :١٦٣

٢٨ الصولى ، الأوراق ،ص ١٩٣.

Dhaka University Institutional Repository

والهجاء فن من أقدم فنون الشعر العربي دفعت إليه دوافع مختلفة باختلاف الأشخاص والأزمان والمؤثرات العامة .

وقد عرف الجاهليون الهجاء والفخر المدح ، تلك الأعراض التي تناسب حياة الصراع بينهم ، ولكن الهجاء في الجاهلية أقرب إلى المناظرة والفخر منه إلى الهجاء الحقيقي الذي انتشر في العصر الأموي على يد جرير والأخطل و الفرزدق ، ونقائضهم في هذا المجال مشهور.

وكان الهجاء في العصر الأموي يعمد على سلب المهجو صفات المديح من كرم وشجاعة ونسب عريق ، وكان الشاعر يهجو صاحبه بالبخل والجبن وضعف النسب ، ودنو الهمة ، وعدم الترفع إلى كسب المعالي ، كما يستهدف الطعن في قبيلة المهجو وأنها قبيلة لا شأن لها ولا سلطان ، ووصل الهجاء في العصر الأموي إلى حد الإقذاع أحيانا.

وفي العصر العباسي كثر الترف وعم الرخاء واختلطت الدماء ولثقافات ، فاتخذ الهجاء مظهرا جديدا إلا وهو الإقذاع والفحش ، وهتك الحرمات وذكر العورات إلى حد يترفع عنه صاحب الخلق الكريم.

كما اتجه الهجاء في العصر العباسي إلى الإضحاك والسخرية ورسم صورة مضحكة للمهجو يصورها الشاعر بأسلوب سهل ، فتنتشر بين الناس بسرعة ، ولعل المجون وضعف الوان الديني كانا من أهم الدوافع إلى هذا النوع من الهجاء المقذع الساخر معا ، وهجاء حماد عجرد وغيره أكبر مثال على هذا النوع من الهجاء.

تلك لمحة سريعة عن الهجاء في العصر الأموي والعباسي ، ولكن هل يمكن أن تعبر الهجاء أو نوعا من أنواعه غرضا إسلاميا ؟ وذا صح هذا الاعتبار فما نوع الهجاء الذي يدخل تحت قائمة الاتجاه الإسلامي؟

وقبل أن نجيب على هذا التساؤل لا بد لنا من البحث عن دوافع الهجاء في العصر العباسي ، ولا بد من معرفة مظاهر هذا الهجاء.

أما دوافع الهجاء فمتعددة مختلفة ، فقد يكون الدافع ثأرا بين شخص وآخر أو خصومة استفحلت ، أو حسدا من شخص لآخر ، وقد يكون الدافع أيضا حب الشهر كأن يهجو شاعر شعارا آخر مشهور ليرتفع اسمه بين الناس ، وقد يدفع التعصب الديني أو السياسي إلى الهجاء ، وعند ما يخيب أمل الشاعر في مدحه قد يهجوه أحيانا.

ومظاهر الهجاء مختلفة ، فقد يكون نريها يسلب المهجو صفات حميدة كالكرم والشجاعة ، وقد يكون مقذعا يكشف العورات ، ويتميز بالدعارة والفجور، و قد يكون مضحكا مشيرا للضحك والسخرية والتسلية .

Dhaka University Institutional Repository

وقد انتشرت في العصر العباسي موجة الهجاء المقذع والساخر لأسباب كثيرة أهمها انتشار الترف والمجون و ضعف الوازع الديني، و بالتالي ضعف الأغراض وهوان الدراسات وان كانت، هذه الموجة من الهجاء لم تنتشر إلا بين طبقة من المجان و الخلفاء الذين رفعوا رداء الحياء والكرامة عن وجوههم .

وتعددت في العصر العباسي الملل والنحل المنحرفة، ووجد أصحاب الأهواء مجالا واسعا للتعبير عن انحرافهم،و أمر القول بخلق القرآن ذائع مشهور حتى صار عقيدة رسمية للدولة في عهد المأمون ، و النزاع حول التقدير و الجبر والاختيار يرتفع صوته و يعلو و كان من نتائج هذا أن وقف أهل السنة مدافعين عن مبادئ الدين الحنيف، ، و اتخذوا الشعر وسيلة من وسائل الدفاع .

الرثاء

الموت نهاية كل حي ، ومصير كل إنسان طال عمره أو قصر، وتلك حقيقة آمنت بها الشعوب جميعا ، فهي ترك الناس يخرون صرعى أمام ذلك الخصم الذي لا يهزم وهذا الخصم هو الموت الذي لا مفر منه . وهذه الحقيقة أضاف إليها الإسلام فكره البعث الجزاء الحساب بعد الموت .

وقد بكى الشعراء قديما من رحلوا عن هذه الدنيا، وكان بكاؤهم عميقا ، صوروا فيه هذا العصير المحزن الذي ينتظر كل إنسان .

والأمة العربية من الأم التي تحتفظ بتراث ضخم من المراثي ، وعبرت فيها عن شعورها لفقد قادتها وخلفائها وأبنائها وعلمائها ، وصورت الحزن الذي سيطر على النفوس بسبب الفراق ، وخلطت ذلك بتعداد فضائل المفقود وخلاله الحميدة.

والرثاء فن الحزن والدموع ، فن تغلب عليه العاطفة الصادقة ، ألا وهي عاطفة الحزن الأسى لفقد المرحوم الذي انتقل إلى جوار ربه ، وقد تختلط هذه العاطفة بالجزع أحيانا فيعبر الشاعر من كراهيته للموت ، ويصور جزعه الشديد على رحيل المفقود ، وقد يشرب هذه العاطفة الإكبار أو الاحترام أو العطف ، وذلك حسب اختلاف المفقود الذي رثاء الشاعر وتفجع عليه .

والرثاء أنواع ثلاثة : الندب والتأبين والعزاء[٢٩]، أما الندب فهو ندب الأهل والأقارب عند ما يصف بهم الموت ،و يتوجع ، ويعبر عن صدمة عنيفة صوبت إلى قبله ، ويبث اللوعة الأسى، ويرسل الدموع غزارا .

---

٢٩ الرثاء لشوقي ضيف (الطبعة الثانية)ص، ٥- ٦.

Dhaka University Institutional Repository

والتأبين ليس بكاء ونشيجا ، بل هو أقرب إلى الثناء منه إلى الخزن الخالص ، إذ يخر نجم من نجوم المجتمع ، فيشد به الشعراء منوهين بمنزلة السياسية أو العلمية أو الأدبية .

أما العزاء فهو مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين ، وذلك حين ينفذ الشاعر من حادثة الموت الفردية إلى التفكير في حقيقة الموت والحياة ، وقد ينتهي بهذا التفكير إلى معان فلسفية عميقة.

وقد عرف الشعر العربي الرثاء منذ أقدم عصوره ، وردد الشعراء قصائدهم الباكيات على أولئك الراحلين ، وعددوا مزاياهم ، وأثنوا على صفاتهم ، وجعلوا فقدهم خطبا عظيما من الخطوب ومصيبة عظمى حلت بالقبيلة أو الأمة أو الدين ، وكانت مصيبة سكبت دمعا عزيزا وقطعت نياط القلوب ، لأن المفقود غال عزيز فهو ابن أو أخ أو قريب أو زعيم أو قائد ، طالت العشرة بينهم وبين الشاعر ، وانتشرت الآلفة والمحبة بينهم ، وفجأة فقد واحد من هؤلاء ، وذهب إلى غير رجعه ، وودع الدنيا والأقارب والخلان.

وفي العصر الجاهلي نجد النساء يجتمعن في المآتم للصياح والعويل على الميت ، ويؤلفن الأشعار التي يندبن بها موتاهم ، وكانت الخنسا شاعرة الرثاء في العصر الجاهلي ، وقد بكت أخاها معاوية ثم صخرا بكاء حارا يثير اللوعة ، ويدعو إلى الأسى .

كما نجد متمم بن نويره وهو من المخضرمين يبكى أخاه الذي قتل في حروب الردة ، ونجد أبا تمام يبكى أخاه وابنه ، ويصور ساعات الاحتضار تصويرا بارعا ممزوجا بالدموع والأحزان.

وغير هذا كثير في ندب الأخوة والأبناء الأقارب ، وهو ندب اتصف بالصدق والأصالة في التعبير عن الأحاسيس ووصف اللوعة لفراق المفقود. وعند ما توفي المصطفي عليه السلام حزنت جميع القلوب لفقده ، وبكت عليه العيون ، وسبكت الدمع الهتون لفراقه ، لأنه قائد الأمة وهاديها إلى طريق الحق والعدل والتوحيد، وقد رثاء الشعراء منذ وفاته إلى اليوم ، وسيظل الشعر عاجزا عن تصوير بطولته وسماحته وصبره وخلقه الكريم.

وكما ذرف الشعراء دموعهم على النبي (ص) ذرفوها على آل بيته رضوان الله عليهم ، وكان ما تعرضوا له من القتل والمطاردة معينا نهل منه الشعراء معانيهم الحزينة في مراثيهم لآل البيت وانطلق الشعراء يذرفون عليهم ، ويبكون كل ذي قلب رحيم على مصرعهم ، فهم الطاهرة أرحام النبي وأحفاده ، وهم الشجعان الأتقياء أهل الوقار والإيمان.

وكانت الهاشميات للكميت بن زيد الأسدى من أشهر مراثي آل البيت في العصر الأموي ، وتبعه دعبل الخزاعى و النميرى والسيد الحميرى في العصر العباسي ، ويضيق بنا المقام عن استعراض نماذج من رثاء آل البيت .

وكما ندب الشعراء أبنائهم وإخوانهم ورسولهم وآل بيته فقد أبنوا خلفاء هم ووزرائهم وقوادهم تأبينا حارا يملؤه الحزن والأسى ، وتظهر عليه آيات الفخر والاعتزاز والإعجاب ، ويمتلئ

Dhaka University Institutional Repository

بصفات المفقود الحميدة ، ذلك المفقود الذي اعز الله به الإسلام ، وقوى به شوكة المسلمين فهو حامى الذمار ، وهو الحريص على رعاية امور المسلمين.

وتتناثر قصائد الرثاء للخلفاء والوزراء والقواد في دواوين الشعراء ، وقد يكون الرثاء أقرب أغراض الشعر إلى صدق العاطفة ، وأبعدها عن المجاملة والتصنع كما في المديح .

الزهد والمواعظ

الزهد فن جديد من فنون الشعراء الإسلامي في العصر العباسي الأول ، تضافرت أسباب كثيرة على ظهوره واتساعه ، وقد أجمع دارسو[٣٠] الأدب في هذه الفترة على أن الزهد غرض جديد من الأغراض الشعرية التي جاء بها الشاعر العباس ضمن ما جاء به من تجديد وتطوير الأغراض الشعر الإسلامي التقليدية في هذا العصر من آلهيات ومديح ورثاء وهجاء ، تلك الأغراض التي نظم فيها الشعراء الأقدمون ، ثم جاء الشاعر العباسي وزاد عليها أو نقص ، واتضح لنا خلال دراستنا لتلك الأغراض ما يدخل في الاتجاه الإسلامي منها.

وعند ما البحث أسباب ظهور هذا الغرض الجديد من أغراض الشعر العباسي لابد من إلقاء نظرة سريعة على المجتمع العباسي تصور لنا الظروف التي نشأ بسببها الزهد الإسلامي ، ذلك لأن الشعر غالبا صدى لعادات المجتمع وتقاليده ، وصورة يرسم الشعراء فيها ما يجرى في حياتهم وحياة معاصريهم من أحداث.

يقول أنيس المقدسي[٣١] "في كل عصر وفي كل قطر إذا كثرت أسباب الغنى والترف نشأ في المجتمع البشرى مجريان متطرفان : الأول مجرى العبث والخلاعة ، والثاني مجرى الحرص والتقشف .

وقد أضافت كتب الأدب والتاريخ في وصف الثراء والترف الذي وصل إليه مجتمع العباسيين ، فقد وصلت الدولة أوج قوتها وعظمتها ، فكثرت لذلك الأموال إلى حد بعيد وامتلأت خزائن الدولة بملايين الدنانير ، ونعجب أحيانا حينما نسمع بعض الأرقام عن دخل الدولة في عهد الرشيد أو المأمون وغيرها.

وكان الخلفاء والوزراء والقواد وكبار زجالات الدولة ينثرون الأموال بدون حساب على الشعراء والمغنين والمؤلفين والمترجمين والأطباء وكل شخص برز في عمل من الأعمال ، أو اشتهر بمهنة من المهن ، ومع كثرة الأموال وتدفقها على الناس كانت الأشعار رخيصة إلى حد قد لا نصدقه في عصرنا الحاضر، وفي كتب التاريخ ما يثير العجب عن هذه الأشعار ، ومع كثرة الأموال ونثرها على الطبقات المختلفة حدث امتزاج العرب بغيرهم من الأجناس الأخرى ،

---

٣٠ احمد الجوارى ، الشعر في بغداد حتى نهاية في القرن الثالث الهجرى، ص ٢٤٨.

٣١ أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص ١٤٩

Dhaka University Institutional Repository

وكان امتزاجا جنسيا وثقافيا وسياسيا ، وتفاعلت هذا الأجناس المختلفة في عناصرها وثقافاتها وعاداتها وتقاليدها على خلق حياة جديدة في المجتمع العباسي .

وتوجد صورتان لهذا المجتمع ، ولكل منها مظاهرها ، أما الصورة الأولى فهي :

انتشار الغناء ، وكثرة الجواري وإدمان الناس على شرب الخمر ، ووجدت الحربة الفكرية وكثرت الملل النحل ، وانتشرت الزندقة ، وفشا الإلحاد ، ووجد أصحاب الأهواء المنحرفة والشهوات الجامعة وما يتمنونه ، وأنغمس المجتمع العباسي في الترف ، وحرص الناس على جمع المال ، وافتنوا في زخرفة الحياة ، فكثرت المطاعم والمشارب ، و ارتفعت القصور الشاهقة المزركشة ، وتعددت مجالس اللهو والخمر السمر ، وتعانقت الكؤوس وصدحت المغنيات بأعزب الألحان ، ونسيت لذلك الدار الآخرة ، وأصبح الموت والجزاء خيالين لا وجود لها في حياة العباسيين.

تلك صورة تمثلها طبقة من طبقات المجتمع ، جمعت بين الجد اللهو ، وكان حفظها من اللهو كبيرا ، ونصيبها من الجد قليلا.

أما الصورة الثانية فهي صورة وقفت أمام هذا التيار الجارف من الإقبال على الدنيا ومتاعها ، وإذا كانت قد وجدت طائفة همّها إدمان الخمر وسماع الغناء ، وجمع الأموال اعتناق المذاهب المنحرفة فقد وجدت طوائف أخرى ، تمثل عامة الناس وسواد الشعب ، طوائف زهدت في الدنيا وأقبلت على طاعة الله وعبادته ، وأنكرت على المنحرفين فسوقهم وغرورهم بمتاع الدنيا الزائل ، ودأبت علي إلقاء المواعظ الأحاديث الدينية ناهية في مواعظها عن الاستسلام لمظاهر الحياة بهرجها ، محذرة من ساعة يندم فيها كل مفرط ، وموضحة أن الموت قريب وأن هذه الزخارف الدنيوية لن تبقى .

ونشأت بسبب ذلك حركة الزهد والتنسك ، فتزهد كثير من الناس ، واعتزلوا الدنيا وتفرغوا لعبادة الله ، وانبرت طائفة من الزهاد تعظ الناس ، وتزهدهم في متاع الدنيا ، تلك الحياة التي لا بد أن ينهيها الموت الذي لا يبقى على أحد ، وصارت تحذرهم من يوم الجزاء والحساب ، ذلك الموقف العظيم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من آتى الله بقلب سليم. ولكن ما هو الزهد ؟ وما المراد بشعر هذا ؟

يقال : زهد في الشيء ، أي: رغب عنه وانصرف إلى غيره ، ويقال : زهد في الشيئ أى : رغب في الانصراف عنه ، وحث على عدم الإتمام به .

أما الزهاد ، فهم الذين زهدوا في الدنيا ومتاعها من مال وقصور ومطاعم ومشارب وعاشوا على الكفاف ، وانصرفوا إلى عباد الله بالتنسك في المساجد والاعتكاف فيها ، وقد بالغ بعض الزهاد في الانصراف عن الدنيا ، فانعزل عن الحياة والناس ، وترك العمل ووقف حياته على

Dhaka University Institutional Repository

العبادة ، ونسى أن الله أمر بالعمل والكسب الحلال ، وتجاهد أن الله أحل للإنسان التمتع بما رزقه من الطيبان دون إسراف ولا تبذير ، ويضاف إلى هذا أن الدولة الإسلامية بحاجة إلى رجال يعملون لا صلاحها ، ويتعبون من أجل عمارتها ،والعمل والكسب الحلال لا ينافي مع العبادة والطاعة . وعلى الإنسان أن يكون في حياته وسطا لا إفراط ولا تفريط كما أمر بذلك الإسلام الحنيف،.

قصيدة الرثاء أو المديح ، ولا يعطيه الشاعر اي الاهتمام . لذلك فلا يمكن القول بأن الزهد وحد في الشعر الأموي ، بل يمكن القول بأنه وجد في العصر العباسي ، واتخذ شكلا جديدا ،ونظمت فيه قصائد كاملة ، بل ونظم في الزهد شعراء عرفوا باللهو والمجون.

والزهد والوعظ غرضان متشابهان ، أحد هما مكمل للآخر ، فالواعظ يزهد في الدنيا ، والزاهد يخلط زهده بمواعظ ونصائح أخرى ، والشعراء الذين نظموا في الزهد هم الذين نظموا في المواعظ أيضا ب، ولذلك جمعت بينهما في فصل واحد ، ودرستهما كما يدرس الباحث غرضا واحدا.

وما خلفه شعراء العصر العباسي الأول من أشعار الزهد والمواعظ كثير جدا ، وتحفل به دواوين الشعراء وكتب الأدب ، ويندر خلو ديوان شاعر من الزهد سواء كانت قصائد كاملة أم أبيات ضمن غرض آخر .

وكان أبو نواس عرف بالمجون ، و اشتهر بالخلاعة ،وتعدي حدود الخلق والدين ، و أكثر شعره يصور هذا الاتجاه من خمريات و مجون و هجاء فاحش و غزل بالمذكر ، مع احتمال إضافة كثير من أشعار المجون إليه لشهرته به ، كما أن حياته الماجنة كانت مطابقة لشعره ، فهو لا يتعدى مجالس اللهو ، ولا يفارق مقاصف الخمور والغناء ، مع ما يجرى في هذه المجالس اختلاط بالجواري والغلمان وما يجرى بينهم من مداعبات ومجون.

وقد صور أبو نواس حياته اللاعبة التي كان يعيشها أصدق تصوير، ورسم صورا لمجالس اللهو والخمور ، وأبدع في وصف دنان الخمر وسقاتها وندمائها ، وفصل ما يجرى في هذه المجالس من غزل ومداعبات تصل إلى حد الإفحاش وتجاوز حدود الدين ، وجاهر أبو نواس في مجونه ، وأعلن ثورته على العرف الخلق والدين ، وهيأ له العصر العباسي كل الأسباب ، وفتح له الباب على مصراعيه ليفعل ما يشأ ويقول ما يشاء ، دون أن يجد من يردعه أو ينهاه ، بل وجد من يؤيده وينادمه حتى هؤلاء الذين يفترض فيهم الورع والتقى ، ومضى في أشعاره يصور تلك الحياة الماجنة المستهترة ، وهو يجاهر بالمعاصي ويقول بصراحة تامة :

Dhaka University Institutional Repository

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخـمر ولا تسقني سرا إذا أمـــكن الجر
وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر[٣٢]

ويقول :

لا تبك ليلى ولا تطرب إلـــى هند وشرب على الورد من حمراء كالورد
كاسا إذا انحدرت في حلق شاربها أجدته حمرتها في العين والـــــــخد
فالخمر ياقوتية ، والكأس لـــؤلؤة فـــــــــي كف جارية مشوقة القد
تسقيك من يدها خمرا ، ومن فمها خمرا فمالك مـــــــن سكرين من بد[٣٣]

ويعلن إعلانا صريحا ارتكابه للمعاصي بقوله :

ترى عندما ما يسخط الله كله من العمل المردى الفتى ما عدا الشركا[٣٤]

وغير هذا كثير مما قاله وفعله أبو نواس من التهتك والمجاهرة بارتكاب الكبائر.

وكان إلى جانب هذا المجون في شعراء أبى نواس جانب آخر، وهو الجانب الحجدى الزاهد، فنقرأ في شعره تلك الآلهيات الرائعة والمناجاة الخاشعة التي أوردها أبياتها في الحديث عن الآلهيات.

ونجد في ديوان أبى نواس روائع في الزهد والحث على التوبة ، والتحذير من غرور الدنيا ، وأن الموت هو المصير المحتوم ، فلما ذا العبث والتجاهل لذة النهاية التي لابد منها؟

وإذا كنا نقرأ لأبى نواس أشعارا كثيرة في الخمريات والمجون والمجاهرة فإننا نقرأ له أيضا كثيرا من قصائد الزهد والمناجاة الرائعة ، التي بلغ فيها حدا كبيرا من الروعة والإبداع ، واستمع إليه يقول :

يا رب إن عظمت ذنوني كـثرة فلقد علمت، بأن عفوك أعظـم
إن كان لا يرجوك إلا مـــحسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم ؟
أدعوك رب كما أمرت تضرعا فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم؟
ما لي إليك وسيلة إلا الرجـــا و جميل عفوك ثم أنـــى مسلم[٣٥]

ويقول معاتبا نفسه وحذرا من ارتكاب المعاصي وفعل الموبقات :

أفنيت عمرك والذنوب تزيد والكاتب المحصى عليك شهيد
حتى متى لا ترعوى عن لذة وحسابها يوم الحساب شديد
و كآني بك قد أتتك مـــنية لاشك أن سبيلها مـــورد[٣٦]

---

٣٢ ابو نواس ، الديوان ، ص ١٠٨
٣٣ المصدر نفسه ، ص ٢٦٥
٣٤ المصدر نفسه ، ص٢٥٠.
٣٥ المصدر نفسه ، ص ٢١٨

Dhaka University Institutional Repository

ويزيد في الدنيا ومباهجها يقوله :

لا تفرغ النفس من شغل بدنياها رأيتها لم ينلها من تمناهـــا
إنا لنفس في دنيا مـــــــولية ونحن قد نكتفي منها بأدناها
أنت اللئيم الذي لـــــم تعد همته إيثار دنيا نادته لباهـــــــا
يا راكب الذنب قد شابت مفارقة أما تخاف من الأيام عقباها؟[٣٧]

صدق العاطفة

وصدق العاطفة من أبرز الخصائص التي تميز بها الشعر الإسلامي في هذا العصر، وذلك لأن هذا الشعر تعبير عن عواطف إسلامية جياشة ، وتصوير لمشاعر المسلم الغيور على دينه والحريص على أمته ووطنه . ويختلف صدق العاطفة قوة وضعفا باختلاف الأغراض ، ففي الإلهيات نجد الشاعر مبتهلا خاشعا أمام الله ، يدعوه وسأله الصفح والرضوان ، ويعترف بنعمه العظيمة ، ويقر بعجيب صنعه وإبداعه . فلا مجال هنا للمجاملة أو النفاق . وقد تضعف العاطفة الإسلامية المديح ، فيخلع الشاعر على المدح صفات إسلامية لا توجد فيه ، وقد يبالغ في ذلك إرضاء للممدوح وإشباعا لحب المباهاة في نفسه . ولا يمكن أن ننفي صدق العاطفة في المديح برمته ، بل ننفي الصدق في كثير من قصائد ه ، ويمثل لصدق العاطفة في المديح الإسلامي بروائع أبى تمام في مديح المعتصم ويزيد بن مزيد ومحمد بن حميد الطوسى ، فعاطفة الشاعر الإسلامية واضحة في هذه المدائح كل الوضح ، بل نجد عاطفة أبى تمام قوية جياشة فهو متحمس في مدائحه مواثيه الإسلامية ومندفع بعاطفة الدينية القوية.

أما في الزهد والرثاء فيغلب، عليهما الصدق ، لأن الشاعر يعبر عن مشاعر الخاصة أما في نظرته إلى الدنيا ، وهول ما أصابه به ففقد هذا الرجل العظيم ، فلا داعي لتزييف العواطف والمبالغة ميزة من مميزات الشعر العباسي ، وظهرت أيضا في المديح والزهد الإسلاميين ، وظاهرة المبالغة ظهرت في هذا العصر ، واتسعت فيما بعد على يد المتنبي وابن الرومى وغيرها من شعراء العصر العباسي الثاني .

وأبو نواس وأبو تمام وأبو العتاهية كانوا يبالغون أحيانا ، ويخرجون عن الحد المقبول الذي يقبله العقل و يرضاه الذوق ، ونقرأ لأبي نواس في المبالغة مثل قوله :

وأخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التي لم تخلق

ويبالغ أبو تمام في مدح المعتصم بقوله فيه :

لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا من نفسه وحدها في جحفل لجب

---

٣٦ المصدر نفسه ، ص ٦١٩.
٣٧ المصدر نفسه ، ص ٦١٣

Dhaka University Institutional Repository

ويبالغ أبو العتاهية في احتقار الدنيا وسرعة زوالها ، ويصل إلى حد التشاؤم الذي يجعل الإنسان ينظر إلى الحياة نظرة سوداء ، يقول في ذلك :

لدوا للموت وأبنوا للخراب فكلكم يصير إلى تباب

الخصائص المعنوية للشعر الإسلامي

ومن الخصائص المعنوية للشعراء الإسلامي اعتماد الشعراء في أكثر معانيهم على القرآن الكريم والسنة النبوية ، وقد يستعينون أحيانا بأحداث التاريخ الإسلامي ونجد لذلك أمثله كثيرة في زهد أبى العتاهية ومدائح أبى تمام وغيرها ، وقصيدة أبى تمام في فتح عمورية مليئة بهذه المعاني ، فنجده يشبه فتح عمورية بانتصار المسلمين في غزوة بدر الكبرى ، ونجد أبا تمام المقدسات الإسلامية في مديحه لمحمد بن يوسف الثغرى كقوله:

لم يحدث نفسا بمكة حتـــى جازت الكهف خيله والرقيمـــا
حين عفي مقام إبليس سامى بالمطايا مقام إبـــــــــراهيم
حطم الشرك حطمة ذكـــرته في دجى الليل زمزما والحطيما[٣٨]

ووضع المعنى وقرية من الإفهام أمر اتصف به الشعر العباسي في مختلف أغراضه أما الشعر الإسلامي فنجد وضوح المعنى وسهوله اللفظ واضحين في الزهد وأبو العتاهية الذي يمثل تيار الزهد كان يتوخى السهولة والوضوح في وزهده ، وقد يتعدى ذلك حده فيأتي بالساقط والمرذول كما يقول أبو الفرج الأصفهاني[٣٩] ،

ولذلك كان أبو العتاهية رأس المدرسة الشعبية [٤٠] التي نحت بالشعر منحى السهولة والبسطة ، ومع هذا فشاعرنا صاحب إذن موسيقية يضع الكلمة في موضعها ، ويختار للمعنى ما يناسبه من لفظ ، ونقرأ أشعاره في الزهد فنحس بطبع الشاعر وسهولته . وطابع السهولة والوضوح الذي وسمنا به الشعراء الإسلامي قد يعتبر إلى العمق والغموض والإعراب في المعنى وذلك في بعض قصائد المديح ، وخاصة مدائح أبى تمام.

واتضحت في أساليب الشعراء القدرة على العرض التعبير ، والإحاطة بالمعنى من جميع جوانبه وتحليله تحليلا دقيقا ، وكانت ثقافة الشاعر العباسي الواسعة تساعده على الاستقصاء والعربي لمعناه ، ولو طلب من شاعر جاهلي أن يعبر عن تكذيب المنجمين لنظم في ذلك بيتا واحدا ، ولكن بأبي تمام يفصل القول في هذا المعنى ، ويحيط به من جميع جوانبه بقوله :

السيف أصدق أنباء مـــــن الكتب في حده الحد الـــــــجد واللعب

---

٣٨ ابو تمام ، الديوان ، ص٢٢٦
٣٩ ابو الفرج الاصبهانى ،الأغاني، ج٤، ص٢.
٤٠ تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرآن الكريم الثالث الهجرى : ٤٠٥

Dhaka University Institutional Repository

بيض الصفائح لأسود الصحائف في متونهن جـــــلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماح لامـــعة بين الخميس لا في السبعة الشهب
أين الرواية؟ أم أين النـــجوم وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
عجائب زعموا الأيام مـــــحلفة عنهن في صفر الأصفار أو رجب[٤١]

وأبو العتاهية يعرض معانيه عرضا مفصلا مملؤا بالصور والخيال ، فهو ينقلك إلى القبور حتى تتخيل أنك أمام العظام النخرات وفي وسط ظلام وجدران متلاصقة . ويطيل الشاعر نفسه في حديثه عن زوال الدنيا ويصورها بصور مختلفة ، ويتقصى المعنى من جميع جوانبه.

ونلاحظ في الشعر الإسلامي حسن اختيار الألفاظ ، فلكل لفظ مدلول ، ولكل معنى ما يناسبه من الألفاظ ، وكل غرض يحتاج إلى لفظ ووزن وأسلوب يوافقه . وكان الشاعر العباسي في هذا العصر يختار اللفظ المناسب، ويضعه في مكانه ، بل قد يصل حسن اختيار اللفظ إلى أن يحمل الشاعر ألفاظه أكثر مما تحمله من مدلولات ، ويجمل السامع مرتاحا للفظ في مكانه ومتصورا أن غير هذا اللفظ لا يمكن أن يكون لغير هذا المعنى الجميل ، ولنستمع إلى على بن الجهم في مديحه ، ونلاحظ إضافة لفظ الجلالة إلى الخليفة الذي أضفى على الممدوح كثيرا من معاني المهابة والجلال ، يقول على في مدح المتوكل:

اليك خليفة الله استقلت قلائص مثل مجلفة النعام[٤٢]

وإذا نظرنا إلى كلمة الردة حين يطلقها الشاعر على حركة الاعتزال ، ويثير بذلك أكبر محنة واجهت الإسلام في أول أيامه ، ويعجب الشاعر بمن قضى على المرتد ين حين يقول مخاطبا المتوكل :

الردة الأولى ثنى أهلها عزم أبى بكر ولم يكفروا
وهذا أنت تلافيتـــــها فعاد ما قد كان لا يـــذكر[٤٣]

و الملائمة بين اللفظ والمعنى دليل عل قدرة الشاعر الفنية ، وتمكنه من نواصي الكلام وإلمامه بألفاظ اللغة ومترادفاتها . وقد توفر للشاعر العباسي ما لم يتوفر لغيره من الإطلاع الواسع على ما خلفه السابقون ، فألم بثقافات عصره ، واستطاع أن يلائم بين ألفاظه ومعانيه، وأعطى لكل عرض ما يناسبه من اللفظ والأسلوب ، فإذا كان الموضوع يتصل بالحماسة أو المديح أو وصف المخاطر والأهوال أتى له بناسبة من الألفاظ الجذلة القادرة على تمثيل الوضوح ، واستعمل له

---

٤١ ابو تمام ، الديوان ، ص٤٠.
٤٢ علي ابن الجهم ، الديوان ، ص ٧
٤٣ المصدر نفسه ، ص ٧٦

Dhaka University Institutional Repository

الصيغ التي تستطيع النهوض بالمعنى المطلوب ، وهذا أبو تمام يمدح محمد بن يوسف ، ويأتي بالألفاظ المناسبة للمقام فيقول :

كأن بابك بالبذين بـــــعدهم نؤى أقام خلاف الحي أو وتد
بكل منعرج من فارس بـــطل جناجن فلق فيها قنا قـــــصد
لما غد مظلم الأحشاء من أشر أسكنت جاحتيه كـــــوكبا يقد[٤٤]

وان كان الموضوع رقيقا محزنا كالرثاء اختار له الشاعر ما يناسبه من الألفاظ الرقيقة المثيرة اللحزن والأسى ، يقول أبو تمام في رثاء محمد الطوسى:

كذلك ما نفسك نفقد هالـــــــــــكا يشاركنا في فقده البدو والحضر
سقى الغيث غيثا وارت الأرض شخصه وإن لم يكن فيه سحاب ولا قطر
مضى طاهر الأثواب لم تبق روضـــة غداة ثوى إلا اشتهت أنـــها قبر

وحرف الراء يعطينا رنة حزينة تلائم الموقف :

ومن الخصائص الفنية للشعر الإسلامي في العصر العباسي الأول سمو الخيال ودقة التشبيه وروعة الاستعارة ، وخاصة عندما يتعرض الشاعر لوصف الجيوش الإسلامية والمعارك العنيفة التي خاضتها ضد أعدائها ، وتصوير هزائمهم وخوفهم من المسلمين . ووصف أبى تمام لحريق عمرية واضح مشهور تتضح فيه الروعة الفنية ، والإبداع في التشبيه وذكر الأضداد.

أما خصائص هذا الشعر الموسيقية فقد اتبع فيها الشاعر ما سنه الأقدمون وساروا عليه ، ونظم أشعاره ضمن حدود البحور الشعرية المعرفة ، وقد جرت محاولات للتجديد والخروج عن المألوف من وزن وقافية ، وتزعم أبو نواس وأبو العتاهية تلك المحاولات، وقد أثر عن أبى العتاهية خروجه عن الوزن و القافية ، وحين عن مخالفته لبحور الشعر قال : أنا أكبر من العروض ، وكانت المحاولات بسيطة وضعيفة التأثير في الموسيقى الشعرية ولا ننكر أن الشاعر العباسي ، مع سيره على الأوزان القديمة قد أبدع في اختيار الموسيقى المناسبة لمعناه وغرضه ، وكان الشعراء يميلون إلى البحور الخفيفة التي تلائم حياة المدينة والحضارة وبوجه خاص في الزهد ، ويميلون إلى البحور الطويلة في المديح والرثاء للذين يتطلبان القوة والجزالة. وتميز الشاعر العباسي بذوقه الرفيع وإحساسه المواهب ، فكان جرس الكلمات الموسيقى ، ويختار ما يناسب الغرض من موسيقى هادئة أو صاخبة . واشتهر البحتري وهو من الشعراء العصر العباسي الثاني بموسيقاه الرائعة . وتكرار الكلمات أو تشابهها ينتج عنه موسيقى حلوة ، يقول أبو العتاهية :

---

٤٤ ابو تمام ، الديوان ، ص١٨

Dhaka University Institutional Repository

يا راعى النفس لا تغفل رعايتها فأنت كل ما استرعيت مـــــسئول
فالدائرات بريب الـدهر دائرة والمرء عن نفسه ما عاش مختول
الحمد لله في آجالنا قـــــصر نبغي البقاء وفي آمالنا طـــــول [٤٥]

ولا حظ الكلمات (راعى ، رعايتها) و(الدائرات ، دائرة) و (آجللنا ، آمالنا) فستجد أن الشاعر أحدث انسجاما موسيقيا جميلا بتكراره لهذه الكلمات .

والتقسيمات الشعرية تضفي على القصيدة روعة موسيقية ، ومثال ذلك قو أبو تمام في المديح:

تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتقب، في الله مر تغب[٤٦]

وقد استطاع بذلك الشاعر العباسي أن يبدع في معناه ، ويسمو بخياله ، ويلائم بين لفظه ومعناه ، واستطاع أن يضع الكلمة في مكانها المناسب بحيث تؤدى المعنى المطلوب ، وتثير ما تحمله هذه كلمة من موسيقى حلوة .

ولا ننفي عن الشعراء التكلف ، ولا ننكر وجود الرديء من المعاني ، ولكن العبرة بالكثرة ، والحكم على العموم لا على الخصوص.

---

٤٥ ابو العتاهية ، الديوان ، ص٢٨٧.
٤٦ ابو تمام ، الديوان ، ص٥٨

Dhaka University Institutional Repository

الفصل الرابع : نماذج من الشعر العربي الإسلامي في هذا العصر

قال أبو تمام[٤٧] في فتح "عمورية" يمدح الخليفة المعتصم:

السيفُ أصدق أنباء مـــــــن الكتبِ ... فـــــــي حدّه الحد بين الجدّ واللعبِ
بيضُ الصفائح لا سودُ الصحائف في ... متونهن جـــــــلاء الشك والريبِ
والعلمُ في شهب الارماح لامـــــعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهبِ
ابن الرواية بل أين النجومُ ومـــــا ... صاغوه من زخرفٍ فيها ومن كذبِ؟
تخرصاً وأحاديثا مـــــــــغفلةٍ ... ليست، بنبع إذا عُـــــدّتْ ولا غربِ
عجائباعموا الأيام مـــــــــجلفة ... عنهن فـــي صفر الأصفار أو رجبِ
وخوفوا الناس مـــن دهياءَ مظلمةٍ ... إذا بدا الكوكب الغربى ذو الـــذنبِ
وصيروا الابرج العليا مـــــرتبةً ... ما كان منقلبا أو غير مـــــــنقلبِ
يقضون بالأمر عنها وهـــي غافلةٌ ... ما دار في فلكٍ منها وفـــــي قطبِ
لو بينت قط أمرا قبل مـــــوقعه ... لم تخفِ ما حل بالاوثان والصـــلبِ
فتحُ الفتوح تعالى أن يحيط بـــــه ... نظم من الشعراء او نثر مـــن الخطبِ
فتحٌ تفتحُ أبواب السماء لـــــــه ... وتبرز الأرض فـــــي أثوابها القشبِ
يا يوم وقعة آنـــــــــــصرفت ... عنكِ المني حُقلا معسولة الحـــــلبِ
أبقيت جدّ نبي الإسلام فـــي صعدٍ ... والمشركين دار الشرك فـــي صببِ

****

لقد تركتَ أمير المؤمنين بـــــها ... للنار يوماً ذليلَ الصخر والخشبِ
غادرتَ فيها بهيم الليل وهو ضُحى ... يشله وسطها صبحٌ من اللـــــهبِ
حتى كأنّ جلابيب الدجى رغـــبتْ ... عن لونِها أو كأن الشمس لم تغبِ
ضوء من النار والظماء عـــــاكفة ... وظلمةٌ من دخان في ضحى شحبِ
فالشمس طالعة من ذا وقـــــد أظلت ... والشمس واجبة مَنْ ذا ولم تجـــبِ

***

تدبير معتصم بالله منـــــــتقم ... لله مرتقبٍ في الله مـــــــــرتغبِ
ومطعمَ النصر لم تكهم أسِنّتهُ ... يوما ولا حجبت عن روح محتجبِ
لم يغز قوما ولم ينهد إلـــى بلد ... إلا تقدمه جنيش مـــــــن الرعبِ
لولم يقد جحفلا يوم الوغي لغدا ... من نفسه وحدها في جَحْفل لـجبِ

---

٤٧ ابو تمام ، الديوان ، ١/٤٠-٧٣

Dhaka University Institutional Repository

رمى بك الله برجيها فـــهدمها ولو رمى بك غير الله لم تـــصبِ
من بعد ما أشبّوها واثقين بـــها واللهُ مفتاح باب المعقل الأشـــبِ

***

لبّيتَ صوتاً زبطريا هرقت لـــه كأس الكرى ورضاب الخرد العربِ
عداك حر الثغور المستضامة عن برد الثغور وعن سلسالها الحـــصبِ
أجبته معلنا بالسيف منـــصلتا ولم أجبت بغير السيف لـــــم تجبِ
حتى تركت عمود الشرك منعفرا ولم تعرج على الأوتاد والطـــــنبِ

***

خليفة الله جازى الله سعيك عـــــن جرثومة الدين والإسلام والحسبِ
بصرتَ بالراحةالكبرى فلـــــم ترها تُنال إلا على جسر مـــــن التعبِ
إن كان بين صروف الدهر من رحمٍ موصولةٍ أو زمـــامٍ غير منقضبِ
فبين أيامك اللاتى نُصرتَ بـــــها وبين أيام بدرٍ أقـــــرب النسبِ

وقال على بن الجهم [٤٨] مدح المعتصم :

اليك خليفة الله استقـــــــــلتْ قلائص مثل مجلفةِ النـــــعام
وليت فلـــــــــم تدع للدين ثأزاً سيوفك والمثقفة الدوامـــــى
نصبت المازيار على سعـــــوق و بابك والنصارى في نـــظام
مناظرك لا يزال الدين منـــــها عزيزَ النصر ممنوع في المرام
وقد كادت تزيع قـــــلوب قوم قأبرأت القلوب مـــــن السّقام
وعمورية ابتدرتْ إليـــــــها بوادر من عزيزٍ ذى آنـــــتقام
وجمع الزط حين عموا وصـــموا عن الداعى إلى دار السّـــلام[٤٩]
أطلّ عليهمُ يومٌ عبـــــــوس تعوّذ منه أيامُ الحمـــــــام
لسيفك دانتْ الدنيا وشُـــــــدّتْ عرى الإسلام من بعد انفصام

وقال أبو العتاهية[٥٠] في الزهد من أرجوزته "ذات الأمثال"

الحمد لله على تقديـــــــــره وحسن ما صرف مـــن أموره
الحمد لله بحسن صنـــــــــعه شكرا على اعطائه ومنـــــعه
يخير للعبد وان لم شـــــــكره ويستر الجهل على من يظهره

---

٤٨ علي ابن الجهم ، الديوان ،ص ٧
٤٩ الزط : طائفة من أهل الهند
٥٠ ابو العتاهية ، الديوان ،ص ٤٤٤

Dhaka University Institutional Repository

خوف من يجهل من عـــــقابه وأطمع العامل فـــــي ثوابه
يا خير من يدعى لـــــدى لشدائد ومن له الشكر مع المـــــحامد

***

حسبك مما تبتغيه القـــــــوت ما اكثر القوت لمـــــن يموت
ان كان لا يغنيك ما يكفـــــيكا فكل ما في الأرض لا يكفـيكا
الفقر فيما جاوز الكفافـــــــا من عرف الله رجا وخـــــافا
ان القليل بالقليل يكـــــــثر ان الصفاء بالقذى ليـــــكدر
من لم يصل فارض اذا جـــفاكا لا تقطعن للهوى أخـــــاكا
الله حسبى في جميع أمـــــرى به غنائى واليه فـــــقرى

وقال أبو العتاهية[٥١] في التحذير من الدنيا وذكر المرت :

ما يدفع الموت أرصاد ولا حـرس ما يغلب الموت لا جن ولا أنـــس
هلا أبادر هذا الموت في مـــهل هلا أبادره مادام بى نـــــفس
يا خائف الموت لو أمسيت خـائفة كانت دموعك طول الدهر تنبـجس
أما يهولك يوم لا دفاع لـــــه اذ أنت في غمرات الموت منـغمس
أما تهوله كأس أنت شاربـــها العقل منك لكوب الموت طتـــبس
اياك اياك والدنيا ولـــــذتها فالموت فيها لخلق الله مـــفترس
ان الخلائق في الدنيا لو اجتـــهدوا ان يحبسوا عنك هذا الموت ما حبسوا
ان المنية حوض أنت تـــكرهه وأنت عما قليل فيه تنغمـــــس
ما لي رأيت بنى الدنيا قـــد افتنوا كأنما هذه الدنيا لهم عـــــرس

وقال أبو نواس[٥٢] التضرع والدعاء :

يارب ان عظمت ذنوبـــى كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعـــظم
ان كان لا يرجوك سالا محـسن فبمن يلوذ ، ويستجير المـــجرم؟
أدعوك رب كما أمرت تضرعا فاذا رددت يدى فمن ذا يرحـــم
ما لي اليك وسيلة الا الرجـــا وجميل عفوك ثم أنـــــى سلم

وقال أبو نواس [٥٣] من قصيدة بعنوان "النفس والدنيا" :

لا تفرغ النفس من شغل بدنياهـــا رأينا لم ينلها مـــن تمناها

---

٥١ المصدر نفسه ،ص ١٨٨ .
٥٢ المصدر نفسه ،ص ٦١٨ .
٥٣ ابو نواس ، الديوان ، ص ٦١٣

Dhaka University Institutional Repository

انا لنفس فـــــــــــي دنيا مولية ونحن قد نكتفي منها بأدناهـــا
حذرتك الكبر لا يعلقك ميـــــسمه فيه الخروق اذا كلمته تـــــاها
متن على نفسه راض بـــــسيرتها كذبت ياخـــــادم الدنيا ومولاها
انى لا مقت نفسى عنـــــد نخوتها فكيف آمن مقت الله أيـــــاها
أنت اللئيم الذي لم تعد هـــــمته ايثار دنيا اذا نادته لبـــــاها
يا راكب الذنب قد شابت مـــــفارقه أما تخاف مـــن الأيام عقباها؟

وقال على بن الجهم [٥٤] لمّا حبسه المتوكل ونفاه إلى خرسان ، وأمر عبد الله بن طاهر بصلبه

لم ينصبوا بالشاذياج صـــبيحة الا ثنين معموزا ولا مـــــجهولا
نصبوا بحمد الله ملئ عـــــيونهم شرفا وملئ صدورهم تبـــجيلا
ماعابه أن بزعنه لباســـــــه فالسيف أهل ما يرى مســـلولا
ان المصائب مـــــا تعددت دينه نعم وان صعبت عليه قليـــلا
والله ليس بغافل عـــــن أمره وكفي بربك ناصرا ووكيـــلا
لن تسلبوه وان سلبتم كل مـــــا خولتموه وسامة وقبـــــولا
هل تملكون لدينه ويقـــــينه وجنانه وبيانه تبـــــديلا
لم تنقصوه وقـــــد ملكتم ظلمه ما النقص الا أن يكون جـــهولا
كادت تكون مـــــصيبة لو أنكم أو ضحتم دنيا عليه جـــليلا
ان كان سفّ إلـــى الدنيئة أو رأي غير الجميل من الأمور جـــميلا

وقال أبو تمام [٥٥] يمدح المأمون :

وتكفل الأيتام عـــــن آبائهم حتى وددنا أننا أيـــــتام
مستسلم لله سائس أمـــــة لذوى تجهضمها له استـــسلام
يتجنب الآثام ثم يـــــخافها فكأنما حسناته آثـــــام
يا أيها الملك الهـــــمام وعدله ملك عليه فـــــي القضاء همام
مازال حـــــكم الله يشرق وجهه في الأرض مذ نيطت بك الأحكام
لما رأيت الذين يخفف قلبـــــه والفكر فيه تغطرص وعـــزام
أوريت زند عزائم تحت الدجـــى أسرجن فكر ك والبـــلاد ظلام
فنهضت تسحب ذيل جيش ســـاقة حسن اليقين وقادة الاقـــدام
ماكان للاشراك فوزة مشـــهد والله فيه وأنـــت، والإسلام.

---

٥٤ تكملة ديوان ابن الجهم، ص ١٧٢، ١٧٢
٥٥ ابو تمام ، الديوان،ص ١٥٣-١٥٧

Dhaka University Institutional Repository

خاتمة البحث و نتائجها

Dhaka University Institutional Repository

خاتمة البحث ونتائجها

خاتمة البحث

إن الأدب العربي ومداره هي اللغة العربية التي ما نزال تستخدمها في الأدب العربي نثراً ونظماً من التأليف و الكتابة والخطابة والرسالة والفنون الأدبية نثراً كان أو نظماً . وأن العناصرالإسلامية تظهرفي الأدب العربي المنثوروالمنظوم متصلة بالألفاظ الإسلامية العربية الأساسية وموادها الأصلية التي ما نزال تستخدمها في الأدب العربي جميعاً . فلذا بدأنا المقالة أولاً عن نشأة اللغة العربية و تطورها من بداية القرن السابع الميلادي إلي نهاية العصر العباسي في بغداد. والعناصرهي جمع عنصر، و الإسلامية هي كلمة واضحة منسوبة إلى الإسلام . و الإسلام هو إظهار الخضوع و القبول لما أتى به محمد صلى الله عليه و سلم ، فالعناصرالإسلامية هي الألفاظ الإسلامية والأمور الحسنة التي تتعلق بالإسلام إصالة من العقيدة مثل الدراسة حول التوحيد والتحميد والتمجيد لله تعالي والرسالة والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخروالقدرخيره وشره والبعث بعد الموت والدراسة حول العبادات كلها لله تعالي كالصلوة والصوم و الزكاة و الحج والإحسان والأعمال الصالحة والجهاد في سبيل الله تعالي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكرالتي تصل إليها فرعة من التقوى و التوكل والزهد والرغبة إلي الله بالعبادات والدعاء وغيرها التي تحمل فكرة إسلامية نيرة وعاطفة دينية سامية. وهذه العناصر الإسلامية أيضاً تتصل بالمديح والغزل والرثاء والفخروالوصف والهجاء في الأدب العربي نثراً ونظماً. وأما العناصر الإسلامية التي توجد في الأدب العربي في العصورالنبوية والراشدية والأموية والعباسية هي:

الكلام المرسل من الله تعالي إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم والحديث النبوي وخطبة الرسول ورسائله وعظاته صلي الله عليه وسلم، والإيمان بالله و الإعتقاد بأن الله سبحانه وتعالي واحد، لا شريك له ولا مثيل له و أنه لم يلد أحد ولم يولد منه أحد و ليس له كفو قط، فإلهنا إله واحد و ربنا رب العالمين وهو واحد الأحد لا ثاني له. قال أبو العتاهية في شأن وحدانية الله تعالى:

وفي كل شيئ له آية + تدل على أنه الواحد

والإيمان بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله و خاتم النبيين ، و قد مدح الشعراء النبي صلى الله عليه و سلم منذ فجر الإسلام حتى اليوم ،فأبو العتاهية الذي يسلم على قبره و يؤيد بإصطفاء الله له و أن الله سبحآنه و تعالي هدى به

Dhaka University Institutional Repository

البشرية و أنقذها من الضلال و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم مفتاح رحمة للعالمين و مع هذا فهو بشر أيضا يموت كما يموت الناس ، حيث قال أبو العتاهية:

شهدت على أن لا نبوة بعده + و أن ليس حي بعده بمخلد

التوكل على الله هو الإعتماد على الله و هو أن يعتقد العبد بأن الله سبحانه و تعالى هو فعال لما يريد لا حول و لا قوة لعبد إلا بالله العلي العظيم ، قال الله تعالي : فمن يتوكل على الله فهو حسبه . قال يحي بن زياد الحارثى حول التوكل:

لا تجزعن متى اتكلت على الذى + ما زال مبتدئا يجود و يفضل

الرغبة إلى الله هي الرجوع بأن الله طائع في الحاجات لاغيره ، فعلى هذه الوجهة قال أبو نواس:

وارغب إلى الله لا إلى جسد + منتقل من صبا إلى كبر

و قال الله تعالى : فإذا فرغت فآنصب وإلى ربك فارغب " نسأل الله عزوجل ولا نسأل غيره أبداً.

ويقف أبو العتاهية متضرعا أمام الله تعالى يطالب المغفرة و الرحمة و يعترف بارتكابه للمعاصي ، نادما على ما فات و آملا عفو الله ، لأنه أرحم الراحمين ، و قال:

إلهى لا تعذبني فإني + مقر بالذي قد كان منى

الله تعالى هو عالم الغيب و العبد لا يقف الغيب و لا يطلعه ، قال الله تعالى: " قل لا يعلم الغيب من في السماوات و الارض الغيب إلا الله" وعلى هذا قال الرقاشي :

لا يعلم الأسرار إلا ربنا + ليس العليم بها كمن لا يعلم

لو كان العبد يعلم الغيب لاستكثر من الخير و ما مسهم الشر قط . و لكن الله وحده يعلم الغيب. وتسبيح الكائنات لله تعالي ويسبحون الله و لكن لا نفقه تسبيحهم ، قال الله تعالى : يأيها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال أيضا : يسبح لله ما في السماوات و الأرض .

التحميد و التمجيد لله رب العالمين . فكل يرجع إلى الله سبحآنه و تعالى و هو الأعز و الأكبر و له الكرامة على سائر المخلوقات . و كآن بشار كثير التلون في ولائه و يفتخر بهم . قال بشار بن برد:

Dhaka University Institutional Repository

مولاك أكرم من تميم كلها + أهل الفعال و من قريش المشعر

فارجع إلى مولاك غير مدافغ + سبحآن مولاك الأجل الأكبر

والقربة إلى الله بالعبادات و الدعاء هي أن كل ما في الأرض فان يوما ، و يبقى وجه ربنا فقط . و هو ذو الجلال و الإكرام و هو خالقنا و ربنا ، فا لتسبيح و التهليل و الأضحية كلٌ لله تعالى : إن صلاتي و نسكى و محياى و ممتاتى لله رب العالمين . قال أبو القاسم بن يوسف :

له التسبيح و التقـ + ديس و الصلوات و النسك

و إهلال الحجيج له + و ما سفحوا و ما سفكوا

والله سبحآنه تعالى يشفينا – قال الله تعالى " أأعجمي و عربي قل هو للذين أمنوا هدىً و شفاء " و مثل ذلك قال الخريمي :

أذا ما مات بعضك فابك بعضاً + فإن البعض من بعض قريب

يمنني الطبيب شفاء عيني + و هل غير الإله لها طبيب ؟

والرزق يأتي من الله "وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها " قال أبو العتاهية ، يذكر قدرة الله تعالى على منح الرزق :

كل يوم يأتي برزق جديد + من مليك لنا غني حميد

حسبنا الله ربنا هو مولى + خير مولى و نحن شر عبيد

فالأشعار المذكورة تبين أوصاف الله تعالى بأنه مليك بصفة الغني و الحميد و هو القدير الرحيم و هو بعيد عن الكافرين و قريب للمؤمنين و هو يرزقنا و يرزق كافة الناس مع أننا شرّ عبيد . فحسبنا الله ربنا رب العالمين .

ويعتبرالمديح أحد الموضوعات الشعرية التى كان الشعراء يضمنونها فى قصائدهم حسب نسبة الممدوح العريق، و حسبه الرفيع و شجاعته الفذة والإشادة بأمجاد قبيلته وانتصاراتها، والحديث عن جوده و ما إلى ذالك من الخصال التى كانت محل تقدير القوم واعتزازهم فى العصرالجاهلى. وهكذا سارت القصيدة فى عصر صدر الإسلام على منوال ذلك النهج القديم إلا أنه أضاف إليها ما هو أهم كوصف التقوى والصلاح والعدل والزهد و إقامة فرائض الدين و بناء المساجد والجهاد فى سبيل الله و غير ذلك من المعانى التى استحدثها الإسلام ، و صارت أساسا يقوم به الأفراد. والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر و ما إلى ذالك من الأوصاف التى أوردها القرأن حول المؤمنين والصالحين، وأن خلفاء بني أمية كانوا على قناعة

Dhaka University Institutional Repository

تامة والشعراء ينظمون الشعرمتصلا بالعناصرالإسلامية حيث يساعدهم فى توطيد حكمهم فى الأمصار الإسلامية .

و تكشف علينا قصيدة كثيرعزة آلتي قالها في مدح عمر بن عبد العزيز خلافا عما كان الشعراء الجاهليون تدور حول التغنى بشجاعة الممدوح ، والإشادة بجوده و كرمه والثناء على عراقة نسبه و ما إليها من المفاهيم الجاهلية ، جديدة الموروثة من الإسلام والقرآن ، حيث قال :

وليت فلم تشتم عليا و لم تخف بريا و لم تقبل إشارة مجرم
و عاقبت فيما قد تقدمت قبل و أعرضت عما كان قبل التقدم.

فالشاعر بعد تقديمه الطليل شخصية الخليفة عمر بن عبد العزيز المتفردة بين خلفاء بنى أمية . فهو يحدث عن زهد الخليفة و إعراضه عن الدنيا مع كل ما تظهره من مفاتنها و إقراره بأنها دار الفناء واعتقاده بالاخرة ورغبته إلى دار البقاء حيث لا يمنعه أحد الوصول إلى ما يرغبه بالأعمال الصالحة. والرثاء بكاء الموتى مع تاء بينهم بذكر محامدهم و محاسنهم أو بذكر مقابيحهم . و قد كانت قصيدة الرثاء فى الجاهلية إظهار الجزع والمرارة من القدر الذى يهلك، الأصحاب والأحبة . أما العناصر الإسلامية فقد كانت قليلة و نادرة في كثير من القصائد، ففى العصر الأموى أصابت القصيدة تطورا جديدا حيث اتسعت، ببروز العناصر الإسلامية بشكل يفوق ما كانت عليه فى عصر صدر الإسلام .فوضاح اليمن يرثى أباه و أخاه ملتزمة بالصبر على قضاء الله و إيمانه بأن الموت هو مصير كل الأحياء مهما طالت بهم الحياة ، قال الله تعالى : اينما تكونو يدرككم الموت و لو كنتم فى بروج مشيدة. و أن الناس متساوون أمام هذا المصير المختوم ، كما نلمس عنده بالاعتقاد حول البعث حين يوفى الناس حقوقهم ، فهو يقول :

سأصبر للقضاء فكل حى سيلقى سكرة الموت المذوق
فما الدنيا بقائمة و فيها من الأحياء ذوعين رموق.

فقد برزت القصيدة بوضوح فكرة الجنة التى سيثاب بها الممدوح و هو متمسك بدين الله و شهيد فى سبيله . قال الله تعالى : الذين امنوا و هاجروا و جاهدوا فى سبيل الله بأموالهم و أنفسهم أعظم درجة عند الله و أولئك هم الفائزون. و كذالك جاء فى الحديث عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قاتل فى سبيل الله من مسلم فوافق ناقة وجب له الجنة .

و سليمان بن قتة يرث الحسين وأشار إلى فضله و كرمه ومجده و نسبه و عزته و جلالته فكانما الشمس أضحت مريضة لاضوء لها ، و السماء أمست تبكى لفقده لما ليس فى الدنيا، حيث قال:

Dhaka University Institutional Repository

مررت على أبيات آل محمد فلم أرها كعهدها يوم حلت

و كانوا رجاء ثم صاروا ذرية و قد عظمت تلك الزرا يا وجلت

و نجد جريرا يرثى عمربن عبد العزيز و يتحدث عن أمره العظيم الذى قام بالعدالة والصلاحة ولماجاء قضاء الله عليه فإذا كسفت الشمس ونزلت الليل وظلت النجوم والقمر تبكى عليه لما أن حياته كانت مملوة بالعناصر الاسلامية والعقائد الدينية والمحاس الاسلامية، حيث قال:

تنعى النعاة أمير المؤمنين لنا يا خير من حج بيت الله واعتمرا

حملت أمرا عظيما فاصطبرت له وقمت فيه بأمر الله يا عمرا

والهجاء في الأدب العربي تعبير من الشاعرعن عاطفة الغضب، متوجها إلى من يقف، خلاف موقفه . و هو أحد الفنون الشعرية التى شغلت حيزا كبيرا فى الجاهلية فيما بين القبائل للماء والكلاء . فيرفع الشاعر صوته مفتخرا بقبيلته ، و مسددا سهام لسانه على القبيلة الأخرى . والإسلام يرفض الهجاء لما فيه من التنازع والشقاق بين الناس ، و هذا ما تعبر عنه الآية الكريمة فى قوله عز و جل : "إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخو يكم و اتقو الله لعلكم ترحمون ، يايها الذين امنوا لا يسخر قوم عن قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان ، و من لم يتب ذالك فاولئك هم الظالمون" . غير أن قصيدة الهجاء ظلت موجودة فى المجتمع الإسلامى فى المدينة إبان الدعوة الاسلامية حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضى الله عنه : "اهجهم ، أوها جهم و جبرئيل معك"، للذين لايؤمنون بالإسلام ، فكان لا بد للشعراء المسلمين أن يخاطبوهم بمفهومهم.و فى العصر الأموى عادت قصيدة الهجاء مرة أخرى مكانة ذات شأن فى الحركة الشعرية، فقد ظهر فيها بعض الملامح الإسلامية. وهذا شيئ طبيعى لأن شعرائها نشاءوا فى ظل تعاليم الإسلام ، فعرفوا كل ما يتنا فى مع هذا الدين فاستفادوا منه فى هجائهم .و يدخل فى ذلك كل هجاء ينطلق فى المجتمعات الإسلامية انطلاقا من هدف دينى بعيدا عن كل الأهواء القبيلية أوالشخصية أوالسياسية أوالمذهبية . و هو ما يمكن أن نسميه هجاء دينيا يحمل كثيرا من العناصر الإسلامية التى استقاها الشعراء مما جاء الإسلام من امثال جديدة أراد لها أن تحكم الحياة البشرية و أن تتحرك فى إطارها . فالشاعرعند ما يفعل ذالك إنما ينظر إلى المجتمع الإسلامى المحيط به . فهو مجتمع يدين بالعقائد الإسلامية للمناهج الحيوية. و قد كان جرير بن عطية اشهر الشعراء في العصر الاموي ، أبرز الأسماء الشعرية الذى استخدم الهجاء الدينى فى ذالك العصر. فقد كانت العناصر الإسلامية تمثل جزئا مهما من الأفكار الشعرية في النقائض، وكان ضدا لخصيميه الأخطل

Dhaka University Institutional Repository

والفرزدق . فجرير عند هجائه للفرز دق يعيره بالفسق ، وارتكاب المحرمات والتعدى على حدود الله و الركض فى المواخير خلف الفاسقات فيقول :

إن الفرزدق حين يدخل مسجدا رجس فليس طهوره بطهور
إن الفرزدق لايبالى محرما ودم الهوى بأذرع و نحور .

وأما الأخطل فهو يدين بالنصرانية و يستحلون من محرمات إسلامية كشرب الخمر و أكل لحم الخنزير، فجرير يعير الأخطل و قومه بالصليب، الذى يكون رمزا للنصرانية و يتهم بعبادته قائلا :

و أدعو الإله و تدعو الصليب وادعو قريشا و انصارها
عبدوا لصليب وكذبوا بمحمد و جبرئيل و كذبوا ميكالا .

ويتهم الطرماح بن حكيم تميما لعدم التسمية على ذبائحها كما يوجب الإسلام فهو يقول :

ذبحنا فسمينا فحل ذبيحنا و ما ذبحت يوما تميم فسمت .

و يهجو ذ والرمة نساء بنى إمرئ القيس يعتمدهن إضاعة الصلوة و عدم أدائها لوقتها فيقول :

نساء بنى إمرئ القيس اللواتى كسون وجوههم حمما و قارا
أضعن مواقت الصلواة عمدا و حالفن المشاعل والجزار .

فالأبيات تشير إلى قوله تعالى "فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون". وتعتبر قصيدة الفرزدق فى هجاء ابليس نصا فريدا لم يوجد مثله فى الشعر العربى القديم ولا الحديث ، فالشاعر لا ينطق فى قصيدته من رغبة دنيوية أو عن قبيلته ضد من ينافسها و إنما كان منطلقة دينيا فقط ، فهو يدافع عن عقيدة كل فرد مسلم . و قال الله تعالى حول أدم و حواء: "و قلنا يأدم اسكن أنت و زوجك الجنة". وأخيرا نتوقف أمام ما حدث لأدم وزوجه عند ما أغواهما ابليس ، فاخرجهما من الجنة، حيث قال:

و أدم قد أخرجته و هو ساكن وزوجته من خيردار مقام
و أقسمت يا ابليس أنك ناصح له ولها إقسام غير

والغزل هواللهو مع النساء بصورة شعرية معبرة عن عواطفها الذاتية بذكر حسنهن و طبيعتهن ، فغزل الجاهلين كان يقوم على التجربة الحسية للمراءة بتصوير مفاتنها و وصف تعامرات الشاعر للوصول اليها. و قد أصاب شعر الغزل فى عصر صدرالإسلام لاتختلف كثيرا عن الغزل الجاهلى فى مضامينها الحسية إلا الإتجاه الإسلامى . و قد كان للخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

Dhaka University Institutional Repository

موقف صارم عن الغزليين حيث نهى الشعراء عن التشبيب بالنساء .و قد عرف الغزل فترة زاهرة فى تاريخه فى ظل الدولة الأموية حيث ساعد ت المتغيرات السياسية و الإجتماعية على انتشاره ، فكان الغزل من أبرز الأغراض الشعرية فى هذه الفترة من تاريخ الأدب العربى ، و ظهر عليه كثير من ملامح التجديد ، فأصبح غرضا بحد ذاته يشمل القصيدة كلها . بل إن هناك من الشعراء من قصر شعره على الغزل مثل عمر بن أبى ربيعة و قيس بن ذريح و قيس بن الملوح و غيرهم . تقبلت ما جاء به هذا الدين من تعاليم و قيم و يعبر عن عواطفها أفضل تعبير، بعيدا عن الحسية التى كانت تسود شعرالغزل قبل الإسلام .و يعبر قيس بن ذريح عن تفضيله للبنى على جميع الناس فيقتبس لذالك صورة قرانية فى قوله تعالى : ليلة القدر خير من ألف شهر. وكان غزل العذرى نتاج تأثير الإسلام على النفس العربية الشاعرة العاشقة التى تقبلت، ما جاء به هذا الدين من تعاليم و قيم و يعبر عن عواطفها أفضل تعبير، بعيدا عن الحسية التى كانت تسود شعرالغزل قبل الإسلام .و يعبر قيس بن ذريح، فيقول :

لقد فضلت لبنى على الناس مثلما على ألف شهر فضلت ليلة القدر .

والإيمان بقضاء الله يقتضى الصبر على المصائب ، و هذا ما يدعو المجنون نفسه إليه حين يقول :

أبى الله أن تبقى لحى بشاشة فصبرا على ما شاء الله لى صبرا .

و قد نص على ذالك قوله تعالى : "و بشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا إليه راجعون". وهكذا نجد النغمة المؤمنة عند قيس بن الملوح الذى يؤكد رضاء الله بمشيته من إقباله على الهلاك بسبب المعاناة فى الحب قائلا:

أمن أجل هذا الحب صرت كما أرى ؟ فقلت نعم والحب مر المذائق

سأفضى إلى سبل الهلاك و إننى لمحتسب راض مشية خالقى .

و كثيرا ما يعانى العشاق إلي و سيلة جديدة مستفادة من المفاهيم الإسلامية . فهم يدعونهن إلى تقوى الله . و هو أمر يقتضى منهن بقول جميل بن معمر مخاطبا بثينة :

ألاتتقين الله فيمن قتلته فامسى إليكم خاشعا يتضرع

ألا تتقين الله فى قتل عاشق له كبد حرى عليك تقطع.

و هو يكثرمن الإلتجاء على الله بالدعاء و بتمثيل حرارة الإيمان بالله فى قلوبهم ، فقال :

Dhaka University Institutional Repository

إلى الله أشكو لا إلى الناس حبها و لا بد من شكوى حبيب يروع
فيارب حببنى إليها واعطنى المودة منها انت تعطى و تمنع

و يقول كثيرعزة بالتجاء التقوى، حيث قال :

تقى الله فيه أم عمرو و تولى مودته لا يطلبنك طالب.

و مجنون يصور تجدد نيران الهوى واستمرارها فى قلوب العاشقين من صورة محسوسة استمدها من تصوير القرآن لأهل النار، و تجدد جلودهم كلما نضجت ، والتى و ردت فى قوله تعالى : إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلنا جلودا غيرها، ويقول المجنون :

وجدت الحب نيرانا تلظى قلوب العاشقين لما و قود
كأهل النار اذا نضجت جلود أعيدت للشقاء لهم جلود .

والفخرفي الأدب العربي هو المديح نفسه ، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه . ويرتبط الفخر ارتباطا شديدا بالهجاء. فهما يمثلان محور شعر العصبيات القبلية ، فقد كان الفخر الجاهلى محل اعتزاز الفرد فى الجاهلية وكانت تدور حول الشجاعة ، والكرم ، والنخوة ، وحسن الجوار وإطعام الفقراء. وقد كان الفخر فى العصر الأموي لا يختلف كثيرا عن نظيره فى العصر الجاهلى كا لكرم والشجاعة والنخوة وما اليها . غير أن هذا لا يعنى أبدا أن الفخر الأموي كان جاهليا خالصا. فقد ظهرت عليه بعض الملامح الجديدة التى ترجع إلى تأثير الإسلام على شعرائه والتى يمكن أن نسميها بالفخر الذيني. وقد كان هذا اللون من الفخر يتحرك في القصيدة الأموية. فالفخر بالإسلام والانتماء اليه، وهو اتجاه نادر . وقد يعمد االشاعر إلى الفخر بالمشاعرة الدينية الإسلامية، اذ كان فخره موجها إلى غير المسلمين. وهذا ما فعله جرير فى مفاخرته للأخطل النصرانى ، فهو يظهر اعتزازه بأداء الصلوة، وبالأذان ، وبالمساجد وهي عناصر دينية ترتبط بالإسلام ، فيقول جرير:

الله فضلنا وأخرى تغلبا لن تستطيع لما قضى تغييرا
فينا المساجد والإمام ولا ترى في آل تغلب مسجدا معمورا.

وكذالك عمد الشعراء إلى تاريخ قبائلهم الذين يكونون فى ظل الإسلام موفقا تاريخيا ، أو دورا هاما قامت به القبيلة أو قام به أحد أفرادها فى خدمة هذا الدين . فا فتخر الأحوص بجده عاصم بن ثابت الذى حمت، لحمه الدبر يوم الرجيع بعد استشهاده ، كما افتخر بخاله "حنظلة ابن أبى عامر" غسيل الملائكة يوم أحد ، قائلا:

فخرت وانتمت فقلت، ذرينى ليس جهل أتيته ببديع
فأنا ابن الذى حمت لحمه الدبر قتيل اللحيان يوم الرجيع

وكان انتماء الرسول صلى الله عليه وسلم القبلى مجالا خصبا ، حيث وظفه الشعراء فى فخرهم بقبائلهم ، أو عشيرتهم التى تلتقى مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى النسب، وأن شعر الفخر فى العصرالأموي قد ظهرت عليه بعض الملامح الجديدة التى اكتسبها من تأثيرالإسلام على شعرهم

Dhaka University Institutional Repository

ولو أن دواعى الفخر هذا العصر لم تختلف عنها فى العصر الجاهلى. ففخر عبيد الله بن قيس الرقيات فى همزيته المشهورة بانتساب النبى صلى الله عليه وسلم إلى قريش، فقال :

لو بكت هذه السما على قوم كرام بكت علينا السما

نحن منا النبي الأمي والصديق من التقى والخلفاء

والزهد هو ضد الرغبة والحرص على الدنيا و هو الكف عن المعصية ، وما زاد عن الحاجة ، وترك ما يشغل عن الله ، وبغض الدينا ، والإعراض عنها وهو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الأخرة. فيدعو القرآن الكريم فى كثير من سورة وآياته إلى الزهد منهجا للحياة الدنيا إذ يدعو للمثالية الروحية والتوكل على الله وبغض للنفوس الدنيا الزائلة وحطامها. والتوكل من القضايا التى شغلت بال الشعراء الزهاد فى العصر الأموي والعباسي، لأن التوكل على الله مرتبط ارتباطا وثيقا بالإيمان به، وهو حصاد التعاليم الإسلامية الحنيفة التى انعكست فى نفوس المسلمين من الصحابة والتابعين .والتوكل هو توكيل الأمور كلها لله تعالى ، ويوجهها حيث يشاء لأن الله يقدر ما يشاء ويفعل. لقد حث القرآن الكريم الزهاد والعباد الى الدعوة الاسلامية والتقوى على الله كما قال الله تعالى : "ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب" وممن أكد هذه الفكرة من الشعراء أبو الأسود الدوئلى، حيث يقول :

اذا كنت معينا بأمر تريده فما للمضا والتوكل من مثل

توكل وحمل أمرك الله إنما تراد به آتيك فاقنع بذى الفضل

فهذا عبد الملك بن مروان ينصح الحجاج والى العراق بكتاب يأمره فيه بالتوفير وعدم الإسراف فى أموال المسلمين، حيث يقول :

عليك بتقوى الله فى الأمر كله وكن يا عبيد الله تخشى وتضرع

ووفر خراج المسلمين دنياهم وكن لهم حصنا تجير وتمنع

وتطورالأدب العربي نثرا ونظما علي مرالعصور في أغراضه و صورشعراء الإسلام وادبائه الإتجاه الإسلامى وعبروا عن عواطف الأمة الإسلامية الجياشة ، وتعددت أغراض الأدب الإسلامي ، فمنها ما سار الشعراء والأدباء على طريقة القدماء من مدح و رثاء و هجاء و منها ما هو جديد نشأ في العصرالأموي والعباسي كالزهد و المواعظ مثل دراسة التوحيد و الرسالة و التقوى و غيرهم، وبذلك أضاف الشعراء والأدباء في أغراضهم الإسلامية بالإتجاه الإسلامي مكآنا بارزا في صفحة الأدب نثراً ونظماً في العصورمن بداية العصرالنبوي إلي نهاية العصرالعباسي فكرة واضحة في دراساتهم الشعرية والأدبية المتلونه بالعناصر الإسلامية.

نتائج البحث: هذا وقد آنتهيت من كتابة بحثي بعنوان " مظاهر العناصر الإسلامية في الأدب العربي ٦١٠-١٢٥٨م " و النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه المقالة ومن البحث و الدراسة في مادتها هي ما يلى :

Dhaka University Institutional Repository

♦ إن اللغة العربية هي من أهم فروع اللغة السامية الأصيلة و التي حفظت على أصولها اكثر من أخواتها السامية، وهي لغة تختص بخصائص و تتميز بمميزات جعتلتها من ارقى اللغات العالم ، و لها أهمية دينية و ثقافية و اقتصادية منذ قديم الزمآن .

♦ إن الأدب العربي إذا نظرنا إلى تاريخ نشأته و تطوره رأيناه بأنه ادب حي ، لم يزل يبقى سنة حياة و لكنه تطور متقلبا من التاريخ من صورة إلى صورة بإحتكاك العرب بعضهم مع بعض آخر. و قد تولدت منه نهضة أدبية ذات نزعة خاصة و طلعت نهضة حديثة بالقرآن و الحديث فى كل نوء من الأنواء .

♦ إن العناصر الإسلامية في الأدب العربي نثرا أو نظما في العصر النبوي اشد تاثيرا في اغراضها و اساليبها بالاسلام و القرآن الكريم. فصار الأدب العربي أعذب تعبيرا و أمتن سبكا و أبرح دلالة و أنق ديباجة و افصح الفاظا و اسهل تركيبا . وكان النثرالعربي في العصرالراشدي مكتاف بالخطابة و الموعظة الحسنة بأسلوب القرآن و متبعيه بخصال النبي صلى الله عليه و سلم . و بأخلاق الصحابة رضى الله عنهم اجمعين و تهذيبهم و آدابهم و تحلى سلوكهم و معاشراتهم عن أوصاف الجاهلية متصفة بأوصاف الوحدانية . و كان الشعر متلون بالمدح و الرثاء و الفتوح و الدعوة إلى الله عزو جل و غير ذلك من العناصر الإسلامية .

♦ و كان النثرالعربي في عصر بنى أمية يقوم على الخطابة و الرسالة و الرواية أو القصة لما توسعت الفتوحات و تطورت الحياة الإدارية و السياسية لزمت المعالجة بأوامر الدولة تمتاز الخطبة الأموية بعنصر التهديد و الوعيد كما كانت الخطابة الجاهلية و سواء ذلك الخطابة و السياسة و الخطابة الدينية و الخطابة الإجتماعية .

♦ كثيرا ما كانت الأعراض الجاهلية في الشع من المدح و الفخروالرثاء والوصف و الغزل و العواطف و قيم المفاهيم السائدة ابطل الإسلام من نزعات تلك الجاهلية و معتقداتها و حمل معها كثيرا من التغييرات الدينية و الاجتماعية و الثقافية التي احدثت في الحياة العربية قولا كبيرا و لكن شعراء الإسلام استخدموا هذه الأغراض لحياة اغراض المسلمين و الدفاع عنهم و عن عقيدتهم .

♦ و العناصر الإسلامية التي ظهرت في الخطابة في العصرالعباسي سواء كانت هذه الخطابة السياسية او كانت دينية أو حفلية وعاظا كان او قصصا ذكرت بعض النموذج من هذه الخطابة مستشهدا بالآية القرآنية و الأحاديث النبوية مع ذكر اسماء الوعاظ و الخطاب و القصاصين .

Dhaka University Institutional Repository

♦ نشطت الرسائل الديوانية في العصر العباسي نشاطا واسعا و كانت هذه الدواوين متنوعة ، فديوان للخراج و ديوان للنفقات و ديوان للضياع و ديوان للرسائل و ديوان للخاتم و ديوان للجيش و دواوين لشرقى الدولة و غربها و كذلك الرسائل الخوانية و الأدبية ذكرتها في البحث في الباب الرابع تفصيلا.

♦ و في العصرالإسلامي العباسي اختلطت الأمة الإسلامية بمختلف شعوبها و حضارتها و جاء كل شعب بما يحمله من المعتقدات و العادات و الأخلاق . و من أبرز الخصائص الطاهرية و المعنوية و الصور الفنية ، للشعراء الإسلامى و تاثرت أمة الإسلام بما حملته الشعوب المختلفة من معتقدات و ثقافات ذكرت هذه النقاط في الباب الخامس تفصيلا .

هذا ما يسره الله لي في هذه المادة و أطلب منه الرضى. فإن كان صوابا فهو من فضل الله عليّ و إنكان فيه خطاءً فاستغفرالله تعالى ، و الله المستعان و لاحول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم ، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و أصحابه اجمعين .

Dhaka University Institutional Repository

المصادر و المراجع

العربية

١. إبراهيم أنيس ، اللغة العربية القومية و العالمية (القاهرة : دار المعارف ١٩٧٥م).

٢. ابن الأنبارى ، كتاب الأضداد ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (الكويت : دار الفنون ١٩٦٠م).

٣. ابن سلام ، طبقات الشعراء (القاهرة : دار المعارف ،ب ت) ج١ .

٤. ابن قتيبة ، عيون الأخبار ٣٧٤/٢.

٥. إبن قتيبة، الشعر و الشعراء، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، الشعر و الشعراء لابن قتيبة (القاهرة : دار الحديث ٢٠٠٣م)ج٣.

٦. ابن كثير ، البداية والنهاية (بيروت : مكتبة المعارف ١٩٧٤م)ط ٢.ج٧

٧. ابن ماجة ، سنن ابن ماجة (كلكته : بشير حسن اينذ سنزت ب ت).

٨. أبن منظور ، لسان العرب ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٨م) مادة ردف .

٩. ابن نديم ،الفهرست ، ص ١٨٥

١٠. ابن هشام ، السيرة النبوية (القاهرة : دار الكتب المصرية ب ت) ج١.

١١. أبو العتاهية ، الديوان تحقيق : الاب لويس اليسوعى ، الانوار الزاهية في ديوان ابي العتاهية (بيروت : المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٩م) ط٣.

١٢. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص (بيروت : دار الكتاب العربي ١٩٥٢م) ج١.

١٣. أبو الفرج الإصبهاني، الأغاني (بيروت : دار الفكر ب ت) ج٤.

١٤. أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى،تاريخ الطبري ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم(القاهرة: دار المعارف ب ت).

١٥. أبو سعيد الحسن بن الحسين ، شرح ديوان كعب بن زهير (مصر: مطبعة دار الكتب . ١٩٥م) ط ١.

١٦. أبو عبد الله إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح للبخاري (دهلى : كرزن بريش ١٣٣٢هـ) ط ١ ،ج٢.

١٧. أبو عثمان الجاحظ،، البيان و التبيين ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ١٩٧٥م) ط٤،ج٢.

Dhaka University Institutional Repository

١٨. أبو نواس ، الديوان، تحقيق : أسكندر آصاف،ديوان أبي نواس (القاهرة: دار العرب للبستاني ١٩٩٢م).

١٩. أبو هلال حسن بن عبد الله ، كتاب جمهرة الأمثال (بيروت : دار الكتب العلمية ب ت) ج١.

٢٠. أحمد أمين ،ضحى الإسلام ، ج١، ص١١١.

٢١. أحمد بن فارس،الصاحبى في فقه اللغة و سنن العربية في كلامها(القاهرة: المكتبة السلفية ١٣٢٨هـ)

٢٢. أحمد بن محمد المقري الغيومى،المصباح المنير (مصر : مطبعة بولاق ١٣١٦هـ)ج١.

٢٣. أحمد حسن زيات، تاريخ الأدب العربي (بيروت: دار المعرفة ١٩٩٥م).

٢٤. أحمد زكى صفوت ، جمهرة رسائل العرب (القاهر : دار المطبوعات العربية ١٩٣٧م) ج١.

٢٥. أحمد فؤاد عليان ، المهارات اللغوية (الرياض : دار المسلم للنشر و التوزيع ، ١٩٩٣م) ، ط ١ .

٢٦. الأستاذ محمد المبارك ، فقه اللغة (دمشق : مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٨م) .

٢٧. إسرائيل و يلفنسون أبو ذؤيب، تاريخ اللغات السامية (القاهرة: مطبعة الأمانة ١٩٢٩م).

٢٨. الإمام احمد ، مسند إمام احمد ، (لبنان : دار العلم للملائين ، ب ت) ج١.

٢٩. أنستاس مارى الكرملي ، نشوء اللغة العربية ونموها و اكتهالها (القاهرة : دار المعارف ١٩٤٨م) .

٣٠. انعام الجندى ، الرائد في الأدب العربي (بيروت : دار الرائد العربي ١٩٨٦م)ط٢،ج١.

٣١. بطرس ألبستاني ، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (بيروت : دار نظير عبود ١٩٨٩م) .

٣٢. جبران مسعود، الرائد معجم لغوى عصري (بيروت : دار العلم للملايين ١٩٩٢م) ط ٧.

٣٣. جرجى زيدان ، الفلسفة اللغوية والألفاظ القرآنية (القاهرة : دار القرآن ١٩٠٤م)ط.

٣٤. جرجى زيدان ، تاريخ آداب العربية (مصر: مطبعة الهلال ب ت)ط٢ .

٣٥. جرير ، ديوان ،تحقيق الدكتور نعمان محمد امين طه (القاهره : دار المعارف ١٤٩٨٦م) ط٣.

Dhaka University Institutional Repository

٣٦. جلال الدين السيوطى ، المزهر في علوم اللغة (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ب ت).

٣٧. جلال الدين السيوطي و جلال الدين المحلى ، تفسير الجلالين ، (الهند: المكتبة الأشرفية، ديوبند ، ب ت).

٣٨. جميل بثينة ، ديوان ، (بيروت : دار بيروت ١٩٨٢م) .

٣٩. حنا الفاخورى ، تاريخ الأدب العربي(بيروت ب ت) ج١.

٤٠. د. إبراهيم أنيس ، اللهجات العربية ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ١٩٥٢م) ط ٢.

٤١. د. جولد سيهر "أدب" ، دائرة المعارف الاسلامية (القاهرة : دار الفكر ١٩٣٣م) ج١.

٤٢. د. خالد يوسف ، في النقد الأدبي ، (لبنان : المؤسسة الجامعة ١٩٨٧م) ط١ .

٤٣. د. رشدى احمد طعيمة ، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها مناهجه و أساليبه (الرباط : منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة ، إيسيسكو ١٩٨٩م)

٤٤. د. شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربى (مصر : دار المعارف ب ت) ج٢.

٤٥. د. شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلى (القاهرة : دار المعارف ١٩٦٠م) ط ٨ .

٤٦. د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي-العصر الإسلامي (مصر: دار المعارف ١٩٦٣م) ط٧.

٤٧. د. صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة، (بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨١م)، ط ٧.

٤٨. د. صلاح الدين محمد عبد التواب ، الأثر القرآنى في الصور الأدبية ، رسالة ماجستير (المدينة : مكتبة كلية اللغة العربية ، ١٩٧٨).

٤٩. د. عبد الحكيم بلبع ، النثر الفنى (القاهرة : مكتبة وهبة ١٩٧٠م) ط ٢ .

٥٠. د. عبد الحميد محمد أبو سكين ، فقه اللغة (مصر:مطبعة الأمانة ١٩٨١م)ط١،

٥١. د. عبد الفتاح لا شين ، من أستار التعبير في القرآن الكريم (جدة : عكاظ للنشر و التوزيع ١٩٨٠م)

٥٢. د. على عبد الواحد وافي ، فقه اللغة، (القاهرة : دار العلوم والفنون، ١٩٥٦م)، ط٤.

٥٣. د. عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي (بيروت : دار العلم للملايين ١٩٩٢م) .

Dhaka University Institutional Repository

٥٤. د. لطفي عبد البديع ، عبقرية اللغة العربية (السعودية : نادى جدة الثقافي ١٩٨٦م) ط٢ .

٥٥. د. محمد صالح الشنطي ، المهارات اللغوية ، (المملكة العربية السعودية : دار الأندلس للنشر والتوزيع ، ١٩٩٤م)، ط ٣.

٥٦. د. محمد عبد المنعم خفاجي و د.صلاح الدين محمد عبد التواب ، الحياة الأدبية في عصرى الجاهلية و الإسلام (القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٣م) .

٥٧. د. محمد على الخولى ، أساليب تدريس اللغة العربية (السعودية : مطبعة الرياض ١٩٨٢م) ط٢ .

٥٨. د.طه حسين ، في الأدب الجاهلي (القاهرة:دار المعارف ١٩٢٧م).

٥٩. د.عزالدين اسماعيل، الادب وفنونه (القاهرة : دار الفكر العربي ١٩٨٦م)ط٦ .

٦٠. د.عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي (بيروت : دار العلم للملايين ١٩٩٢م) .

٦١. د.محمد حسي عبد الله،مقدمة في النقد الأدبي (الكويت:دار البحوث العلمية ١٩٧٥م) .

٦٢. د.وفاء سليم، من روائع الأدب العربي (الكويت: دار البحوث العلمية ١٩٧٩م)ط١.

٦٣. الدكتور شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربى، العصر الإسلامى (القاهرة: دارالمعارف ١٩٦٣م) ط ٧.

٦٤. الدكتور عبد الحكيم بلبع ، النثر الفنى و أثر الجاحظ فيه (القاهرة : مكتبة وهبة ١٩٧٠م) .

٦٥. الدمنيكى ، هل العربية منطقية ؟ أبحاث ثنائية السنية ، (القاهرة : دار القرآن ، ١٩٦٣م) .

٦٦. ذو الرمة ،ديوان ،تحقيق عبد الرحمن المصطاوى (بيروت : دار المعرفه ٢٠٠٦م) ط١.

٦٧. رمضان عبد التواب ، فصول في فقه العربية ، (القاهرة : مكتبة الخانجى ، ١٩٨٠م) .

٦٨. سيد قطب ، التصوير الفنى في القرآن (بيروت : دار الشروق ١٩٨٣م) ط ٨.

٦٩. سيد قطب ، النقد الأدبى أصوله و مناهجه (مصر : دار الفكر العربي ب ت) .

٧٠. شعر الاحوص الانصاري، جمع و تحقيق عادل سليمان جمال (القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٩٠م)ط٢.

Dhaka University Institutional Repository

٧١. شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي العصر العباسي الأول (القاهرة: دار المعارف ١٩٩٦م)ط١٤.

٧٢. الطبرى ، تأريخ الأمم والملوك (بيروت : دار القلم ب ت) .

٧٣. الطرماح ، ديوان ، تحقيق ، الدكتور عزة حسن (سورية الرق العربى ١٩٩٤م) .

٧٤. عباس محمود العقاد ، أشتات مجتمعات في اللغة و الأدب (القاهرة : دار المعارف ١٩٨٢م) ط٥ .

٧٥. عباس محمود العقاد ، اللغة الشاعرة : مزايا الفن و التعبير في اللغة العربية (القاهرة : مطبعة الاستقلال الكبرى ب ت) .

٧٦. عبد الحكيم حسان ، التعرف فى الشعر العربي ، نشاءته وتطروه حتى اخر قرن الثالث الهجرى (مصر: مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٤م).

٧٧. عبد السلام هارون ، تهذيب سيرة ابن هشام (بيروت : دار إحيا التراث العربى ١٩٨٩م).

٧٨. عبد السلام هارون ، تهذيب سيرة ابن هشام (بيروت : دار أحيا التراث العربي ١٩٨٢م) ص ٢٩٦-٩٨،

٧٩. عبد العزيز بن محمد الزبر ومحمد بن عبد الله الأطرم ، شعر الدعوى الإسلامية فى العصر الأموي (مصر: مكتبة الهلال ب ت).

٨٠. عبد الفتاح المصري ، قطوف لغوية (دمشق : دار ابن كثير ١٩٨٧م) .

٨١. عبد القادر المغربي ،الاشتقاق و التغريب (القاهرة : لجنة التأليف، و الترجمة والنثر ١٩٤٧م)ط٢.

٨٢. عبد الله العلايلى ، مقدمة لدراسة لغة العرب (مصر : دار الفرقان ب ت) .

٨٣. عبد الله أمين ، الاشتقاق (القاهرة : لجنة التأليف و الترجمة و النشر ١٩٥٦م) ط ١.

٨٤. عبد المنعم ، فقه اللغة ، (مصر : دار العلم للملايين ١٩٧٨م) .

٨٥. على بن محمد المورودى ، أدب الدين والدنيا (مصر : مكتبة البالى ١٩٧٣ م) ط ٤ .

٨٦. على رضى الله عنه، الديوان ، تحقيق عبد الأحد (دهلى : مطبعة المجتبائ ١٣١٥هـ) .

٨٧. الفرزدق ،ديوان ، شرعه و ضبطه الأستاذ على فاغور (بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٨٧م) ط ١

Dhaka University Institutional Repository

٨٨. القرآن الكريم .
٨٩. القشيري ،صحيح مسلم ٣٧/١.
٩٠. كارل نالليو،تاريخ الأداب العربية (القاهرة:دار المعارف ب ت)ط٢.
٩١. كثير عزة ،ديوان ، جمعه و شرحه إحسان عباس ، (بيروت : دارالثقافة ١٩٧١م).
٩٢. مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية ، المعجم الوسيط ، (استنبول : دار الدعوة ، ١٩٨٦م).
٩٣. مجنون ليلى ،ديوان ، جمع و شرح عبد الستار أحمد فراج (مصر : دار مصر للطباعة ١٩٧٩م)
٩٤. محمد الخضر حسين ، المكتب الإسلامى ، (القاهرة : مكتبة دار الفتح ، ١٩٩٦م) ، ط ٢.
٩٥. محمد بن جرير الطبرى، تاريخ الرسل والملوك،المحقق محمد أبوالفضل ابراهيم (القاهرة: دارالمعارف ٢٠٠٧م)
٩٦. محمد بن سلام الجمحى ، طبقات فحول الشعراء (القاهرة : مطبعة المدنى ١٩٧٤م).
٩٧. محمد بن علي بن الشوكاني ، فتح القدير ، (مصر : مطبعة مصطفي البابي الحلبي ١٩٢٤م) ط ٢.
٩٨. محمد دياب ، تاريخ آداب اللغة العربية (بيروت : دار العلوم و الفنون ١٩٦٧م).
٩٩. محمد عفيف الزغبي ، مختصر سيرة ابن هشام (سورية : مكتبة المعرفة ١٩٨٢م) ط ٢ ص ٢٣٦-٣٧.
١٠٠. محمد على الصابونى،مختصر تفسير ابن كثير (بيروت : دار القرآن الكريم ١٩٨١م) ط ٧.
١٠١. محمد يوسف الكاندهلوى ، حياة الصحابة (بيروت: دار المعرفة ١٣٨٩هـ) .
١٠٢. مصلح الدين ، تأريخ الأدب العربي ص ٣٢.
١٠٣. وضاح اليمن ،ديوان ، جمعه الدكتور محمد خير البقاعى (بيروت : دارصادر ١٩٩٢ م) ط ١

465049

ঢাকা
বিশ্ববিদ্যালয়
গ্রন্থাগার

Dhaka University Institutional Repository

الأجنبية

1. অধ্যাপক মাহবুবুল আলম، সাহিত্য তত্ত্ব (ঢাকা : খান ব্রাদার্স، ১৯৮৭ ইং)
2. ড. মো আবু বকর সিদ্দিক আরবী সাহিত্য সমালোচনা (ঢাকা : সুলতানা প্রকাশনী১৯৮৯ ইং)
3. ড. সৈয়দ মাহমুদুল হাসান, ইসলামের ইতিহাস, (ঢাকা : গ্লোব লাইব্রেরী ১৯৮৭ ইং)
4. Cheijne,The Arabic Language،Its Role in History، Minneapolis. University of Minnesota Press1996)
5. K. Re. "Literature" The New Encyclopedia of Britannica V. 10.
6. R. Stephen Humphrey's. Islamic History (U.K. : I.B. Tawris and Company Ltd. 1991 AD).
7. HARTWIG HIRSCHFELD. PHD. DIWAN OF HASSAN B THABIT (LONDON: LEYDEN. 1910 AD). P.32
8. R.A. Nicholson. A. Lit. His. of the Arabs (Cambridge: University press. 1953 A D P. 159

465049

ঢাকা
বিশ্ববিদ্যালয়
গ্রন্থাগার

GIFT

মাজাহির আল-আনাসির আল-ইসলামিয়্যাহ ফী আল-আদব আল-আরবী ৬১০-১২৫৮ খৃঃ

(আরবী সাহিত্যে ইসলামী উপাদানের প্রতিফলন- ৬১০-১২৫৮ খৃঃ)

Dhaka University Library
465049

ঢাকা বিশ্ববিদ্যালয় গ্রন্থাগার

A THESIS

SUBMITTED FOR THE AWARD OF THE DEGREE OF
DOCTOR OF PHILOSOPHY (PH.D.) IN ARABIC
DEPARTMENT OF ARABIC, FACULTY OF ARTS
UNIVERSITY OF DHAKA

BY
MD. NASIR UDDIN
LECTURER
DEPARTMENT OF ARABIC
UNIVERSITY OF DHAKA

465049

UNDER THE SUPERVISION OF
PROF. DR. MD. ABU BAKER SIDDIQUE
DEPARTMENT OF ARABIC
UNIVERSITY OF DHAKA
DHAKA-1000, BANGLADESH

JUNE, 2011 A.D.

Dhaka University Institutional Repository